# بداية الوصول بلب صحيح الأمهات والأصول

جمع
عبد الله عبد القادر التليدي
عفا الله تعالى عنه

المجلد الحادي عشر
ويشتمل على الآداب والأخلاق،
والبر والصلة والزهد والرقائق

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

ISBN 978-9953-81-974-7

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

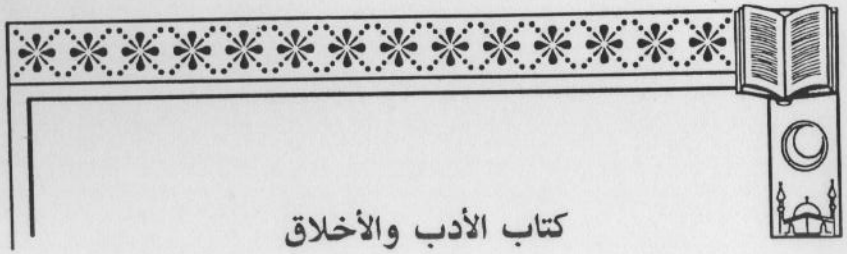

# كتاب الأدب والأخلاق

الحمد لله الكبير المتعال صاحب الفضل والإحسان، خلق خلقه فجعل منهم الكافر والمؤمن، والصالح والطالح، واختار من عباده أقواماً فضلهم على من سواهم بمكارم الأخلاق، ونزّههم عن المساوىء وهنات الأمور، نحمده ونشكره على آلائه المتوالية ليل نهار دائماً أبداً سرمداً، حمداً طيباً مباركاً فيه، مباركاً عليه كما يحب تعالى ويرضى.

ونصلي ونسلّم على الرحمة المهداة صاحب الخلق العظيم سيدنا محمد بن عبدالله المطلبي الهاشمي، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى صحابته الأبرار الميامين ومن تبعهم بإحسان وعنا معهم أبد الآبدين.

وبعد، فهذا قسم الآداب والأخلاق والبر والصلة والاستئذان، وما يتبع ذلك نقدمه لقرائنا الميامين راجياً منهم أن لا ينسوني من دعواتهم الصالحة.

* * *

## ❊ ما معنى الأدب

**الأدب يطلق على أمرين:**

**الأمر الأول:** يُطلق على الأسلوب الفني الجميل المكتسب من تعلُّم الشعر واللغة العربية وأساليبها نثراً وشعراً حتى يكتسب متعاطيه ملكة تمكنه

من الفصاحة في الكلام والكتابة، وتمنعه من الخلل في الكلام العربي لفظاً وكتابة.

ويقال لهذا: علمُ الأدب وصاحبه الأديب.

**أما الأمر الثاني**: وهو أعلى الأمرين وأحسنهما وأرقاهما فهو تهذيب النفس ورياضتها على التخلُّق بالمحاسن والمكارم في كل شيء مع الله ومع كتابه ومع رسوله ﷺ ومع سنّته... وفي جميع تصرفاته وأحواله النهارية والليلية... وفي عباداته، وفي قيامه وقعوده، ونومه ويقظته، وسفره وحضره، وأكله وشربه، ولباسه ومعاشرته أهله... وفي معاملاته مع الآخرين... وهو الذي يعبر عنه بمكارم الأخلاق والتهذيب والتزكية. وقد اتفقت جميع الشرائع والأمم والحكماء على حسنه وفضله ومدحه، وقد اهتم بهذا الجانب أئمتنا وعلماؤنا وأفردوه بالتآليف العديدة وجعلوا له أجنحة خاصة في مؤلفاتهم الجوامع؛ كالبخاري ومسلم مثلاً وأبي داود والترمذي، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه، والدارمي وغيرهم رحمهم الله تعالى عنهم، وجعل الجنة مثواهم.

وذكروا في ذلك أخلاقاً وآداباً تعد بالمئين، منهم المكثر، ومنهم المقل، ومنهم من جمعها في أبواب خاصة، ومنهم من فرقها حسب موضوعاتها كأدب العلم مثلاً وأدب الطهارة وأدب الصلاة وأدب الصيام... وأدب النكاح وأدب الجهاد، وأدب المعاملات.

وهكذا فلا يخلو لهم كتاب ولا باب من الآداب مضافاً إلى ما أفردوه من ذلك.

وسيمر بالقارىء ما يزيد على أربعمائة حديث تتعلق بالأدب والأخلاق، فلنعاهد الله جميعاً على التخلُّق والتأدُّب بها حسب طاقتنا البشرية، والله الهادي إلى طريقه القويم.

* * *



## ❊ البر والصلة
## من فضل البرور بالوالدين

**[١]** عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سألت النبي ﷺ أيُّ العمل أحبُّ إلى الله عزّ وجل؟ قال: «**الصلاةُ على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم بِر الوالدين**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم الجهاد في سبيل الله**»، قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني.

رواه البخاري في المواقيت (٢/١٤٨/١٥٠)، ومسلم في الإيمان (٢/٧٣/٧٤).

في الحديث أن هذه الأعمال هي أحب إلى الله تعالى وأفضلها وأقربها إليه كما في روايتين لمسلم وغيره، وأن الأفضلية والأحبية في ذلك حسب هذا الترتيب: الصلاة على وقتها، وفي رواية: في أول وقتها، ثم البرور بالوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله.

وجاء في رواية لأبي هريرة وأبي ذر رضي الله تعالى عنهما عند مسلم وغيره: سئل رسول الله ﷺ أيُّ الأعمال أفضل؟ فذكر الإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله.

ولا شك أن الإيمان بالله هو أفضل الأعمال على الإطلاق، ثم بعده الصلاة، فلا أفضل منهما بالإجماع، ثم بعدهما يأتي التفاضل بين البرور وبين الجهاد فيكون البرور أفضل من الجهاد على الإطلاق فإذا تعين الجهاد كان الواجب المقدّم والأفضل.

وعلى أيٍّ، فالبرور بالوالدين من أشرف الأعمال وأحبها إلى الله تعالى وأقربها عنده.

**[٢]** وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «**رِضا الله في رِضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين**».

رواه الترمذي في البر والصلة (١٧٤٦) بتهذيبي، وابن حبان بالموارد (٢٠٢٦)، والحاكم (٤/١٥١/١٥٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

الحديث يدل على أن رضا الله تابع لرضا الوالدين، وأن سخطه تعالى تابع لسخطهما، ففي الحديث ترغيب عظيم، ووعيد شديد.

**[٣]** وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: إن رجلاً أتاه فقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب، أو احفظه»**، وربما قال سفيان: إن أمّي، وربما قال: أبي.

رواه أحمد (٤٥١/٤٤٨/٤٤٥/١)، والترمذي (١٧٤٥)، وابن ماجه (٢٠٨٩)، وابن حبان (٣٢٣٠)، والحاكم (١٩٧/٢) و(١٥٢/٤) ورجاله رجال الصحيح، ولذا صححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي، وعطاء بن السائب روى عنه ابن عيينة قبل اختلاطه.

وأحسن ما قيل في معنى الحديث: إن البرور بالوالد أو الوالدة سبب لدخول الجنة من أوسط أبوابها، وفيه إشارة إلى طاعة الوالدين في تطليق الزوجة، إذا كان أمرهما ناشئاً عن سبب ديني، أو كان لمصلحة راجحة.

* * *

## ❊ الوالدان أحق الناس بحسن الصحبة وأن الأم مقدمة على الوالد

**[٤]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله مَن أحقُّ الناس بحُسن صحابتي؟ قال: **«أمك»**، قال: ثم مَن؟ قال: **«ثم أمك»**، قال: ثم مَن؟ قال: **«ثم أمك»**، قال: ثم مَن؟ قال: **«ثم أبوك»** وفي رواية: **«ثم أدناك، أدناك»**.

رواه البخاري في الأدب (٦/٤/١٣)، ومسلم في البر والصلة (١٠٣/١٠٢/١٦).

ونحوه عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. رواه البخاري في الأدب



المفرد (٣)، وأبو داود (٥١٣٩) في الأدب، والترمذي في البر (١٧٤٣)، والحاكم (١٥٠/٤) وصححه ووافقه الذهبي وزاد: **«ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب»**.

قوله: «بحسن صحابتي» يقال: صُحْبَتِي، وصَحَابَتِي، وهما بمعنى المصاحبة، والحديثان يدلان على تقديم الأم على الأب في البرور وأنها أحق منه وأولى بالبرور والإحسان. قال العلماء: وسبب تقديمها معاناتها المشاق في سبيله كحمله ووضعه وإرضاعه وتربيته وتمريضه والقيام بجميع شؤونه، وقوله: «ثم الأقرب...» إلخ. يدل على أنه يقدم في البرور بعد الوالدين الأدنى فالأدنى كالأولاد مثلاً، والأجداد، والجدّات، والإخوة، والأخوات، والخالات، والأخوال، ثم سائر المحارم...

**[٥]** وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: **«أحيٌّ والداك»** قال: نعم، قال: **«ففيهما فجاهد»**.

رواه البخاري في الأدب (٦/١٣)، ومسلم في البر والصلة (١٠٤/١٠٣/١٦).

وفي رواية لمسلم قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: **«فهل من والديك أحد حي؟»** قال: نعم، بل كلاهما، قال: **«فتبتغي الأجر من الله»** قال: نعم، قال: **«فارجع إلى والديك فأحسِن صحبتهما»**.

وفي الحديث وجوب تقديم البرور بالوالدين والقيام بشؤونهما على الجهاد في سبيل الله، وأن الإحسان إليهما والقيام بهما يقوم مقام الجهاد، ولذلك قال ﷺ للرجل: **«ففيهما فجاهد»** أي: ففي الإحسان إليهما والبرور بهما جاهد نفسك، وهذا محمول على ما إذا لم يتعين الجهاد كمداهمة العدو بلاد المسلمين، أو عين للخروج من طرف إمام المسلمين.

**[٦]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه» قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «مَن أدرك والديه عند الكِبَر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة».

رواه مسلم في البر (١٦/١٠٨/١٠٩).

قوله: «رغم أنفه» الرغم بضم الراء وفتحها وكسرها أصله لصق أنفه بالرغام، وهو تراب مختلط برمل. ومعناه: ذل وخزي، وفيه الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه، وأن برهما أو أحدهما يوجب دخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله تعالى أنفه وأخزاه، وقد تقدم نحو حديث الباب مطولاً في الصيام وفي الأذكار.

❁ ❁ ❁

## ❁ إكرام صديق الوالد

**[٧]** عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن أبر البر، أن يصل الرجل ود أبيه»**.

رواه مسلم في البر (١٦/١٠٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٤١)، وأبو داود (٥١٤٣)، والترمذي (١٧٤٩).

قوله: «أبر البر» أي: أفضلُهُ. وقوله: «وُدَّ أبيه» بضم الواو، أي: أصحاب مودته ومحبته. وفيه فضل برور أصدقاء الوالدين ومواصلتهم والإحسان إليهم، وذلك من إكرام الوالدين.

❁ ❁ ❁

## ❁ فضل بر الخالة

**[٨]** عن ابن عمر أيضاً، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أصبتُ ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ قال: **«هل لك من أم؟»**، قال: لا، قال: **«هل لك من خالة؟»**، قال: نعم، قال: **«فبِرَّها»**.



رواه الترمذي (١٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٢)، والحاكم (٤/١٥٥) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

الحديث يدل على أن البرور بالوالدين وكذا الخالة من مكفرات كبار الذنوب، وقد ذكر العلماء أن البرور من الأعمال التي تكفر الذنوب الكبائر كالتوبة والحج...

❁ ❁ ❁

## ❁ هل يجزي ولد والديه

**[٩]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيُعتقه»**.

رواه مسلم في كتاب العتق، والبخاري في الأدب المفرد (١٠)، وأبو داود (٥١٣٧)، والترمذي في البر (١٧٥٣)، وابن ماجه (٣٦٥٩) وغيرهم.

في الحديث عظم حقوق الوالدين وأن الإنسان لا يستطيع مجازاتهما بحال إلا أن يجدهما مملوكين فيشتريهما فيعتقهما.

**[١٠]** وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد رقم (١١) عن أبي بردة أنه شهد ابن عمر ورجل يماني يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره يقول:

إنـي لَـهَـا بَـعِـيـرُهـا الـمُـذَلَّـلْ    إنْ أُذْعِـرَتْ رِكَـابُـهَـا لـم أُذْعَـرْ

ثم قال: يا ابن عمر أتُراني جزيتُها؟ قال: لا، ولا بزَفرة واحدة. ثم طاف ابن عمر فأتى للمقام فصلّى ركعتين ثم قال: يا ابن أبي موسى إن كل ركعتين تكفران ما أمامهما.

سنده صحيح.

قوله: «ولا بزفرة» يعني لم تقم بحقها ولو بتردد نَفَس واحد منها عند وضعها بك.

❁ ❁ ❁

## ❊ البرور بالوالدين ولو كانا مشركين غير أنهما لا يطاعان في معصية اللّه

[١١] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: أُنزلت فيّ أربع آيات، فذكر قصة، وقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر، والله لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها، فنزلت: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾.

رواه أحمد (١٥٦٧/١٦١٤)، ومسلم (١٨٥/١٥) في الفضائل، والترمذي (٢٩٨٢) في تفسير العنكبوت.

قوله: «شَجَروا فاها» أي: فتحوا فمها، واقتضت الآية الكريمة مع الحديث الوصية بالوالدين والبرور بهما وطاعتهما ولو كانا كافرين إلا إذا أمرا بمعصية فلا يطاعان، بل يعصيان في ذلك.

[١٢] وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلُ أمي؟ قال: «**نعم، صِلِي أمك**»، قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾.

رواه البخاري في الهبة وفي الأدب (١٧/١٣)، ومسلم في الزكاة.

قولها: «راغبة» أي: جاءت راغبة في صلتي أو في الإسلام.

والحديث يدل على جواز صلة الأم الكافرة والإحسان إليها، وذلك لما لها من حقوق على ولدها. لأنها مع الوالد كانا سببين في إيجاده، ولذلك أوصى الله عزّ وجل بهما وأمر بالإحسان إليهما والبرور بهما، وقرن ذلك بالأمر بعبادته والنهي عن الشرك به كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وقوله عزّ وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وقوله جل ثناؤه:



﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾، ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾، وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۖ﴾ إلى غير ذلك من الوصايا بهما والإحسان إليهما.

❊ ❊ ❊

## ❊ تحريم عقوق الوالدين وعظم ذلك وأنه من أكبر كبائر الذنوب

[١٣] عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وجلس وكان متكئاً: «**ألا وقول الزور**» ما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

رواه البخاري في الأدب (١٦/١٣/١٣)، ومسلم في الإيمان (٨١/٣).

[١٤] ونحوه عن أنس، وزاد فيه: «**وقتل النفس**».

رواه مسلم (٨٣/٣).

في الحديثين أن ما ذكر فيهما هي من أكبر كبائر المعاصي ولا خلاف في ذلك بين أهل العلم، وقد ذكر فيها عقوق الوالدين والإساءة إليهما وعدم البرور بهما، وقد قال تعالى في ذلك: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾، فأقل العقوق التأفف منهما فكيف بسبّهما أو ضربهما... كما هو شائع اليوم في مجتمعنا الموبوء.

[١٥] وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال:

رسول الله ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**»، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه**».

رواه البخاري في الأدب (٧/١٣)، ومسلم في الإيمان (٨٣/٢) واللفظ للأول.

ولفظ مسلم: «يشتم الرجل...» إلخ.

رواه أبو داود (٥١٤١)، والترمذي (١٧٤٨)، فيه أن سَبَّ الوالدين من أكبر الكبائر سواء كان من الولد مباشرة أو بسببه، كما إذا وقع تبادل الشتائم مع الغير فإن ذلك يعتبر شتماً منه لوالديه.

* * *

## ❊ استجابة دعاء البار بوالديه

[١٦] عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها.**

**فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صِبْيةٌ صغارٌ، كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبتُ بدأت بوالديَّ أسقيهما قبل ولدي، وإنه نأى بي الشجر، فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رؤوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدميَّ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فُرجة نرى منها السماء، ففرج الله لهم فُرجة حتى يرون منها السماء.**

**وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال**



**النساء، فطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبد الله اتقِ الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها، اللهم فإن كنت تعلم أني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها، ففرج لهم فرجة.**

**وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً وراعيها فجاءني فقال: اتقِ الله ولا تظلمني واعطني حقي، فقلت: اذهب إلى تلك البقر وراعيها، فقال: اتقِ الله ولا تهزأ بي، فقلت: إني لا أهزأ بك فخذ تلك البقر وراعيها، فأخذه فانطلق، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي، ففرج الله عنهم».**

رواه البخاري في البيوع (٢٢١٥)، وفي الإجارة (٢٢٧٢)، وفي المزارعة (٢٣٣٣)، وفي أحاديث الأنبياء (٣٤٦٥)، وفي كتاب الأدب (٥٩٧٤) (ج١٣/٧/٨)، ومسلم في الذكر والدعاء، باب فضل أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (ج١٧/٥٥/٥٨) مع النووي.

الغار: النقب في الجبل. وقوله: «نأى» أي: بعد. و«الحلاب» بكسر الحاء: اللبن المحلوب. وقوله: «والصبية يتضاغون» أي: يصيحون ويستغيثون من الجوع. وقوله: «الخاتم» عبرت بذلك عن بكارتها. وقوله: «بحقه» أي: بنكاح صحيح لا بزنا. وقوله: «لا أغبُق» بفتح الهمزة وضم الباء، والغبوق شرب العشاء، كما أن الصبوح شرب أول النهار.

وفي الحديث مشروعية التوسل بالأعمال الصالحة الخالصة، وفيه فضل بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما على سواهما من الزوجة والأولاد... وفيه فضل العفاف عن المحرمات والانكفاف عن الزنا مع القدرة عليه، وأن يترك ذلك لله عزّ وجل خوفاً منه. وفيه فضل أداء الأمانة والسماحة في المعاملة، وفيه إثبات الكرامات وهو مذهب أهل الحق.

* * *

## ❊ استجابة دعوة الوالدين

**[١٧]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالدين على ولدهما»**.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٢)، وأبو داود في الصلاة (١٥٣٦)، والترمذي في البر والصلة (١٧٥٢)، وابن ماجه في الأدب (٣٨٦٢) ورجاله رجال الصحيح، غير أبي جعفر المؤذن فمقبول وله شاهد يحسن به.

رواه أحمد (١٥٤/٤) عن عقبة بن عامر.

وفي الحديث بيان أن دعاء الوالد وكذا الوالدة على الولد مستجاب فليحذر المسلم تعرضه لعقوق والديه فيدعوان عليه بدعوة تجتاح حياته.

❊ ❊ ❊

## ❊ رحمة الأولاد والإحسان إلى البنات

**[١٨]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي عليهما السلام وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: **«مَن لا يَرحم لا يُرحم»**.

رواه البخاري في الأدب (٣٥/١٣)، ومسلم في فضائل النبي ﷺ (٧٧/٧٦/١٥)، والترمذي (١٧٥٨) وعنده: إن لي من الولد عشرة ما قبّلتُ أحداً منهم.

**[١٩]** وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبّلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم، فقالوا: لكنا



والله ما نقبّل، فقال رسول الله ﷺ: **«وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة»**.

رواه البخاري ومسلم في المصدرين السابقين.

وفي الحديثين مشروعية تقبيل الصبيان ورحمتهم والشفقة عليهم، وأن ذلك من جملة الرحمة التي جعلها الله تعالى في قلوب عباده الرحماء، وفيهما إشارة إلى أن تقبيلهم كالمحارم إنما هو للشفقة والرحمة لا للذة والشهوة.

وفي الحديثين أيضاً، ذم القسوة وأن من لا يرحم العباد وخاصة الأطفال والمؤمنين لا يرحمه الله تعالى ويأتي بقية لهذا في الرقاق.

**[٢٠]** وعن عائشة أيضاً قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمْتُها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها، فشقّت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرتُ الذي صنعتْ لرسول الله ﷺ فقال: **«إن الله قد أوجب لها بها الجنة»** أو **«أعتقها بها من النار»** وفي رواية: **«مَن ابتُلِيَ من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كُنَّ له سِتراً من النار»**.

رواه البخاري في الأدب (٣٣/١٣)، ومسلم في البر والصلة (١٧٩/١٦) بالروايتين.

**[٢١]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو** وضمَّ أصابعه**»**.

رواه مسلم (١٨٠/١٦)، والترمذي (١٧٦٢) كلاهما في البر والصلة.

قولها: «ثلاث تمرات» في رواية «تمرة» فقسمتها بين ابنتيها... فيحتمل تعدد القصة. قوله: «مَن ابتلي» معناه: مَن امتحنه الله بوجودهن وما يصدر منهن فصبر على ذلك. وقوله: «فأحسن إليهن» هذا يشمل كل أنواع الإحسان، ولذا جاء في رواية عند ابن ماجه: **«وأطعمهن وسقاهن وكساهن»**، وفي رواية عند الطبراني: **«فأنفق عليهن وزوّجهن وأحسن**

**أدبهن»**، وفي أخرى عند أحمد ومفرد البخاري: **«يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن»**، وفي رواية عند الترمذي: **«فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن»**.

وهذه الروايات جاءت عن جماعة من الصحابة، وهي كما ترى فيها الوصاية بالبنات والحض على الإحسان إليهن وتقوى الله فيهن والصبر على ما يصدر منهن حتى يتزوجن، وأن دخول الجنة والستر من النار مشروط بالإحسان إليهن والصبر عليهن.

وإنما جاء هذا الحض والثواب على ما ذكر لإبطال ما كان سائداً في الجاهلية من بغض البنات وكراهيتهن، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

وعلى أيٍّ، ففي الحديثين بشارة عظيمة لمن ابتلاه الله بالبنات فأدبهن وأحسن إليهن وصبر على ما يصدر منهن حتى يزوجهن، وأن جزاءه الستر من النار وأنه سيحظى بالكون مع رسول الله ﷺ في الجنان، ويا لها من بشارة.

* * *

## ❊ صلة الرحم
## فضل ذلك

**[٢٢]** عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَن سرَّه»**، وفي رواية: **«مَن أحبّ أن يبسط له في رزقه أو يُنسأ له في أجله فليصِل رحمه»**.

رواه البخاري في الأدب (٢٠/١٣)، ومسلم في البر والصلة (١١٤/١٦).

**[٢٣]** ومثله عندهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وقد ذكر العيني آثاراً كثيرة في فضل صلة الرحم فانظرها في عمدة القاري (ج٢٢/٩٢) وذكر بعضها أيضاً الحافظ في الفتح (٢٠/١٣).



**«يُنسأ»**: بضم الياء وفتح السين، أي: يؤخر. وبسط الرزق: توسيعه وتكثيره.

وفي الحديثين فضل صلة الرحم وأن ذلك يوجب التوسُّع في الرزق والزيادة في الأجل، وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في توجيههم لمعنى ذلك مع الاتفاق والإجماع القاطع على أن الله عزّ وجل قدّر الأرزاق والآجال... فلا يزاد فيها ولا ينقص منها.

وقد أجابوا عن ذلك بأجوبة ذكر النووي، ثم الحافظ منها جوابين:

**أحدهما**: أن هذه الزيادة تكون بالبركة في الرزق والعمر والتوفيق للطاعات وعمارة الأوقات بما ينفع في الآخرة، وأن الواصل يدرك من أنواع القربات وجزيل الأجر في عشرين سنة مثلاً مما لا يدركه غيره في ستين سنة، وكذا يقال في الرزق، فقد تقع للواصل البركة في مائة درهم مثلاً فتكفيه في يومه وليلته مع عائلته ولا يكفي غيره من أمثاله ذلك...

**الجواب الثاني**: أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة، وفي اللوح المحفوظ... فيظهر في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ فهي بالنسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره لا زيادة بل هي مستحيلة، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة.. وهكذا يقال في زيادة الرزق. وهذا أظهرُ ما قيل في ذلك، والله تعالى أعلم.

* * *

## ❊ وجوب صلة الرحم وتحريم قطعها

**[٢٤]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرَّحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصِل من وصلك وأقطع من قطعك؟**

**قالت: بلى، قال: فذاك لكِ»** ثم قال رسول الله ﷺ: **«اقرأوا إن شئتم:** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾».

رواه البخاري في التفسير (١٠/٢٠١/٢٠٢)، وفي الأدب (١٣/٢١/٢٢)، وفي التوحيد رقم (٧٥٠٢)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١١٢) والنسائي في الكبرى (٦/٤٦١).

قوله: «خلق الخلق» ظاهره خلق جميعهم وتخصيصه ببعضهم يخالف عمومه. وقوله: «قامت الرحم» هو على ظاهره، فإن الله قادر على أن يجعل المعاني والأعراض أجساماً وذواتاً فتتكلم، ولهذا أمثلة كثيرة في السنة، وفي رواية: **«فأخذت بحقوي الرحمٰن»** وهي صفة للّه تعالى لا نعلم كيفيتها ولا تشبه حقونا، وهو الإزار أو معقده بالنسبة إلينا. وقوله: «هذا مقام العائذ» أي: قيامي في هذا مقام العائذ والمستجير بك من القطيعة.

وفي الحديث بيان أن من وصل رحمه وصله الله برحمته وألطافه وإحسانه، ومن قطعها قطع الله تعالى عنه ما يستحق الواصل من شمول رحمته تعالى وإنعامه.

والآية المستدل بها، تدل على وعيد شديد للقاطع، وأنه من جملة الملاعن بلعنة الله عزّ وجل، وكفى بذلك جرماً.

**[٢٥]** وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الرحم معلقة بالعرش تقول: مَن وصلني وصله الله، ومَن قطعني قطعه الله».**

رواه مسلم في البر (١٦/١١٣).

الرحم: يطلق على الأقارب، وهم كل من بينه وبين الآخر نسب سواء كانوا ورثة أم لا، وسواء كانوا ذوي محرم أم لا. وقوله: «معلقة بالعرش» قد قدّمنا أن المعاني والأعراض قد تجسد ويخلق الله فيها كلاماً وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه أو يرد ويؤول ويتشكك فيه.



**[٢٦]** وعن جُبَير بن مُطْعِم رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة قاطع رحم».**

رواه البخاري في الأدب (١٣/١٩)، ومسلم في البر (١٦/١١٣)، والبخاري أيضاً في الأدب المفرد (٦٤)، وأبو داود (١٦٩٦)، والترمذي (١٧٥٦).

قوله: «لا يدخل الجنة» أي: لا يدخلها مع الأولين أو لا يدخلها بحال إذا استحلّ المقاطعة بلا تأويل واجتهاد، وعلى أيٍّ ففي ذلك وعيد شديد.

**[٢٧]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن الرَّحِمَ شَجْنَةٌ من الرحمٰن، فقال الله: مَن وصلكِ وصلْتُه، ومَن قطعكِ قطعتُه».**

رواه البخاري في الأدب (١٣/٢٣).

قوله: «شجنة» مثلث الشين، وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة، ومنه قولهم: الحديث ذو شجون، أي: يدخل بعضه في بعض. وقوله: «من الرحمٰن» أي: أخذ اسمها من هذا الاسم، والمعنى أن الرحم أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها.

**[٢٨]** وقد جاء في سنن الترمذي (١٧٥٤)، والأدب المفرد (٥٣)، وسنن أبي داود (١٦٩٤)، وابن ماجه (١٠٣٣) من حديث عبدالرحمٰن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تبارك وتعالى: أنا الله وأنا الرحمٰنُ، خلقتُ الرحم وشقَقْتُ لها من اسمي، فمَن وصلها وصلتُه ومَن قطعها قطعتُه»** وحسّنه الترمذي وصححه، فهذا الحديث مبين لحديث الشجنة.

فالرحم خلقها الله تعالى وجعلها مشتقة ومأخوذة من صفته الرحمٰن فلها به علاقة، وليس معناه: أنها من ذات الله، تعالى الله عن ذلك.

قال ابن أبي جمرة قدّس الله سره: تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء، والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، قال: وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفاراً أو فجّاراً فمقاطعتهم في الله هي صلتهم بشرط بذل الجهد في وعظهم، ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخليهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظاهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى. اهـ. نقله الحافظ. وما قاله من عدم مواصلة الرحم الكافرة يرده ما تقدم في حديث أسماء وما يأتي وتقدم في صلة عمر أخاه وهو بمكة مشرك.

وقال النووي: ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة، ولكن للصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب، ومنها مستحب، لو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً.

* * *

## ❊ الواصل الحقيقي هو الذي يصل مَن آذاه أو قطعه

**[٢٩]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابةً أصِلُهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويُسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: **«لئن كنتَ كما قلتَ فكأنما تُسِفُّهم المَلّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دمتَ على ذلك»**.

رواه مسلم في البر والصلة (١١٥/١٦).

قوله: «تُسِفُّهم» أي: تطعمهم. «المَل»: بفتح الميم، الرماد الحار.



و«الظهير»: المعين والدافع لأذاهم. وقوله: «ويجهلون عليّ» أي: يعاملوني بالقبيح من القول والفعل.

وفي الحديث وعيد شديد لقاطع الرحم والمسيء لأقاربه مع إحسانهم إليه وتحملهم أذاه، فمَن يصل رحمه وأقاربه مع إذايتهم له ومقاطعتهم إياه نمثله معهم كمثل من يطعم غيره الرماد الحار وذلك لما يلحقهم من الألم والإثم العظيم في قطيعته. وفيه بشارة للواصل مع الإساءة إليه وقطيعته، وأن الله تعالى سيقيض له من الملائكة أو غيرهم من يعينه ويدافع عنه.

**[٣٠]** وعن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: **«ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذي إذا قُطِعت رحمه وصلها»**.

رواه البخاري في الأدب (٢٩/١٣)، وأبو داود وغيرهما.

معناه: أن الواصل الكامل الحقيقي هو الذي يصل من قطعه، وليس معناه أن الذي يصل من وصله ليس بواصل، لأن هذين مستويان فلا فضل لأحدهما على الآخر بخلاف الأول. وهذا كقوله ﷺ: **«ليس الغنى عن كثرة العرض»**، وقوله: **«ليس الشديد بالصرعة»**، وقوله: **«ولكن المفلس مَن...»** يأتي في أحاديث أخرى.

**[٣١]** وعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من ذنب أجدر أن يُعجِّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدَّخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والبغي»**.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٧)، والترمذي في القيامة (٢٣٢٩) بتهذيبي، وأبو داود في الأدب (٤٩٠٢)، وابن ماجه (٤٣١١) بسند صحيح، وصححه الترمذي.

قوله: «أجدر» أي: أحق وأولى، وفي الحديث عظم جرم البغي على العباد والاعتداء عليهم، وقطيعة الرحم؛ وأن صاحبهما معرّض للعقوبة والعذاب في الدنيا قبل الآخرة، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

* * *

## ❋ صلة ذي الرحم المشرك

[٣٢] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: رأى عمر حُلة سِيَراء فقال: يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفود إذا أتوك، فقال: **«يا عمر إنما يلبس هذه مَن لا خلاقَ له»** ثم أُهديت للنبي ﷺ منها حُللٌ فأهدى إلى عمر منها حلة، فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بعثت إليّ هذه وقد سمعتك قلت فيها ما قلت، قال: **«إني لم أُهدِها لك لتلبسها، إنما أهديتُها إليك لتبيعها أو لتكسوها»** فأهداها عمر لأخ له من أمه مشرك.

رواه البخاري في الجمعة، ومسلم في اللباس، وتقدم فيه.

قوله: «سيراء» بكسر السين وفتح الياء، هي نوع من البرود يخالطها حرير.

والحديث يدل على جواز صلة الرحم المشرك بالهدية وخاصة إذا كان يرجى منه الدخول في الإسلام ولم يكن محارباً.

❋ ❋ ❋

## ❋ الوصية بالجار والإحسان إليه

[٣٣] عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورّثه»**.

رواه البخاري في الأدب من صحيحه (٤٨/١٣)، وفي الأدب المفرد (١٠٦/١٠١)، ومسلم (١٧٦/١٦)، والترمذي (١٧٨٩) كلاهما في البر والصلة.

قوله: «سيورثه»، أي: سيجعله وارثاً.

[٣٤] وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: إن خليلي ﷺ أوصاني



**«إذا طبخت مَرَقاً فأكثِر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصِبْهم منها بمعروف»**.

رواه مسلم في البر (١٧٧/١٧٦/١٦).

[٣٥] وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»**.

رواه أحمد (١٦٨/٢)، والدارمي (٢٤٤٢)، والترمذي (١٧٩٠)، وابن حبان (٢٠٥١)، والحاكم (١٦٤/٤) وغيرهم بسند صحيح على شرط مسلم.

[٣٦] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت: يا رسول الله إن لي جارَيْن فإلى أيهما أُهدي؟ قال: **«إلى أقربهما منك باباً»**.

رواه البخاري في الأدب (٥٤/١٣).

المراد بالجار في هذه الأحاديث المجاور في السكن، وفي هذه الأحاديث الوصية بالجار والإحسان إليه وتعاهده الآونة بعد الآونة بالهدية، ويقدم الأقرب في الجوار فالأقرب، والبرور بالجار من كمال الإيمان وحقوق المسلم على أخيه. وقد أخبر النبي ﷺ بأن جبريل عليه السلام لم يزل يوصيه به حتى ظنّ أنه سيجعله من جملة الأقارب الورثة لما له من عظيم الحقوق. وقد أمر الله تعالى في كتابه الكريم بالإحسان إليه فقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ...﴾ الآية.

وقدّم الجار ذا الرحم، ثم الجار الأجنبي لما للأول من الحقوق الزائدة على غيره.

ومن حقوق الجار مساعدته ومعاونته ولقاؤه بوجه طلق مع الابتسامة ومعاملته بالمعروف ورفع الأذى عنه وحفظ حرمته وحرمة أهله.

[٣٧] فعن أبي شريح رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: **«والله**

**لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»**، قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: **«الذي لا يأمنُ جاره بوائقه»**.

رواه البخاري في الأدب (١٣/٥٠)، ورواه مسلم عن أبي هريرة بلفظ: **«لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»**.

**«بوائقه»**: جمع بائقة، وهي الغائلة والفتك.

فقوله: **«والله لا يؤمن...»** إلخ، مكررة ثلاثاً ومؤكدة باليمين، يدل على عظيم جريمة مؤذي جاره، وأن ذلك ينفي عنه كمال إيمانه، لأن الإحسان إلى الجار من شعب الإيمان وعلامته، لقوله ﷺ: **«مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم جاره»**.

رواه الشيخان، ويأتي كاملاً في الضيافة.

ومن إكرامه رفع الضرر والإذاية عنه، وهذا أقل ما يمكن أن يعامل به الجار.

❊ ❊ ❊

## ❊ الإحسان إلى اليتامى والأرملة والمسكين

**[٣٨]** عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»** وقال بأصبعَيْه السَّبَّابة والوسطى.

رواه البخاري في الأدب (١٣/٤٣)، وفي الأدب المفرد (١٣٥)، وأبو داود (٥١٥٠)، والترمذي (١٧٦٤)، ورواه مسلم في الزهد (١٨/١١٣) بنحوه، ونحوه عن عائشة رواه أبو يعلى (٤/٢٦٣).

**[٣٩]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»**، وفي رواية: **«كالقائم لا يَفتُر، وكالصائم لا يفطر»**.

رواه البخاري في الأدب (١٣/٤٤)، ومسلم في الزهد والرقائق (١٨/١١٢).



«اليتيم» من الآدمي: من فقد أباه وهو صغير قبل الحلم، وكافل اليتيم القائم بكسوته سكناً وملبساً وأكلاً وشرباً. و«الأرملة» بفتح الهمزة والميم، التي مات عنها زوجها أو طُلّقت وبقيت أيْماً بلا زواج. و«الساعي»: هو الكاسب والقائم بمؤنتهما.

وفي الحديثين فضل عظيم وثواب فائق لمن يقوم باليتيم والأرملة والمسكين، فكفالة اليتيم تستوجب الكون مع رسول الله ﷺ في الجنة سوياً وهذه أمنية كل مسلم، أما القيام بشؤون الأرملة والمسكين فصاحبه يحرز على ثواب المجاهد في سبيل الله والصائم النهار القائم الليل، ولا يخفى ما جاء في فضل الصيام والقيام من الثواب الجزيل والأجر العظيم، وفّقنا الله للعمل بذلك، آمين.

❊ ❊ ❊

## ❊ الأخلاق والآداب العامة
## حقوق المسلم على أخيه وما جاء في ذلك

**[٤٠]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«حقُّ المسلم على المسلم سِتٌّ»**، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: **«إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجِبْه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فاتَّبِعْه»**.

رواه مسلم في الأدب (١٤/١٤٣)، وفي الباب غير هذا.

هذه بعض حقوق المسلم على أخيه، السلام عليه عند لقائه، ويأتي حكم ذلك، وإجابته إذا دعاك لنحو وليمة إذا توفرت شروط الدعوة، والنصح له إذا طلب منك النصيحة، وتشميته إذا عطس فحمد الله بأن تقول له: يرحمك الله، وعيادته إذا مرض، واتباع جنازته إذا توفي.

❊ ❊ ❊

## ❋ التعاون الاجتماعي بين المسلمين

[٤١] عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثَلُ المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحُمَّى والسهر»**.

رواه البخاري في الأدب (٤٦/١٣)، ومسلم في البر (١٤٠/١٦). وفي رواية لمسلم: **«المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد...»** إلخ.

وفي رواية: **«المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»**.

قوله: «تداعى»، أي: يدعو بعضه بعضاً إلى المشاركة فيما نزل به من الألم.

فهذا مثَل ضربه النبي ﷺ للمؤمنين من أمته وأنه يجب عليهم أن يكونوا متعاطفين متراحمين متحابّين مع بعضهم بعضاً كالجسد الواحد، وهذا خلق عظيم تخلى المسلمون عنه وأصبحوا متباغضين متقاطعين شعوباً ودولاً جماعات وأفراداً غفر الله لنا وتولى أمرنا.

[٤٢] وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»** ثم شبك بين أصابعه.

رواه البخاري في المساجد وفي المظالم وفي الأدب (٥٨/٥٧/١٣)، ومسلم في البر (١٣٩/١٦) والترمذي (١٧٧٤).

ففي الحديث بيان أن المؤمنين مثلهم كالبنيان في التعاضد والتعاون والتناصر، غير أن ذلك خاص في أمور الآخرة من البر والتقوى كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾.

❋ ❋ ❋



## ❋ رحمة الناس والبهائم

[٤٣] عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»**.

رواه أحمد (١٦٠/٢)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٧٧٠)، والحاكم (٢٤٨/٤) وصححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي، وهو صحيح لطرقه وشواهده.

وفي الحديث فضل الرحماء من عباد الله، وأن من يرحم أهل الأرض يرحمه الله عزّ وجل.

والحديث يشمل كل خلق الله من مؤمن وكافر وحر وعبد وحيوان، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام، والسقي، والتخفيف في الحمل بالنسبة للبهائم وترك ضربهم.

[٤٤] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل إليه فملأ خُفَّه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له»**، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: **«في كل ذات كبد رطبة أجر»**.

رواه البخاري في الأدب (٤٥/١٣) وفي الطهارة، وفي المظالم، ومسلم في كتاب الحيوان (٢٤١/١٤)، وأبو داود في الجهاد.

الثرى بفتح الثاء المشددة: وهي الأرض التي فيها الندى. قوله: «فشكر الله له» أي: أثنى عليه وقبل جازاه عليه. وقوله: «في كل ذات كبد رطبة» أي: في كل حيوان له كبد رطبة، أي: حية، ومعنى رطبة أي: رطوبة الحياة لأن الميت يجف جسمه وتيبس كبده.

وفي الحديث فضل رحمة خلق الله حتى الحيوانات، وأن من رحم خلقاً فيه حياة رحمه الله تعالى وغفر له ولم يحرمه من ثواب ذلك.

غير أن إطعام الخلق وسقيهم إذا كانوا محترمين وأذِنَ الشارع في الإحسان إليهم كمطلق المؤمنين والحيوانات المأذون فيها والكافر المعاهد أو الأسير مثلاً، أما غير هؤلاء كالكافر المحارب أو الحيوانات المأذون في قتلها كالفواسق الخمس أو الست من الحية، والعقرب، والحُدَيا، والغراب، والفأرة، والكلب العقور مثل الأسد، والنمر، والذئب، والثعلب، فهؤلاء لا يجوز إطعامهم ولا سقيهم بل ولا تربيتهم.

❊ ❊ ❊

## ❊ ذم المنزوع منهم الرحمة

[٤٥] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق ﷺ يقول: **«لا تُنزَعُ الرحمة إلا من شقي»**.

رواه أحمد، رقم (٧٩٨٨) وفي مواضع أخرى، والطيالسي (٢٠٧٢)، وأبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٧٦٩) بتهذيبي، وابن حبان (٢٠٦٥)، والحاكم (٤/٢٤٨/٢٤٩) وسنده صحيح.

وقد قدّمنا حديث: **«مَن لا يَرحم لا يُرحم»**، كما قدّمنا حديث: **«لقد حجَّرت واسعاً»** تقدم في الطهارة.

ففي الحديث ذم شديد لمن لا يرحمون خلق الله وأنهم من جملة الأشقياء عياذاً بالله تعالى.

## ❊ التنفيس على المسلمين وستر عوراتهم ومساعدتهم وقضاء حوائجهم

[٤٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«مَن نفَّس عن مسلم كربة من كُرَب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومَن يسّر على مُعسِرٍ في الدنيا يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبدُ في عَوْن أخيه»**.



رواه مسلم (١٧/٢١) في الذكر والدعاء، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٦)، والترمذي (١٧٧٦)، وابن ماجه وغيرهم، وزاد مسلم: **«ومَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نَسَبُهُ»**.

قوله: «مَن نفّس» أي: أزال عنه تلك وكشفها.

والحديث جامع لأنواع من الأخلاق والآداب، ففيه فضل قضاء حوائج المسلمين، وتفريج كربهم، والتيسير عليهم ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو مساعدة أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة، وفيه الستر على المسلمين، والغض عن عوراتهم وعدم كشفها وبثها بين الناس.

[٤٧] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يشتمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»**.

رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٣٤/١٣٥)، وأبو داود (٤٨٩٣)، والترمذي (١٢٩٦) وفيه أن أُخوة الإسلام تقتضي عدم ظلم المسلم وسبه والطعن فيه، كما فيه أن من كان ساعياً في مساعدة أخيه وقضاء حاجته كان الله تعالى معيناً له على قضاء حوائجه، فالجزاء من جنس العمل كما فيه فضل تفريج كرب المسلمين، وبالتالي فضل ستر المسلم وعدم كشف ما صدر منه من الزلّات إذا كان من ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفاً بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك ولا سيما إذا كانت زلّته تتعلق بحق مسلم من مال أو انتهاك عرض وكرامة فإنه لا يجوز الستر عليه في ذلك، بل ينكر عليه ويرفع أمره إلى ذوي السلطة.

❊ ❊ ❊

## ❊ احترام الكبير وتوقيره ورحمة الصغير

[٤٨] عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منا مَن لم يرحم صغيرنا، ولم يعرف شرف كبيرنا»**.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٥٤)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٣)، والترمذي (١٧٦٦) وصححه وذلك لشواهده.

قوله: «ولم يعرف شرف كبيرنا» في رواية: **«ويعرف حق كبيرنا»**، وهي رواية للبخاري وأبي داود، وفي رواية للبخاري: **«ويجل كبيرنا»**.

الحديث بجميع ألفاظه يدل على مشروعية احترام الكبير من الرجال والنساء وخاصة إذا اجتمع كبر السن وكبر القدر كالعلم مثلاً، والاستقامة، والشرف، والتوقير والاحترام يكون بأشياء كثيرة كالتقديم مثلاً في الصلاة، والكلام، والأكل، وخفض الصوت عند مكالمتهم، ومساعدتهم في الجلوس والقيام والمشي، ونحو ذلك. كما في الحديث رحمة الصغير والعطف عليه وملاطفته وتعليمه وتأديبه بالليونة والرفق.

❊ ❊ ❊

## ❊ أحاديث جامعة للخير والمعروف

[٤٩] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عزّ وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مَرِضْتُ فلم تَعُدْني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلاناً مرض فلم تعُدْه؟ أما علمتَ أنك لو عُدتَه لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تُطعمني، فقال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك**



**وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»**.

رواه مسلم في البر والصلة (١٢٦/١٢٥/١٦).

قوله: «مرضت فلم تعدني» أي: مرض عبدي، ونسبه تعالى إلى نفسه تشريفاً للعبد وتقريباً له، قال عياض ثم النووي: ومعنى وجدتني عنده، أي: وجدت ثوابي وكرامتي، ويدل عليه قوله في باقي الحديث: **«لو أطعمته لوجدت ذلك عندي»** **«لو أسقيته لوجدت ذلك عندي»**، أي: ثوابه، وقد يحمله بعضهم على ظاهره فيفوض كيفيته ومعناه ولا يؤوله لا بمعية الذات ولا العلم.

[٥٠] عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: **«إيمانٌ بالله، وجهادٌ في سبيله»**، قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: **«أغلاها ثمناً، وأنفسها عند أهلها»**، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: **«تُعين صانعاً أو تصنع لأخرق»**، قال: فإن لم أفعل؟ قال: **«تدعُ الناس من الشر، فإنها صدقة تصدَّق بها على نفسك»**.

رواه البخاري في العتق (٢٥١٨)، ومسلم في الإيمان رقم (٨٥).

الأخرق: هو الذي لا صنعة له.

وفي الحديث بيان بعض أفضل الأعمال التي منها الإيمان والجهاد في سبيل الله، وبيان أفضل ما يعتقه الإنسان من الرقاب وهي ما كانت أغلا ثمناً وأفضلها عند أهلها، وفيه فضل معاونة الصانع أو العمل لجاهل صنعة مثلاً ومساعدته، كما أن فيه رفع الشر والإذاية عن الناس، وأن ذلك يُعتبر صدقة وهو عمل سلبي ليس فيه كبير كلفة.

[٥١] وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: **«على كل مسلم صدقة»** قالوا: فإن لم يجد؟ قال: **«فليعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدّق»**، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: **«فيُعين ذا الحاجة الملهوف»**، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: **«فيأمر بالخير أو يأمر بالمعروف»**، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: **«فلْيُمْسِك عن الشر فإنه له صدقة»**.

رواه البخاري في الأدب (١٣/٥٥)، ومسلم في الزكاة (٧/٩٤).

المعروف: اسم كل فعل يُعرف حُسْنُه بالشرع والعقل معاً كما قال العلماء. و«الملهوف»: هو المضطر أو المظلوم.

والحديث يدل على أن الصدقة لا تنحصر في التصدُّق بالمال مثلاً بل كل فعل خير يعتبر صدقة. وقوله: «على كل مسلم صدقة» تقدم في الصلاة أنها ثلاثمائة وستون وأنه تقوم مقامها ركعتا الضحى.

**[٥٢]** وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الهلاك صدقة، وبصرُك للرجل الرديء البصر صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة»**.

رواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي (١٨٠٢)، وابن حبان (١٠٧٦/٨٦٤) وهو حسن أو صحيح لشواهده.

وهذا كسابقه يقتضي أن كل ما فيه نفع للغير جلباً أو دفعاً يعتبر صدقة، وسيأتي مزيد لهذا لاحقاً إن شاء الله تعالى.

**[٥٣]** وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع: بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المُقْسم.

ونهى عن الشرب في الفضة، ونهى عن تختُّم الذهب، وعن ركوب المياثر، وعن لبس الحرير والديباج، والقسي والإستبرق.

رواه البخاري في الأدب (١٣/٢٥٤/٢٥٥)، ومسلم في اللباس (١٤/٣١) مع النووي.

وقد تقدم معنى أكثر هذه الألفاظ ويأتي بعضها كنصر المظلوم، وإفشاء السلام، أما إبرار المقسم فمعناه: أن من حلف له على شيء فلا يحنثه بل يوافقه على ما حلف عليه، وليبرّه إذا لم يكن المحلوف عليه معصية.



**[٥٤]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«سبعةٌ يُظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادل، وشابٌ نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلّق، في المساجد** وفي رواية: **- إذا خرج منه حتى يعود إليه - ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»**.

رواه البخاري في الزكاة (١٤٢٣)، وفي انتظار الصلاة (٦٦٠)، وفي الرقاق (٦٤٧٩)، ومسلم في إخفاء الصدقة من كتاب الزكاة (٧/١٢٠/١٢٢)، ومالك في الجامع، والترمذي في الزهد (٢٢٠٩)، وكذا أحمد (٢/٤٣٩)، والنسائي في الكبرى (٣/٤٦١).

في الحديث فضل هؤلاء الأصناف السبعة وأنهم ممن لا يحزنهم الفزع الأكبر ولا يصيبهم هول الموقف، بل سيكونون مظللين تحت ظل الله، جعلنا الله تعالى منهم بمنّه وكرمه آمين آمين آمين، ويأتي الحديث مرة أخرى في الرقائق.

**[٥٥]** وعن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطُّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك - أو عليك -، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»**.

رواه مسلم في أول الطهارة (٣/٩٩/١٠٠)، وأحمد (٥/٣٤٢/٣٤٣/٣٤٤)، والترمذي في الدعوات رقم (٣٢٨٦) بتهذيبي، والدارمي في الطهارة، والبيهقي (١/١٠/٤٢) وعند بعضهم كالترمذي: «الوضوء شطر...» إلخ.

وقوله: «شطر الإيمان» أي: نصفه، وأصح ما قيل في هذا: أن الإيمان المراد به الصلاة، والطهور الوضوء، وهو شرط صحة لها فهو

كالنصف لها والصلاة يطلق عليها الإيمان كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم. وقيل: إن الأجر فيه ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان. وقوله: «تملآن» معناه: لو قدر ثواب ذلك أجساماً لملأت ما بين السماوات والأرض. وقوله: «والصلاة نور» لأنها تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب، كما أن النور يستضاء به، وقيل: إن أجرها سيكون نوراً لصاحبها يوم القيامة، وقيل: لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف وانشراح الصدر... وللصلاة شأن في الإسلام ومزايا ليست لغيرها. وقوله: «والصدقة برهان» أي: تكون حجة على إيمانه، وقيل: يفزع إليها كما يفزع إلى البراهين فتكون يوم القيامة برهاناً لصاحبها، وقيل غير ذلك. وقوله: «والصبر ضياء» فمعناه: الصبر المحبوب في الشرع وهو الصبر على طاعة الله تعالى وعن المعاصي وعلى النائبات وأنواع المكاره، فلا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب. وقوله: «حجة لك» أي: من عمل به كان حجة له يدافع عنه ومن خالفه كان حجة عليه ضده يخاصمه. وقوله: «كل الناس يغدو» معناه: كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيهلكها. أفاده النووي رحمه الله تعالى وغيره.

❊ ❊ ❊

## ❊ التحابب في اللّه وما يتبع ذلك

**[٥٦]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابُون بجلالي، اليوم أُظِلُّهم في ظِلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظِلِّي».**

رواه مالك في الجامع من الموطأ (١٨٤٠)، ومسلم في البر والصلة (١٢٣/١٦).

قوله: «بجلالي» أي: بعظمتي وطاعتي.



ومعناه: أن المؤمنين الذين كانوا في الدنيا يتبادلون الحب فيما بينهم لله تعالى كاجتماع على الدعوة إلى الله أو تعلم علم شرعي أو تلاوة القرآن أو ذكر الله تعالى وغير ذلك، سيناديهم الله عزّ وجل: أين المتحابون لأجلي، اليوم أجعلهم تحت ظل عرشي من حر الشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلق وهول ذلك المشهد.

**[٥٧]** وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله عزّ وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء».**

رواه الترمذي (٢٢٠٨) وحسّنه وصححه، وابن حبان (٢٥١٠) وسنده صحيح.

**[٥٨]** وعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله تعالى قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى شاب، برّاق الثنايا، وإذا الناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن قوله، فسألت عنه فقيل: هذا معاذ بن جبل، فلما كان الغد هجَّرتُ فوجدته قد سبقني بالتهجير ووجدته يصلي، قال: فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قِبَل وجهه فسلّمت عليه ثم قلت: والله إني لأحبك للّه، فقال: آللّه؟ فقلت: آللّه، فقال: آللّه؟ فقلت: آللّه، فقال: آللّه؟ فقلت: آللّه، فأخذ بحبوة ردائي فجبذني إليه وقال: أبشِر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ».**

رواه أحمد (٢٣٣/٢٢٩/٥)، ومالك في الموطأ (١٨٤٣)، وابن حبان بالإحسان (٥٧٥/٢)، والحاكم (١٦٩/٤) وصححه على شرط الشيخين. قال ابن عبدالبر: هذا إسناد صحيح.

وتقدم حديث السبعة وفيه: **«ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه».**

قوله في الحديث الأول: يغبطهم أي: يستحسن حالهم أكابر أهل الجنة من الأنبياء والشهداء، وذلك لما أعدّ الله لهم من منازل ودرجات.

والحديثان يدلان على فضل التحابب والتجالس والتزاور والتباذل لله عزّ وجل لا لشيء من حظوظ الدنيا والنفس، وأن ذلك يوجب محبة الله لهم.

[٥٩] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ **«أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله له على مَدْرَجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا غير أني أحبه في الله عزّ وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»**.

رواه مسلم في البر والصلة (١٦/١٢٣/١٢٤).

قوله: «فأرصد» أي: أقعده يرقبه. قوله: «مدرجته» أي: طريقه. قوله: «تربها» بفتح التاء وضم الراء والباء المشددة، أي: تقوم بإصلاحها.

وفيه كسابقَيْه أن الحب في الله يوجب محبة الله لعبده. قال العلماء رحمهم الله: محبة الله عبده هي رحمته له ورضاه عنه وإرادته له الخير.

وفي الحديث فضيلة زيارة الإخوان والأصحاب وخاصة إذا كانوا صالحين.

وفيه حجة لمن يقول بصحة رؤية الملائكة، والأحاديث بذلك كثيرة تقدم بعضها، ويأتي حديث حنظلة الأسيدي في الرقائق في ذلك.

* * *

## ❊ إذا أحبّ اللّه عبداً حَبَّبَه إلى الناس

[٦٠] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله إذا أحبّ عبداً دعا جبريل عليه السلام فقال: إني أحب فلاناً فأحِبَّه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبُّوه فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً**



**دعا جبريل عليه السلام فيقول: إني أُبغض فلاناً فأبغِضْه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»**.

رواه مالك (١٨٤٢)، والبخاري في الأدب (١٣/٧١)، وفي التوحيد باب كلام الرب عزّ وجل، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٨٣/١٨٤) والترمذي في التفسير (٢٩٥٧) وكذا أحمد (٢/٣٤١/٥١٤).

الحديث يدل على أن العبد المؤمن إذا عمل بطاعة الله واتقاه أيضاً، أحبّه تعالى وأحبّه جبريل وملائكة الله، ثم يوضع له الحب في قلوب عباده المؤمنين فتميل إليه القلوب وترضى عنه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ أي: حباً في قلوب المؤمنين. ويا بشرى لمن أحبّه الله عزّ وجل، فإن من أحبّه كان سمعه وبصره ويده... يسمع بالله ويبصر به ويبطش به، وسيأتي حديث: «**كنت سمعه...**» إلخ، في الرقائق.

أما من عمل بمعصية الله وتمرّد عليه وجاهره بالكفر أو الفسوق والفجور فإن الله عزّ وجل يبغضه ويبغِّض فيه ملائكته وعباده المؤمنين من أهل الأرض، ويا خيبتاه، وقد تكلم الناس في محبة الله تعالى وبغضه، والذي نراه الإمساك عن ذلك واعتقاد أنهما صفتان للّه عزّ وجل لا ندري كيفيتهما ولا معناهما، وليستا كمحبة العباد وبغضهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

* * *

## ❊ المرء مع من أحب

[٦١] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله متى قيام الساعة؟ فقام النبي ﷺ إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال: «**أين السائل عن قيام الساعة؟**» قال الرجل: أنا ذا يا رسول الله،

قال: **«ما أعددت لها؟»** قال: يا رسول الله والله ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم، ولكن أحب الله ورسوله، فقال النبي ﷺ: **«المرء مع من أحب، وأنت مع من أحببت»**، قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بها. قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

رواه البخاري في الأدب (٦١٩٧) (ح١٣/١٧٣/١٧٤)، وفي فضائل الصدِّيق (٣٦٨٨)، وفي الأحكام (٧١٥٣)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٨٥/١٨٨) والترمذي (٢٢٠٤) في الزهد، وغيرهم.

**[٦٢]** وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحبّ قوماً ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: **«المرء مع من أحب»**.

رواه البخاري في الأدب (١٣/١٧٨)، ومسلم في البر (١٦/١٨٨).

والحديث ذكر في المتواتر، وقد رواه نحو عشرين صحابياً.

قوله: «ولما يلحق بهم» يعني: لم يلحقهم بعمله. وفي الحديثين بشارة عظيمة للمحبين للصالحين من الأنبياء والصحابة والأئمة والعلماء الربانيين والزهّاد والعباد وكل صالح تقدم أو تأخر، فإن من يحب هؤلاء سيكون معهم في الجنة إن شاء الله، ولا يلزم من قوله: **«أنت مع من أحببت»**، وقوله: **«المرء مع من أحب»** أن يكون في منازل من يحبهم، بل يكفي أن تجمعه وإياهم الجنة.

وهذا من فضل الله على عبده المؤمن ولطفه به حيث جعله بمحبته للصالحين محبة صادقة ونية خالصة معهم في الجنة ولو بدون كبير عمل، اللهم إنا نشهدك وكفى بك شهيداً، ونشهد ملائكتك الحافظين على أني أحبك وأحب جميع أنبيائك ورسلك وخاصة خاتمهم صلواتك وسلامك عليه وعليهم، وأحب آل بيت نبيك الأطهار وزوجاته الطاهرات، وأصحابه من المهاجرين والأنصار وكل صادق منهم، وأحب كل الأئمة والعلماء الربانيين والصوفية العارفين والزهّاد والنسّاك والعباد المخلصين، وأحب كل صالح من



المؤمنين، فأسألك يا رب سؤال الذليل الحقير المضطر الفقير أن تحشرني معهم وتُدخلني الجنة في زمرتهم بدون سابقة عتاب ولا حساب ولا عقاب فإنه لا يتعاظمك شيء، وفضلك واسع ورحمتك شاملة.

* * *

## ❊ مَن أحبّ شخصاً في اللّه فليعلمه

**[٦٣]** عن المقدام بن معد يكرب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أحبّ أحدكم أخاه فليعلمْه إيّاه»**.

رواه أحمد (٤/١٣٠)، وأبو داود (٥١٢٤)، والترمذي (٢٢١٠)، وابن حبان (٢٥١٤) وحسنه الترمذي وصححه، وسنده صحيح.

**[٦٤]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مرّ رجل بالنبي ﷺ وعنده ناسٌ، فقال رجل ممن عنده: إني لأحب هذا للّه، فقال النبي ﷺ: **«أعْلَمْتَه؟»** قال: لا، قال: **«قم إليه فأعْلِمْهُ»**، فقام إليه فأعلمه فقال: أحبَّك الذي أحببتني له.

رواه أحمد (٣/١٥٠)، وأبو داود (٥١٢٥)، والحاكم (٤/١٧١) وصححه ووافقه الذهبي، ونحوه عن أبي ذر رواه أحمد (٥/١٤٥/١٤٧) بسند صحيح.

في الحديثين مشروعية إعلام المرء أخاه حبه إياه ليقع تبادل الحب من الجانبين. قال البغوي: فيه الحث على التودد والتآلف، وذلك أنه إذا أخبره استمال بذلك قلبه واجتلب به وُدَّه.

* * *

## ❊ الجليس الصالح والأمر بصحبة الصالحين

**[٦٥]** عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«إنما مَثَلُ الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل**

**المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة».**

رواه أحمد (٤/٤٠٤/٤٠٥/٤٠٨)، والبخاري في البيوع (٢١٠١)، وفي الذبائح (٥٥٣٤)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٧٨)، ومثله عن أنس رواه أبو داود (٤٠٤٢) بسند صحيح.

قوله: «يحذيك» بضم الياء، أي: يعطيك.

في الحديث تمثيله ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ كير الحداد، لأن الجليس الصالح قد تنتفع به في دينك كأخذ علم عنه مثلاً أو اقتداءً به في هديه وسمته ونحو ذلك، أما جليس السوء فلا يصيبك منه إلا ما يخدش دينك من مشاركته فيما يصدر منه من فجور كغيبة وكذب ونحوهما من الأمور المذمومة. وفي الحديث الحض على مجالسة الصالحين وأهل الخير ومكارم الأخلاق والعلم والأدب، والتنفير من مجالسة أهل الشر ومن شأنهم المعاصي.

**[٦٦]** وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي».**

رواه أحمد (٣/٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٢١٤) والدارمي، وابن حبان (٢٠٤٩/٢٥٠). والحاكم (٤/١٢٨) وصححه ووافقه الذهبي، وسند الحديث حسن.

في الحديث النهي عن مصاحبة غير المؤمن، يعني المستقيم، لأن الطباع تسرق بعضها، فمصاحبة قرناء السوء خطر على الملتزم وبالأحرى الساذج الفطري.

قال الخطابي: وإنما حذّر من صحبة من ليس بتقي، وزجر عن مخالطته ومؤاكلته لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب.

فلا ينبغي للإنسان أن يطعم طعامه غير المؤمنين الأتقياء ومن قاربهم.



**[٦٧]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».**

رواه أحمد (٢/٢٠٣/٤٣٤) وأبو داود (٤٨٣٣) والترمذي في الزهد (٢١٩٦) بتهذيبي والحاكم (٤/١٧١) والحديث حسن لغيره، ولذا حسّنه الترمذي وصححه النووي.

الحديث ظاهر في أن الإنسان يستقي أخلاقه ويكتسبها من أصدقائه وأخلائه، وعلى ذلك يكون دينه، فلذلك كان من واجبه أن يختار الأصدقاء والأصحاب، فإن للصحبة لشأناً في تهذيب الأخلاق وإفسادها.

* * *

## ❊ البر وحُسن الخُلُق

**[٦٨]** عن النوّاس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: **«البِرُّ حسن الخُلُق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهتَ أن يطّلع عليه الناس».**

رواه أحمد (٤/١٨٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٢/٢٩٥)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١١٠/١١١)، والترمذي في الزهد (٣٣٠٧) بتهذيبي، والدارمي (٢٧٩٣) وغيرهم.

قوله: «حاك في صدرك» أي: تحرك وتردد ولم ينشرح له الصدر وخيف كونه ذنباً.

قال النووي: قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة، وحُسْن الصحبة والعِشرة، وبمعنى الطاعة، قال: وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق. وقال الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى: حُسْن الخُلُق هو بَسْطُ الوجه، وبَذْلُ المعروف، وكَفُّ الأذى.

وفي الحديث بيان ما يعرف به الإثم من غيره، وأن كل ما لم تطمئن

إليه النفس وينشرح له الصدر ووقع فيه تردد وكره الإنسان أن يطلع عليه غيره وهو مرتكبه فهو الإثم أو قريب منه، غير أن هذا لا يكون إلا من قلب المؤمن المتقي المنوَّر القلب، أما غيره فقد ينشرح صدره للإثم ولا يحصل له فيه تردد.

[٦٩] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أكملَ المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً، وخياركم خياركم لنسائكم»**.

رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي في الرضاع (١٠٤٥)، والدارمي (٢٧٩٥)، وابن حبان (١٣١١)، والحاكم (٣/١) وحسنه الترمذي وصححه، وفي الأدب من صحيح البخاري (٦٦/١٣) عن ابن عمر مرفوعاً: «إن خياركم أحسنكم أخلاقاً» وانظر الفتح على ذلك.

الحديث يدل على أن الخُلُق الحسن من كمال الإيمان، وأن السيئ الخُلُق إيمانه ناقص مبتور، وقد جاءت أحاديث في فضل صاحب الخُلُق الحسن.

[٧٠] فعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أحبِّكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارين والمتشدقين والمتفيهقين**» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيهقون؟ قال: **«المتكبرون»**.

رواه الترمذي في البر والصلة (١٨٦١) بسند صحيح، ومبارك بن فضالة صرّح بالتحديث، وللحديث شواهد أشرت إليها في تهذيب الجامع في الرقم المذكور.

وفي الحديث بشارة للأحسنين أخلاقاً، وكفاهم فخراً محبة الرسول ﷺ وقربهم منه يوم القيامة.

كما فيه ذم المتشدقين بالكلام والمتعاظمين الأنانيين وأنهم من أبغض الناس إلى رسول الله ﷺ وأبعدهم منه يوم القيامة، وأي خسارة فوق ذلك؟



[٧١] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن المؤمن ليدرك بحُسْن خلقه درجة القائم الصائم»**.

رواه أبو داود في الأدب (٤٧٩٨)، وابن حبان (١٩٢٧)، والحاكم (٦٠/١) ورجاله ثقات مع اختلاف في وصله ولكنه صحيح لشاهد له رواه البغوي في شرح السنة (٣٤٩٩) من حديث أبي أمامة، وشاهد آخر عن أبي الدرداء رواه الترمذي (١٨٤٧) بسند حسن.

وفي الحديث فضل عظيم لحسن الخلق وأن صاحبه ليصل به إلى درجة القائم الليل، الصائم النهار، وأي فضل أعظم من هذا؟ وما ذلك إلا لحسن معاشرة الناس وتحمُّل أذاهم، وما أثقل ذلك على النفوس.

[٧٢] وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حسن**».

رواه أبو داود في الأدب (٤٧٩٩)، والترمذي (١٨٤٦)، وابن حبان (١٩٢٠)، وحسّنه الترمذي وصححه، وهذا أيضاً من فضائل الخلق الحسن وأنه من أثقل شيء في ميزان صاحبه يوم القيامة، ومَن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون وهم في عيشة راضية، بل حسن الخلق من أكثر أسباب دخول الجنة يوم القيامة.

[٧٣] فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة قال: **«تقوى الله وحُسْن الخُلُق»** وسئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار قال: **«الفم والفرج»**.

رواه الترمذي في البر والصلة (١٨٤٨)، وابن حبان (١٩٢٣) وحسّنه الترمذي وصححه.

ففي الحديث بيان ما يوجب دخول الجنة والنار في الأكثر، فذكر من أكثر ما يُدخل الجنة حسن الخلق مع تقوى الله، أما أكثر ما يُدخل النار فذكر منها الأخطرين على الإنسان وهما: الفم والفرج، لأنهما العضوان

الخطيران، ولذلك جاء عن النبي ﷺ: **«من يضمن لي ما بين لِحيَيه ورجليه أضمن له الجنة»**.

رواه البخاري ويأتي في الرقائق.

والخلق الحسن كما رغب فيه النبي ﷺ كذلك أمر به وأرشد أبا ذر ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنهما إلى التخلق به.

**[٧٤]** فعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتّقِ الله حيثما كنت، وأتبِع السيئة الحسنة تمحُها، وخالق الناس بخُلُق حسن»**.

رواه أحمد (١٥٣/٥)، والدارمي (٣٧٩٤)، والترمذي (١٨٣١) في البر والصلة، والحاكم في الإيمان (٥٤/١) وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم على شرطهما، وليس كذلك بل هو صحيح فقط.

وعن معاذ نحوه، رواه أحمد (٢٣٦/٥)، والترمذي (١٨٣٢).

فهذه وصية جامعة من النبي ﷺ لأبي ذر ومعاذ خاصة ولسائر الأمة عامة، وإرشاد منه ﷺ لنا بتقوى الله في كل الأمكنة وسائر الأزمنة والأحوال، وناهيك بتقوى الله ثم إرشاده لنا بأن نتبع ما نقترفه ونأتيه من سيئات بالحسنات لتُمْحى بذلك ويُغفر لنا، ثم ختم وصيته بالأمر بمعاملة الناس بالخلق الحسن، وهو كما قدّمنا بسط الوجه للناس وملاقاتهم بالابتسام، ثم بذل المعروف لهم وما ينفعهم، ثم كف الأذى ورفع الشر عنهم، ويزاد على ذلك تحمُّل أذاهم والصبر على ذلك.

* * *

## ❊ مشروعية معاملة الناس بالرفق واللين وطلاقة الوجه

**[٧٥]** عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«يا عائشة إن الله رفيقٌ يحب الرِّفق، ويعطي على الرِّفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»**.



رواه مسلم في البر والصلة (١٤٦/١٦). وفي رواية: **«إن الله يحب الرفق في الأمر كله»** رواه البخاري في الأدب، ومسلم في السلام (٢١٦٥).

**[٧٦]** وعنها في رواية عن النبي ﷺ قال: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»**.

وفي رواية: ركبت عائشة بعيراً فكانت فيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله ﷺ: **«عليك بالرفق...»** إلخ.

رواه مسلم بالروايتين (١٤٧/١٤٦/١٦).

**[٧٧]** وعن جرير رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَن يُحرَم الرِّفق يُحرَم الخير»**.

رواه مسلم (١٤٦/١٤٥/١٦) مع النووي.

**[٧٨]** وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِم حظه من الرفق فقد حُرِم حظه من الخير»**.

رواه أحمد (٤١٥/٦) والترمذي (١٨٥٦) بتهذيبي، وحسنه وصححه وذلك لشواهده.

الرفق: بكسر الراء، لين الجانب واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه، وهو ضد العنف، وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها جواز إطلاق الرفيق على الله، وقد منعه جماعة وأجازه آخرون وهو الصحيح. وهو بالنسبة للّه تعالى اللطيف بعباده الذي يعاملهم بإحسانه وإمداداته الجمالية ويشملهم برحمته العامة سواء منهم المؤمن والكافر، والطائع والعاصي...

وفي هذه الأحاديث إرشاد من النبي ﷺ لأمته بأن يتعاملوا بالرفق واللينونة ويدعوا العنف والخشونة فإن الله تعالى يعطي من الخير ويسهل من المطالب بالرفق ما لا يتأتى بغيره من الخشونة والشدة، وهذا بحمد الله مشاهد.

[٧٩] وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بمن يَحْرُمُ على النار، ومن تَحْرُمُ عليه النار؟ على كل قريب هين سهل»**.

رواه أحمد (٣٩٣٨)، والترمذي (٢٣٠٨) في أبواب صفة القيامة، وابن حبان (١٠٩٦) وسنده حسن وهو صحيح لشواهده، انظرها في المجمع (٧٥/٤).

[٨٠] وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون فذكر الحديث المتقدم في الاعتصام وفيه: **«فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما انقيد انقاد»**.

رواه أحمد (١٢٦/٤)، وابن ماجه في المقدمة (٤٣)، والحاكم (٩٦/١) بهذه الزيادة وسنده صحيح.

وله شاهد عن مكحول مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإن أُنيخ على صخرة استناخ»**.

رواه ابن المبارك في الزهد (٣٨٧).

قوله: «الأنف» هو الذي عقره الخطام، أو الذلول الذي لا يمتنع على قائده فمتى قاده انقاد.

وفي الحديثين بيان صفة المؤمن وأنه هين لين ليس بفظ ولا غليظ.

وقد قال تعالى لنبيه ﷺ مؤدباً له: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ وقال له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

[٨١] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«المؤمن غِرٌّ كريمٌ، والفاجر خَبٌّ لئيم»**.

رواه أحمد (٣٩٤/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (١٤١٨)، والترمذي في البر والصلة (١٨١٠) بتهذيبي، وأبو داود في الأدب (٤٧٩٠)،



والطحاوي في المشكل (٢٠٢/٤)، والحاكم (٤٣/١) وهو حديث حسن الطريقين له، بل قد يصحح على مذهب جماعة.

«غِرٌّ»: بكسر الغين و«خَبٌّ»: بفتح الخاء وكسرها، والغِر: الذي من شأنه الاغترار وقلة الفطنة، والخب: الخداع المفسد.

ومعنى الحديث، أن المؤمن من شيمته وطبعه قلة الفطنة للشر واغتراره بظواهر الأمور، ولا يكون ذلك منه جهلاً ولكن لشرف نفس وحسن خلق وترك البحث عن أحوال الناس وتغاضيه عن الشرور، أما غيره من الفجرة فعادته وطبعه الدهاء والبحث عن الشر مع خبث ولؤم.

[٨٢] وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال لي النبي ﷺ: **«لا تَحقِرَنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق»**.

رواه أحمد (١٧٣/٥)، ومسلم في البر والصلة (١٧٧/١٦)، وتقدم مطولاً بمعناه رقم (٥٢).

وقوله: «بوجه طَلْق» أي: سهل منبسط.

[٨٣] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تَلْقى أخاك بوجه طلق، وأن تُفرغ من دلوك في إناء أخيك»**.

رواه أحمد (٣٦٠/٣٤٤/٣) والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي في البر (١٨١٥) والحاكم.

وأوله في الصحيحين: **«كلُّ معروف صدقة»** وحسّنه الترمذي وصححه لشواهده.

[٨٤] وعن أبي جرَي جابر الهجيمي عن النبي ﷺ قال: **«لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي، وأن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط»**. الحديث يأتي بتمامه في السلام.

رواه أحمد (٦٤/٦٣/٥) و(٤٨٣/٤٨٢/٣)، وأبو داود في اللباس

(٤٠٨٤)، وفي الأدب (٥٢٠٩) والترمذي في الاستئذان (٢٥٣٦) وحسنه وصححه، وسنده صحيح كما ذكرته في التهذيب.

وفي هذه الأحاديث بيان أن لقاء الإخوان المؤمنين مع الابتسامة ووجه طلق منبسط من المعروف الذي يعتبر صدقة، ومن خصال الإيمان وشعبه وعلامات حسن خلق صاحبه، والله الموفق الهادي لأقوم طريق.

* * *

## ❊ مداراة من يُتَّقى فُحْشُه وجواز اغتيابه

[٨٥] عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه استأذن على النبي ﷺ رجل فقال: «**ائذنوا له فبئس ابن العشيرة، - أو: بئس - أخو العشرة**» فلما دخل ألان له الكلام فقلت له: يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنتَ له في القول؟ فقال: «**أي عائشة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه** أو: **ودعه الناس اتقاء فُحشه**»، وفي رواية: «**يا عائشة متى عهدتني فحاشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره**».

رواه أحمد (١٥٨/٦)، والبخاري في الأدب (١٤٤/١٣) (٦٣/٦٢/٨١)، ومسلم في البر والصلة (١٤٤/١٤٣/١٦)، والترمذي في البر كذلك (١٨٤١) وهو عند أحمد بزيادة.

«بئس» أي: قبح هذا الرجل من هذه العشيرة، والرجل هو عيينة بن حصن، وكان ذلك قبل إسلامه لكنه ارتدّ بعد وفاة النبي ﷺ وجيء به إلى الصديق.

وقوله: «**اتقاء فحشه**» أي: تحفُّظاً من شره.

وفي الحديث مشروعية المداراة ومجاملة الناس وحسن صحبتهم ولو كانوا كفاراً أو فسقة تحفُّظاً من شرهم وهذا إذا لم يؤد إلى مداهنتهم وإقرارهم على منكر، وتحسين حالتهم. وذكر البخاري عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: وإنّا لَنَكْشُرُ في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم. وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: خالط الناس ودينك لا تَكْلِمَنَّهُ. والكشر:



هو إظهار الأسنان عند الضحك، والكَلْمُ: هو الجرح. وذكر العلماء أن المجاملة مع الناس مطلقاً من أخلاق المؤمنين وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، والفرق بين المداراة والمداهنة، أن المداراة الرفق بالفاسق والجاهل والإنكار عليه برفق ولطف ومجاملته، والمداهنة معاشرة الفاسق بذلك مع إظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه. وفي الحديث جواز اغتياب المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك من الجور في الحكم والدعاء إلى البدعة مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم.

[٨٦] وعن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنه قال: قسم رسول الله ﷺ أقبيةً، ولم يُعطِ مخرمة منها شيئاً، فقال مخرمة: يا بُنيَّ انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فانطلقتُ معه فقال: ادخل فادْعُه لي، قال: فدعوته له فخرج إليه وعليه قباءٌ منها فقال: «**خَبَأْنا هذا لك**»، قال: فنظر إليه فقال: رضي مخرمة. قال: وكان في خُلُقِه شدة، وفي رواية: وكان في خلقه شيء.

رواه البخاري في الأدب (١٤٤/١٣)، وتقدم في اللباس والزينة.

وقوله: «وكان في خلقه شدة» يعني: كانت أخلاقه غير كريمة فكان لذلك في لسانه بذاءة، ولذلك جامله النبي ﷺ وعامله باللطف والإحسان.

* * *

## ❊ الحذر من الناس وقلة الصديق الخالص

[٨٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يُلْدَغُ المؤمن من جُحْرٍ واحدٍ مرتين**».

رواه أحمد (٣٧٩/١١٥/٣)، والبخاري في الأدب (١٤٦/١٣)، ومسلم في الزهد (١٢٤/١٨)، وأبو داود في الأدب (٤٨٦٢)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٢).

الرواية الصحيحة «يُلدغُ»: بضم الياء والغين. قال عياض في الإكمال:

ومعناه المؤمن الممدوح هو الكيس الحازم الذي لا يستغفل فيخدع مرة بعد أخرى وهو لا يفطن لذلك.

ففي الحديث التحذير من الغفلة وأن يكون الإنسان فطناً حذراً فلا يخدع مرتين، وللحديث سبب ذكره علماء السيرة، وهو أن النبي ﷺ أسر أبا عِزَّة الشاعر يوم بدر فمنّ عليه وعاهده أن لا يحرض عليه ولا يهجوه، وأطلقه فلحق بقومه ثم رجع إلى التحريض والهجاء، ثم أسره يوم أُحد فسأله المن، فقال النبي ﷺ: **«المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين»** ثم قتله. قال النووي: وفيه أنه ينبغي لمن ناله الضرر من جهة أن يتجنبها لئلا يقع فيها ثانية.

**[٨٨]** وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنما الناسُ كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة»**.

رواه البخاري في الرقاق (١١٨/١٤)، ومسلم آخر الفضائل (١٠١/١٦).

ومعنى الحديث: الناس كثير، والمرضي منهم الذي يصلح للمعاشرة والصحبة مع الأمانة والصدق قليل كقلة الراحلة التي تصلح للأحمال والأسفار والركوب في كثرة الإبل فهي كثيرة والصالح منها قليل. وبناءً على هذا فليغض الإنسان الطرف عن أخلاق الناس فإنه قلما يوجد من يصلح، والله الموفق.

* * *

## ❊ إنزال الناس منازلهم

**[٨٩]** عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من إجلال الله عزّ وجل إكرام ذي الشَّيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المُقْسط»**.

رواه أبو داود في الأدب (٤٨٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٠/٧) (١٠٩٨٦)، بسند حسن، وذكر له البيهقي شواهد.



قوله: «الغالي فيه» أي: المتشدد المجاوز الحد في تلاوته أو رسمه وما إلى ذلك. وقوله: «والجافي عنه» أي: الذي يهجر القرآن ويترك تلاوته ولا يتعاهده. وقوله: «ذي السلطان المقسط» أي: صاحب السلطة والحكم العادل.

فالحديث يدل على أن إكرام هؤلاء الثلاثة واحترامهم وتعظيمهم من إجلال الله وتعظيمه وتبجيله، غير أن ذلك مقيّد باستقامة أولئك الثلاثة، فصاحب الشيبة له حق الاحترام ما دام ملتزماً مستقيماً، وحامل القرآن له حق التعظيم والتبجيل إذا كان واقفاً عند حدوده بلا تفريط فيه ولا إفراط، غير متغال فيه ولا مهاجراً له ومعرضاً عنه، أما صاحب السلطة فاحترامه وتكريمه وطاعته، كل ذلك منوط بعدله فإن خرج الثلاثة عما ذكرنا فلا إكرام ولا كرامة.

وهذا من باب تنزيل الناس منازلهم.

**[٩٠]** وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«أراني في المنام أتسوّك بسواك فجذبني رجلان، أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر منهما فقيل لي: كبِّر، فدفعته إلى الأكبر»**.

رواه مسلم في الزهد (١٢٩/١٨).

ففي الحديث تقديم الأكبر في تناول الأشياء والإعطاء، وسواء كان الكبير في السن أم في القدر كعلم مثلاً وشرف وفضل وصلاح، وفي الموضوع أحاديث تقدم بعضها، كحديث ابن عمر في ورق شجر البادية، وحديث حويصة في قتيل خيبر، وذلك من إجلال الكبير.

* * *

## ❊ التيسير على الناس

**[٩١]** عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: لما بعثه رسول الله ﷺ ومعاذ بن جبل قال لهما: **«يَسِّرا ولا تُعسِّرا وتطاوعا»**.

وفي رواية: «**يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تُنَفّروا، وتطاوعا ولا تختلفا**».

رواه أحمد (٤/٤١٧)، والبخاري في الأدب (١٣/١٤٠)، ومسلم في الجهاد (١٢/٤٠/٤١) ومثله عن أنس عند الثلاثة أيضاً.

في الحديث الإرشاد إلى التيسير على الناس وتبشيرهم بفضل الله وعظم ثوابه وعدم التشديد عليهم وأن لا ينفرهم بإفراد ذِكْرِ التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير أن يذكر لهم فضل الله ورحمته، لا سيما من كان قريب عهد بالإسلام أو بالتوبة من عصاة المسلمين، فينبغي أن يتلطف معهم ويُدَرِّجَهم في أنواع القربات شيئاً فشيئاً كما كانت أمور الإسلام في بدايته بالتدريج.

كما في الحديث الإرشاد إلى التآلف والتطاوع وعدم الاختلاف وخاصة بين ذوي السلطة.

[٩٢] وعن الأزرق بن قيس قال: كنا على شاطىء نهر بالأهواز قد نضب عنه الماء فجاء أبو برزة الأسلمي على فرس فصلّى وخلّى فرسه فانطلقت الفرس فترك صلاته وتبعها حتى أدركها فأخذها ثم جاء فقضى صلاته، وفينا رجل له رأيٌ فأقبل يقول: انظروا إلى هذا الشيخ ترك صلاته من أجل فرس، فأقبل فقال: ما عنّفني أحد منذ فارقت رسول الله ﷺ، وقال: إن منزلي مُتَراخٍ، فلو صلّيت وتركت لم آتِ أهلي إلى الليل. وذكر أنه صحب النبي ﷺ فرأى من تيسيره.

رواه البخاري في الأدب (١٣/١٤١).

في الأحاديث بيان أن دين الإسلام ليس فيه تشديد بل هو بعيد من التنطُّع مبني على التخفيف والتيسير، وقد تقدم في الاعتصام حديث: «**إن الدين يُسرٌ...**» إلخ.

وما فعله أبو برزة مع فرسه قد ذكره الفقهاء في كتاب الصلاة وأجازوه وخاصة المالكية.

* * *



## ❊ الانبساط إلى الناس

[٩٣] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمَّعْنَ منه فيُسَرِّبُهُنَّ إليّ يلعبن معي.

رواه البخاري في الأدب (١٣/١٤٣).

قوله: «يتقمعن» أي: يتغيَّبْن ويدخلن من وراء الستر. وقوله: «فيُسَرِّبُهُنَّ» بضم الياء وسين مهملة ثم راء مشددة مكسورة، أي: يرسلهن.

وفي الحديث الانبساط إلى الناس وعدم الغبن وأن ذلك لا ينافي التقوى والصلاح، وفيه موافقة الزوجة والبنات على اتخاذ اللعب والصور، وقد أجاز ذلك العلماء واستثنوه من الصور الممنوعة، وقد قدّمنا ذلك في اللباس والزينة، وقد قدّمنا في شمائل النبي ﷺ عدة أحاديث في مزاحه مع أصحابه ومداعبته إياهم وذلك يعد من انبساطه الواسع مع الناس ﷺ.

* * *

## ❊ التَّأنّي والعجلة

[٩٤] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**».

رواه مسلم في الإيمان (١/١٨٩) مع النووي، والترمذي في البر والصلة (١٨٥٤) بتهذيبي، وابن ماجه في الزهد (٤١٨٨)، وكذا أبو داود (٥٢٢٥).

أشَجُّ عبد القيس كان من سادات أهل البحرين جاء في وفدهم إلى رسول الله ﷺ، ولما نزلوا المدينة بادر أصحابه إلى لقاء النبي ﷺ وتأخر هو حتى تنظف ولبس أحسن ثيابه وحسن هيئته، ثم أتى النبي ﷺ فقال

له: «**إن فيك...**» إلخ. والحلم: بكسر الحاء وسكون اللام، هو العفو عن المسيء بعد القدرة على الانتصار والانتقام منه. والأناة: عدم الاستعجال، فهما مما يحبه الله عزّ وجل لأنهما من مكارم الأخلاق ومحاسنها.

[٩٥] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «**التأني من الله والعجلة من الشيطان، وما من أحد أكثرُ معاذير من الله تعالى، وما من شيء أحبُّ إلى الله من الحمد**».

رواه أبو يعلى في مسنده (٤٤٣/٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠٤/١٠)، وفي الشعب بسند حسن. وانظر مجمع الزوائد (١٩/٨) فإن له وهماً في الحكم على الحديث. العجلة بفتحات ضد التأني.

[٩٦] وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة**».

رواه أبو داود (٤٨١٠)، والحاكم (٦٢/١) وسنده صحيح على شرط مسلم.

التؤدة: بضم التاء المشددة ثم همزة مفتوحة، التأني وترك العجلة، وهذه الأحاديث تفيد أن الاستعجال في الأشياء عملاً وتركاً وعدم التأني والتروي في الشيء من عمل الشيطان ووحيه. فالواجب على المسلم أن يتأنى في الأمور وينظر إلى العواقب وما ينشأ عما يأتيه من مفاسد.

نعم الاستعجال والمبادرة والمسارعة لأمور الآخرة مطلوبة ومرغّب فيها: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾.

* * *

## ❊ الاقتصاد في الحب والبغض

[٩٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رفعه قال: «**أحبِبْ حبيبك هَوْناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغِض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما**».



رواه الترمذي في البر والصلة (١٨٤٢) بتهذيبي بسند صحيح على شرط مسلم، وله شواهد عن عبدالله بن عمرو وعلي وغيرهما، ولا يضره من أوقفه.

الهون: بفتح الهاء وسكون الواو، اللين والرفق. وقوله: «حبيبك» و«بغيضك» أي: محبوبك، ومبغوضك.

وفي الحديث الإرشاد إلى الاقتصاد والوسطية في الحب والبغض، فمن أحبّ شخصاً أو أبغضه فلا يتغالى في ذلك، فإن القلوب بيد الله فلربما انقلب الحب بغضاً أو البغض حباً كما هو الجاري الواقع بين الناس في كل العصور فيندم المرء في كلتا الحالتين ويخجل، وقد جعل الله لكل شيء قدراً.

* * *

## ❊ إماطة الأذى عن الطريق

[٩٨] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في الطريق إذ وجد غصن شوك فأخره فشكر الله له فغفر له**».

رواه البخاري في المظالم، ومسلم في البر والصلة (١٧٠/١٦)، والترمذي في البر (١٨٠٤).

وفي رواية لمسلم مرّ رجل... فقال: «**والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة**» وفي أخرى: «**لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس**».

في الحديث فضل إزالة ما يؤذي المار في الطريق سواء كان شجرة أو شوكاً أو حجراً أو نجاسة أو غير ذلك مما يؤذي الناس.

ومنها إماطة الصحف والجرائد والأوراق الملقاة في الطرق بل والمزابل وفيها آيات من القرآن الكريم أو حديث للنبي عليه السلام أو اسم من

أسماء الله عزّ وجل، فترك هذه الصحف في الطريق مما يؤذي الناس في دينهم لأن وطأها محرّم بل قد يكون كفراً والعياذ بالله تعالى.

* * *

## ❊ فضل المنيحة

[٩٩] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَن منح منيحة لَبن، أو وَرِق، أو هدى زقاقاً، كان له مثلُ رقبة»**.

رواه أحمد (٤/٢٧٢/٢٩٦/٣٠٠)، والترمذي في البر (١٨٠٣)، وابن حبان (٨٦١) وحسنه الترمذي وصححه، ورجاله رجال الصحيح.

«مَنِيحة»: هو أن يعطي الرجل أخاه المسلم ناقة أو شاة ينتفع بلبنها ثم يعيدها إليه بعد انقضاء لبنها، وهذا كان من عادات العرب ومحاسنهم، ومنيحة الورق: أن يسلف أخاه ما يحتاجه من مال. وقوله: «أو هدى زقاقاً» بضم الزاي، معناه أن يدل أخاه على الطريق ويرشده السبيل.

فالعمل بهذه الخصال الثلاثة من الأخلاق الكريمة والآداب الحسنة يستحق صاحبها أجر عتق رقبة، وناهيك بأجر ذلك إنه عتق من النار.

* * *

## ❊ الإحسان إلى الخادم

[١٠٠] عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إخوانكم خوَلُكُم، جعلهم الله فِتْية تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه، وليُلبسه من لباسه، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلّفه ما يغلبه فليُعِنه»**.

رواه أحمد (٥/١٦١)، والبخاري في الإيمان (١/٩٤) وفي الأدب،



ومسلم في الأيمان والنذور (١١/١٣٣)، وأبو داود (٥١٥٨)، والترمذي في البر (١٧٩١)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٩٠).

وقوله: «إخوانكم خَوَلكم» بفتح الخاء والواو، أي: خدمكم أعطاكموهم الله عزّ وجل.

وفي الحديث إرشاد إلى الإحسان بالخدم سواء كانوا مملوكين أم أحراراً، وأنه يجب إطعامهم وكسوتهم وعونهم إذا كُلّفوا فوق ما يطيقون، وتستحب مساواتهم معهم في المأكل والملبس، كما فعل أبو ذر بخادمه كما يعرف من أصل الحديث، فإنه كان له خادم أمه سوداء فعيّره أبو ذر بأمه فقال له: يا ابن السوداء، فسمعه النبي ﷺ فقال له: **«أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية»** يعني: فيك خصلة من خصال أهل الجاهلية، فكان أبو ذر بعد ذلك يُحسن إلى خادمه، فكان يُلبسه مما يلبس ويطعمه مما يطعم.

* * *

## ❊ شكر النعمة والمكافاة على الخير

[١٠١] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يشكر اللّهَ مَن لا يشكر الناسَ»** وفي رواية: **«مَن لم يشكر الناس لم يشكر الله»**.

رواه أحمد (٢/٢٥٨)، وأبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٨٠٠) بتهذيبي، وابن حبان (٢٠٧٠) وحسّنه الترمذي وصححه، وسنده عنده صحيح على شرط مسلم.

ومثله عند أحمد والترمذي أيضاً عن أبي سعيد الخدري بسند حسن.

في الحديث وجوب شكر الوسائط في إسداء النعم وعمل الخير، وأن من قصر في ذلك فبالأحرى لا يشكر الله عزّ وجل.

[١٠٢] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله

ذهبت الأنصار بالأجر كله، قال: **«لا ما دعوتم اللّهَ لهم وأثنيتم عليهم»**.

رواه أحمد (٣/٢٠٠)، وأبو داود (٤٨١٢)، والترمذي في أبواب صفة القيامة (٢٣٠٦) وحسّنه وصححه وهو صحيح على شرط الشيخين.

وأوله عند أحمد والترمذي: لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله ما رأينا قوماً أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال النبي ﷺ: . . . فذكره.

«المهنأ»: بفتح الميم والنون في آخره همزة: هو ما يقوم بإصلاح المعيشة، وقيل ما يأتي الإنسان من غير تعب.

فلما واسى الأنصار المهاجرين وقاسموهم الأموال والنساء وبالغوا في الإحسان إليهم خاف المهاجرون أن يذهب الأنصار بالأجر دونهم فأرشدهم النبي ﷺ إلى أن لهم ما يدركون به أجر الأنصار وهو أن يشكروهم على ما أسدوا إليهم وذلك بالدعاء معهم والثناء على صنيعهم بهم.

**[١٠٣]** وعن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن أُعطي عطاءً فوجد فليجز به، فإن لم يجد فليثنِ به، فمن أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره»**.

رواه أبو داود في الأدب (٤٨١٣)، والترمذي آخر البر والصلة، وابن حبان (٢٠٧٣) وسنده حسن صحيح. قوله: «فليجز به» بسكون الجيم، أي: فليكافىء به.

والحديث يدل على مشروعية مقابلة العطية بمثلها، فإن تعذر ذلك قوبلت بالثناء على صاحبها فإن ذلك يُعد شكراً.

**[١٠٤]** وعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن صُنِع إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء»**.



رواه الترمذي في البر والصلة (١٨٧٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٥٢)، وابن حبان (٢٠٧١) وسنده صحيح.

قوله: «فقد أبلغ» يعني: أن من دعا مع من صنع إليه خيراً أو أسدى إليه معروفاً أياً كان، فدعا معه وقال له مثلاً: جزاك الله خيراً، فقد بالغ في شكره وجازاه على خيره.

**[١٠٥]** وعن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: **«مَن أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه»**.

رواه أحمد (٢/٩٩)، وأبو داود (١٩٧٢) و(٥١٠٩)، والنسائي في الزكاة من المجتبى، وابن حبان (٢٠٧١)، والحاكم (١/٤١٢/٤١٣) وسنده صحيح.

والحديث كسابقيه، فالمحسن يجب أن يقابل بإحسانه فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، فإن لم يوجد ما يكافأ به فليُدْعَ له وكفى به إحساناً.

* * *

## ❊ النصيحة

**[١٠٦]** عن جرير بن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم، وفي رواية: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم.

رواه البخاري في الشروط (٦/٢٤٠)، ومسلم في الإيمان (٢/٣٩/٤٠)، والترمذي، وكذا النسائي والحميدي وغيرهم، وانظر ما تقدم في الإيمان رقم (١٦٨).

[١٠٧] وعن تميم الداري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة»**، قالوا: لمَن يا رسول الله؟ قال: **«للّه، ولكتابه، ورسوله، وأئمة المسلمين، وعامتهم»**.

رواه أحمد (١٠٢/٤)، ومسلم في الإيمان (٣٧/٢)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٤)، والنسائي في البيعة من المجتبى، ومثله عن أبي هريرة. رواه الترمذي (١٧٧١) وغيره بسند حسن صحيح، وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما.

قوله: «بايعت» أي: عاهدت. وقوله: «إنما الدين النصيحة» قال العلماء: أي: قوام الدين وعماده هو النصيحة، قالوا: والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، وأصل النصح الخلوص، والنصيحة للّه اعتقاد وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته. والنصيحة لكتابه التصديق به والعمل بما فيه والدعوة إليه، ونصيحة رسوله التصديق بنبوته ورسالته وكل ما جاء به، والانقياد لما أمر به ونهى عنه مع تعظيمه وتوقيره ونصيحة الأئمة، والمراد بهم ولاة الأمر طاعتهم في المعروف وإرشادهم برفق وعدم الخروج عليهم لجور صدر منهم، وإذا أريد بأئمة المسلمين علماؤهم فنصيحتهم هي احترامهم وطاعتهم فيما رووه وجاؤوا به من أحكام وحلال وحرام... ونصيحة عامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم وما يهمهم في دينهم وتعليم جاهلهم والصبر على جفاهم... هذا ما قيل في ذلك باختصار، وراجع للمزيد شرح مسلم لعياض والنووي وشرح السنة للبغوي ومعالم السنن للخطابي.

[١٠٨] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يَكُفُّ عليه ضَيعَتَه، ويحوطه من ورائه»**.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٣٩)، وأبو داود في الأدب (٤٩١٨) وسنده حسن، كما حسّنه جماعة من أهل الحديث، وله طريق آخر



عند البخاري في الأدب المفرد (٢٣٨) بسند حسن بلفظ: **«المؤمن مرآة أخيه إذا رأى فيه عيباً أصلحه»**، ورواه أيضاً الترمذي في البر والصلة (١٧٧٥) بنحوه، وانظر ما قلته هنالك.

ومعنى الحديث: أن المؤمن مع أخيه كالمرآة يرى فيها كل ما يقابلها فإذا رأى في أخيه خيراً أثنى عليه وزيّنه له ليزداد إقبالاً عليه، وإن رأى عيباً أصلحه بأن ينبهه عليه برفق ولين ليرعوي عنه. وقوله: «يكف عليه ضيعته» أي: يمنع هلاكه وضياعه ويجمع عليه معيشته ويضمها له، وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه من زراعة أو تجارة أو حرفة... وقوله: «ويحوطه» أي: يحفظه ويذب عنه ويدفع من ينتهك حرمته ويطعن في عرضه.

* * *

## ❊ وجوب تناصر المسلمين فيما بينهم

[١٠٩] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«انصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً»**، قيل: يا رسول الله نصَرْتُه مظلوماً فكيف أنصُره ظالماً؟ قال: **«تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه»**.

رواه أحمد (٩٩/٣)، والبخاري في المظالم (٢٤٤٣)، والترمذي في الفتن (٢٠٨٣)، وابن حبان وغيرهم.

[١١٠] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار، فنادى المهاجري: يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري: يا للأنصار، فخرج رسول الله ﷺ فقال: **«ما هذا؟ أدعوى الجاهلية؟»** قالوا: لا يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر فقال: **«لا بأس فلينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فَلْينهه فإنه له نصرته، وإن كان مظلوماً فلينصره»**.

رواه مسلم في البر والصلة (١٣٧/١٦).

قوله: «اقتتلا» أي: تضاربا. وقوله: «يا للمهاجرين...» إلخ، كانت هذه منهما استغاثة، وتلك من عادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام وهي العصبيات القبلية.

والحديثان يدلان على وجوب نصر المظلوم لمن كان له استطاعة بأن يكف الظالم عن ظلمه ويمنعه من ظلم أخيه بأي طريقة استطاعها.

* * *

## الذب عن المسلم والدفاع عنه

**[١١١]** عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«مَن ردّ عن عِرْض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة»**.

رواه أحمد (٦/٤٤٩/٤٥٠)، والترمذي في البر والصلة (١٧٧٧) بتهذيبي، وسنده حسن صحيح مع ما قيل فيه. وانظر تهذيبي للجامع.

«العِرض»: بكسر العين، هو محل المدح والذم من الإنسان.

وفي الحديث فضل الذب عن عرض المسلم إذا انتهك ونيل منه وتكلم فيه بغير حق وما أكثر ذلك، فمن ردّ عنه ما قيل فيه انتصاراً له بإخلاص وصدق طلباً للأجر من الله عزّ وجل كان حقاً على الله تفضلاً منه أن يدفع عنه نار جهنم ويحفظه منها.

**[١١٢]** وعن معاذ بن أنس الجهني رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«مَن حمى مؤمناً من منافق»** أراه قال: **«بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيء يريد شَينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»**.

رواه أبو داود في الأدب (٤٨٨٣)، وأحمد (٣/٤٤١) ورجاله ثقات، وإسماعيل بن يحيى المعافري المصري ذكره ابن حبان في الثقات، وروى



عنه بلدياه: عبدالله بن سليمان الطويل ويحيى بن أيوب وهذا ثقة من رجال السنة فالحديث حسن على مذهب جماعة من المحدثين.

قوله: «من حَمَى» أي: منع. وقوله: «يريد شَيْنَه» الشين بفتح الشين: العيب، ففي الحديث بشارة للمؤمن المدافع عن أخيه الحامي له من الفجرة والمنافقين بأن يحميه من نار جهنم كما فيه وعيد شديد وتهديد أكيد لمن يرمي أخاه بذم ما في عرضه أو دينه أو ما يؤول إليه يريد بذلك عيبه والحط من قدره وتنقيصه، فالله عزّ وجل وهو حكم عدل سيحبسه على جسر جهنم وهو الصراط حتى يدلي بحجته وماذا أراد بذلك وما أراه ينجو إلا أن يشاء الله عزّ وجل.

* * *

## الإصلاح بين الناس

**[١١٣]** عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟»**، قالوا: بلى، قال: **«إصلاح ذات البَين، وفساد ذات البَين الحالقة»**.

رواه أبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في صفة القيامة (٢٣٢٧)، وابن حبان (١٩٨٢)، وكذا أحمد (٦/٤٤٤) وسنده صحيح على شرط مسلم، ولذا صححه الترمذي.

في الحديث أن إصلاح ما بين الناس من العداوة والبغضاء له فضل عظيم بحيث يفوق درجة الصيام والصلاة والصدقة، وهذه تعد في الإسلام من الأعمال العظيمة التي لا يساويها من الأعمال إلا القليل كالجهاد مثلاً والبرور.

والإصلاح بين المسلمين مأمور به في الشرع، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ وأخبر تعالى في آية أخرى بأن ذلك خير وأن من فعله طلب

مرضاة الله فسوف يؤتيه أجراً عظيماً، فقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾.

وقد كان من هديه ﷺ إصلاحه بين الصحابة كما تقدم في السيرة وغيرها.

و«فساد ذات البين الحالقة» يأتي الكلام عليه لاحقاً في المساوىء.

* * *

## ❊ فضل كظم الغيظ والعفو عن الناس

[١١٤] عن معاذ بن أنس الجُهَنِي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «**من كظم غيظاً وهو يَقْدِرُ على أن يُنَفِّذَه، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيّره في أي الحور شاء**».

رواه أحمد (٣/٤٣٨/٤٤٠)، وأبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي في البر والصلة (١٨٦٤)، وفي صفة القيامة (٢٣١٣)، وابن ماجه (٤١٨٦) من طرق هو بها حسن.

وصحّ عنه عليه الصلاة والسلام: «**ما من جُرْعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله**».

رواه ابن ماجه (٤١٨٩) بسند صحيح.

«الغيظ»: هو الغضب الشديد. و«كظمه»: هو حبسه في النفس وعدم العمل بمقتضى غيظه. قال تعالى في معرض صفات أهل الجنة: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ﴾، جاء عن بعض السلف أن مملوكاً له أساء معه فهمّ بضربه فقال له الخادم: يا سيدي قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، فقال له: قد كظمت، فقال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ﴾، فقال: قد عفوت، فقال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فقال له: اذهب فأنت حر.



فهكذا كانت أخلاق السلف، كانوا وقّافين عند كتاب الله تعالى وشرعه.

وفي الحديث فضل عظيم وبشارة هامة للكاظمين الغيظ.

[١١٥] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما نقصتْ صدقة من مال، وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**».

رواه أحمد (٢/٢٣٥/٣٨٦)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٤١)، والترمذي فيه (١٨٧٢) وغيرهم.

في الحديث أن من تصدّق بشيء من ماله بارك الله له فيه وازداد نمواً، وأن من أُسيء إليه فعفى وصفح زاده الله عزاً ومحبة في القلوب، وأن من تواضع مع الله ومع عباده رفعه الله وأعزّه في الدنيا والآخرة. وهذه كلها مكارم وأخلاق طيبة.

[١١٦] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فصمت عنه النبي ﷺ ثم قال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ قال: «**كل يوم سبعين مرة**».

رواه أبو داود في الأدب (٥١٦٤)، والترمذي في البر والصلة (١٧٩٦) وسنده صحيح في طريق للترمذي. وذكر المنذري رحمه الله تعالى أن أبا يعلى رواه بإسناد جيد.

وفي الحديث مشروعية العفو عن المسيء ولو تكررت منه الإساءة وذلك أن الله عزّ وجل عفو يحب العفو فلا إله إلا الله ما أحسن شريعتنا وما أعظم ديننا. قال عزّ وجل: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ...﴾، الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الذي كان ينفق على ابن خالته مسطح، فلما تكلم في السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها في قضية الإفك حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه فأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟...﴾ الآية، قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: لا يحلف، فقال الصدِّيق: بلى يا رب إني أحب أن يغفر لي، فرجع إلى إنفاقه على مسطح، وفي ذلك من فضل العفو ما لا يخفى وكيف وهو مخالف لطبع الإنسان وهواه.

* * *

## ❊ الصبر على أذى الناس والإغضاء عن إساءتهم

[١١٧] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ قال: **«المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»**، وفي رواية: **«المؤمن»**.

رواه أحمد (٤٣/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٨)، والترمذي في صفة القيامة (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٠٣٢) وسنده صحيح، وفي رواية لبعضهم: **«أعظم أجراً»** بدل **«أفضل»**، أو **«خير»**.

وفي الحديث فضل مخالطة الناس وتحمُّل إذاياتهم ومجاهدة النفس على الصبر على ذلك، وأن ذلك أفضل وأعظم أجراً من مفارقتهم. وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه لكنه مشروط بما إذا كان يسلَم دين المخالط مما يخدشه، أما إذا عمّ الفساد وانتشرت الشرور وقلّ في المجتمعات الخير، فالواجب على المسلم أن يقلل من المخالطة إلا بقدر الضرورة.

[١١٨] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً سبّ أبا بكر عند النبي ﷺ والنبي ﷺ جالس لا يقول شيئاً، فلما سكت ذهب أبو بكر يتكلم فقام رسول الله ﷺ واتّبعه أبو بكر فقال: يا رسول الله كان يَسُبني وأنت جالس فلما ذهبت أتكلم قمتَ؟ قال: **«إن الملك كان يردُّ عنك، فلما تكلمتَ ذهب الملك ووقع الشيطان، وكرهت أن أجلس يا أبا بكر، ثلاث كلهن حق: ليس عبدٌ يُظلم بمظلمة فيغضي عنها إلا أعزّ الله بها نصره، وليس عبد يفتح باب مسألة يبتغي بها كثرة إلا زاده الله بها قلة، وليس عبد**



**يفتح باب عطية يبتغي بها وجه الله أو صلة إلا زاده الله به كثرة»**، وفي رواية: فجعل النبي ﷺ يعجب ويبتسم، فلما أكثر ردّ عليه بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام... إلخ.

رواه أحمد (٤٣٦/٢) كاملاً، وأبو داود في الأدب (٤٨٩٦) مختصراً بنحوه، وفيه عنده **«نزل ملك من السماء يُكَذِّبه بما قال له فلما انتصرتَ وقع الشيطان»** وسنده حسن.

وفي الحديث فضل عدم الانتصار لمن أُسيء إليه وأنه ينبغي له أن يتحمل ذلك ولا يجيب من جهل عليه، وهذا من الأمور العظيمة وأخلاق كبار الرجال.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ وقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، علماً بأنه يجوز له الانتصار كما قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾، قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون للمؤمنين أن يُستذَلُّوا فإذا قدروا عفوا.

كما أن فيه: مَن انتصر لنفسه كان فيه حظ للشيطان لأن حضوره عند ذلك لا يكون إلا للتحريش والإغراء على الشتم... ولذا قام النبي ﷺ وانصرف.

* * *

## ❊ حق على الله أن لا يرفع شيئاً إلا وضعه

[١١٩] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كانت العَضْبَاءُ لا تُسْبق، فجاء أعرابي على قَعُودٍ له فسابقها فسبقها الأعرابي فكأن ذلك شقّ على أصحاب رسول الله ﷺ فقال ﷺ: **«إن حقاً على الله عزّ وجل أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه»**، وفي رواية: فشقّ ذلك على المسلمين فقالوا: سبقت العضباء.

رواه أحمد (٣/١٠٣/٢٥٣) والبخاري في الرقائق (١٤/١٢٥) وفي الجهاد، وأبو داود في الأدب (٤٨٠٢).

قوله: «القعود» بفتح القاف: هو الشاب من الإبل.

وفي الحديث دليل على أن الله لا يرفع شيئاً من أمور الدنيا في هذه الحياة إلا كان آخره الوضع والهوان وهذه كلية عامة في أمور الدنيا.

قال ابن بطال: فيه هوان الدنيا على الله والتنبيه على ترك المباهاة والمفاخرة، وأن كل شيء هان على الله فهو في محل الضعة فحق على كل ذي عقل أن يزهد فيه ويقل منافسته في طلبه.

وفي الحديث تواضعه ﷺ حيث رضي بمسابقة الأعرابي ولم يستنكف من ذلك ولم يحزن أو يتغير قلبه لسبق الأعرابي إياه.

❊ ❊ ❊

## ❊ من فضل البلايا والمصائب

[١٣٠] عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: **«ما يصيب المؤمن من وَصَب ولا نصَب، ولا سقم، ولا حَزَنٍ، حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته»** وفي رواية: **«ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»**.

رواه أحمد (٢/٣٠٣/٣٣٥)، والبخاري في الطب والمرضى (١٢/٢٠٨)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٣٠) وقد تقدم مع أحاديث أخرى في الجنائز وفي الطب.

«وصب» بفتحتين: الوجع اللازم. و«نصب»: التعب. «سقم»: بضم السين والكاف وفتحها. و«حزن»: بالضم والفتح في الحاء والزاي. وقوله: «حتى الهم يهمه» بفتح الياء وضمها، أي: يَغُمُّه.

وفي الحديث فضل عظيم لنزول المصائب بالإنسان وأنه ما من شيء



يصيبه فيؤلمه ويسوؤه حتى الشوكة والحزن والغم إلا غفر الله له خطاياه ورفع به درجته، وفيه أن التكفير وحصول الثواب والأجر كل ذلك حاصل بمجرد نزول المصيبة، فإن اقترن بذلك الصبر والرضا تضاعف الأجر. أفاده الحافظ متعقباً على ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى.

قال القرافي رحمه الله تعالى: المصائب كفارات جزماً سواء اقترن بها الرضا أم لا.

وتعقبه الحافظ بقوله: والتحقيق أن المصيبة كفارة لذنب يوازيها، وبالرضا يؤجر على ذلك.

[١٣١] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يؤتى بأشد الناس كان بلاءً في الدنيا من أهل الجنة، فيقول: اصبغوه صِبْغةً في الجنة، فيصبغونه فيها صِبْغة، فيقول الله عزّ وجل: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط أو شيئاً تكرهه؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت شيئاً أكرهه قط، ثم يؤتى بأنعَم الناس كان في الدنيا من أهل النار، فيقول: اصبغوه فيها صبغة فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط قرة عين قط؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت خيراً قط ولا قرة عين قط»**.

رواه أحمد (٣/٢٥٣/٢٥٤)، ومسلم في الجنة والنار (١٧/١٤٩)، وابن ماجه في الزهد (٤٣٢١) والسياق لأحمد.

قوله: «بلاءً» في مسلم بؤساً. «صبغة» في ابن ماجه: اغمسوه غمسة فهي مفسرة للصبغة بأنها الغمسة، والبؤس: هو الشدة.

وفي الحديث بيان عدل الله تعالى في عباده وفضله بهم، وسيأتي الحديث في الرقائق وهنالك بيان معناه كاملاً. الشاهد منه هنا هو أن أعظم الناس بلاءً وأشدهم ضراً في الدنيا سيغمس في الجنة غمسة واحدة ثم يخرج منها فيذكره الله تعالى بما مرّ عليه في الدنيا من بلايا ومحن ومصائب فينسى كل ذلك بمجرد غمسه في الجنة لما يشاهد فيها من خير ونعيم مما لا تتصوره عقولنا.

❊ ❊ ❊

## ❊ الشفاعة بين الناس

[١٢٢] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال: **«اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان رسوله ما شاء»**.

رواه البخاري في الأدب (١٣/٦٠/٥٨)، ومسلم في البر (١٦/١٣٩) وغيرهم.

لام فلتؤجروا جعلوها مكسورة على أنها لام كي وجعلوها لام الأمر وكلاهما محتمل.

وفي الحديث مشروعية الشفاعة لقضاء حاجة من لا يستطيع قضاءها وخاصة عند ذوي السلطة الذين لا يتمكن كل أحد من الدخول عليهم أو يتمكن، ولكنه لا يبلغ حاجته بنفسه فيطلب الوساطة، ولذلك كان النبي ﷺ يرشدهم إلى الاستشفاع عنده ويحضهم على ذلك لما فيه من الأجر والثواب، وقد قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾.

والشفاعة جائزة عند ذوي السلطة إلا في الحدود أو في المصرين على الفساد المشتهرين بذلك فهؤلاء لا يشفع فيهم، وقد قدّمنا شيئاً من هذا في الحدود.

❊ ❊ ❊

## ❊ ستر اللّه على عبده

[١٢٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»**.

رواه مسلم في البر والصلة (١٦/١٤٣)، ورواه أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله تعالى عنها. وستر الله على عبده يوم القيامة عدم كشف



عيوبه ومعاصيه في ذلك الموقف الرهيب فلا يفضحه أمام الخلائق وقد ستره في الدنيا، وسيأتي في الرقائق بقية لهذا، فإنه بذلك الباب أليق ولكنني تبعت مسلماً في إيراده في البر والصلة.

❊ ❊ ❊

## ❊ ستر المؤمن على نفسه

[١٢٤] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كل أمتي معافاة إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يُصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»**.

رواه البخاري في الأدب (١٣/٩٧/٩٨)، ومسلم في الزهد (١٨/١١٩).

قوله: «من المجاهرة» هكذا في رواية، وفي رواية: **«وإن من الإجهار»** وفي أخرى: **«وإن من الإهجار»** بتقديم الهاء وكلها صحيحة.

فالمجاهرة والإجهار الإعلان بالمعصية، والإهجار بتقديم الهاء معناه: الفحش والخناء وكثرة الكلام.

والحديث يدل على أن كل من أذنب ذنباً وستر على نفسه كان قريباً من عفو الله وستره عليه، إلا المجاهرين الذين يُظهرون معاصيهم أمام الخاص والعام وهم أهل المجون الذين لا يبالون بأحد، وهكذا من أتى شيئاً بليل وحده وقد ستره الله فيصبح يحكي للناس ما فعل في ليلته، فهذا بعيد من عفو الله ومغفرته، فالواجب على من ابتلاه الله بشيء من ذلك أن يتستر ولا يفضح نفسه فإن الله عزّ وجل ستير يحب الستر.

وقد جاء في حديث مرسل: **«اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها فمن ألمَّ بشيء منها فليستتر بستر الله»**.

رواه الحاكم (٤/٢٤٤)، ومالك في الموطأ، وصححه الحاكم.

ويأتي في الرقائق قول عمر لمن أذنب: «لقد سترك الله لو سترتَ على نفسك».

❊ ❊ ❊

## ❊ العبرة بالقلوب والأعمال

[١٢٥] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا ينظر إلى صُوَرِكم ولا أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**.

رواه أحمد (٢/٢٨٥/٥٣٩)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٢١)، وابن ماجه في الزهد (٤١٤٣).

الحديث ظاهر في أن الله عزّ وجل لا يعتبر الصور الظاهرة وجمالها، ولا كثرة الأموال وجمعها، وإنما ينظر إلى القلوب وما فيها من إيمان وتقوى وإلى الأعمال الظاهرة التي توافق ما في البواطن، وسيأتي في المساوىء حديث: **«التقوى ههنا»** ويشير إلى صدره الشريف.

❊ ❊ ❊

## ❊ أمانة الحديث

[١٢٦] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا حدّث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة»**.

رواه أبو داود في الأدب (٤٨٦٨)، والترمذي في البر والصلة (١٨٠٥) بتهذيبي بسند حسن لاختلاف في عبدالرحمٰن بن عطاء، وقد أشار المنذري إلى تحسينه.



الأمانة: كل ما ائتُمن عليه الإنسان بداية من الإيمان والتكاليف الشرعية جملة وتفصيلاً، ثم ودائع الناس، وديونهم... ومنها كلام السر الذي يُسِرُّه إليك شخص فهو أمانة لا يجوز لك إفشاؤه فإن فعلت كنت خائناً والله لا يحب الخائنين، ويعرف الكلام بأنه أمانة بالقرائن مثل ما جاء في الحديث أن صاحبك يحدثك وهو يلتفت يميناً وشمالاً فأحرى إذا أوصاك وأكد عليك، وسيأتي بقية للأمانة في الفتن.

❊ ❊ ❊

## ❊ حفظ اللسان وذم كثرة الكلام وخطره على الإنسان

[١٢٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»**.

رواه أحمد (٢/٣٧٨/٣٧٩)، والبخاري في الرقائق (١٤/٩٢)، ومسلم في الزهد (١٨/١١٧).

قوله: «ما يتبين ما فيها» أي: لا يتدبرها ويفكر في عاقبتها وما يؤول إليه أمرها وذلك كالكلام في الله تعالى وفي صفاته وفي القرآن وفي جانب رسول الله ﷺ أو في كلامه مع الناس حيث لا يلقي بالاً مما فاه به فتجب له النار بذلك وهو لا يدري، وفي ذلك حث على حفظ اللسان.

[١٢٨] وعنه عن النبي ﷺ قال: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً، يرفع الله له بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم»** وفي رواية: **«يهوي بها في النار سبعين خريفاً»**.

رواه البخاري في الرقائق (١٤/٩٣) بالرواية الأولى، ورواه الترمذي في الزهد (٤/٢٣) بالثانية، ورواه أحمد (٢/٢٣٦/٢٩٧)، وابن حبان (٥٧٠٦)، والحاكم (٤/٥٩٧) وغيرهم.

[١٢٩] وعن بلال بن الحارث المزني رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها سخطه إلى يوم القيامة»**.

رواه أحمد (٤٦٩/٣)، والترمذي في الزهد (٢١٣٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩)، والحاكم.

وسنده صحيح وحسّنه الترمذي وصححه.

الحديثان معناهما واحد لا يختلفان إلا في قوله، في الأول: «**يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً**». وقوله في الثاني: «**فيكتب الله بها سخطه إلى يوم القيامة**» وكلا الأمرين مراد، فمَن تكلم بكلمة من سخط الله يكتب الله عليه سخطه إلى يوم القيامة ثم يكون مآله الهوي في جهنم سبعين خريفاً.

ففي الحديثين الحث على التكلم بما يرضي الله والتحذير مما فيه سخط الله وأن الواجب على الإنسان أن يحفظ لسانه وأن لا ينطق بشيء حتى يتدبره قبل النطق به، فإن كانت فيه مصلحة تكلم وإلا كفّ لسانه.

[١٣٠] وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«ويلٌ للذي يُحدّث بالحديث ليُضحِك القوم فيكذب، ويلٌ له، ويلٌ له»**.

رواه أحمد (٧/٣/٢/٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٩٠)، والترمذي في الزهد (٢١٣٦)، والنسائي في الكبرى (٣٢٩/٦) والدارمي والحاكم (٤٦/١) وسنده حسن لترجمة بهز.

وفي الحديث ذم المازحين الذين يعتادون المزاح بكثرة بحق وباطل فيُضحكون الناس بالأكاذيب والأباطيل، وذلك كما ترى من كبار الذنوب لأن



الوعيد بالويل لا يكون إلا على كبيرة عياذاً بالله، وفيه كسابقيه حث على حفظ اللسان ويأتي لذلك بقية في الرقائق.

* * *

## ❊ مَن لم يواجه الناس بما يكرهون

[١٣١] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: صنع النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزّه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال: **«ما بالُ أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»**.

رواه البخاري في الأدب (١٢٨/١٢٧/١٣) وغيره، ومسلم.

قوله: «فتنزه» أي: تركوه كراهة منهم له.

وفي الحديث ما كان عليه ﷺ من عدم مواجهة الناس بما يسوءهم ويكرهون، وذلك من عظيم مكارم أخلاقه ﷺ وشدة حيائه ومراعاة جوانب أصحابه، وهذا كان هديه دائماً، فقد تكرر عنه ما صدر منه هنا.

وقوله: «فوالله إني لأعلمهم بالله...» إلخ، أشار بذلك إلى أنه مع أعلمه بالله منهم وأكثرهم خوفاً من الله عزّ وجل يترخص في الشيء أحياناً فكيف يتنزه عن ذلك من ليس مثله ولا يقاربه.

* * *

## ❊ المستشار مؤتمن

[١٣٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المستشار مؤتمن»**.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٥٦)، وأبو داود في الأدب (٥١٢٨)، والترمذي في الاستئذان (٢٦٣٣)، وابن ماجه في

الأدب (٣٧٤٥) وغيرهم، وسنده صحيح على شرطهما، وفي الباب عن أبي مسعود رواه ابن ماجه (٣٧٤٦) بسند صحيح، وعن أم سلمة رواه الترمذي والبخاري في الأدب المفرد وغيرهما، والحديث وارد من طرق حتى عدّ في المتواتر.

والحديث يدل على أن من استشير في شيء فعليه أن ينصح مستشيره لأنه مؤتمن على ذلك، فلا بد وأن يشير إلى صاحبه بما يراه خيراً له وإلا كان خائناً وغاشًّا لأخيه.

❊ ❊ ❊

## ❊ المتشبِّع بما لم يُعْطَ

[١٣٣] عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما أن امرأة قالت: يا رسول الله إن لي جارة - تعني ضَرَّة - هل عليّ جناح إن تشبَّعْتُ لها بما لم يُعْط زوجي؟ قال ﷺ: **«المتشبِّع بما لم يُعطَ كلابس ثوبَيْ زور»** وفي رواية أقولُ: إن زوجي أعطاني ما لم يُعطني، فقال... إلخ.

رواه أحمد (٣٥٣/٣٤٦/٦) والبخاري في النكاح، ومسلم آخر اللباس (١١/١٤)، وأبو داود في الأدب (٤٩٩٧) وغيرهم، والرواية الثانية رواها مسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

وعن جابر نحوه ضمن حديث رواه الترمذي آخر البر والصلة.

**قوله:** «المتشبع بما لم يعط» معناه: الذي يتظاهر بما ليس عنده أو له كمن يتظاهر بالزهد والصلاح أو العلم وهو عار عن ذلك، أو ينسب شيئاً لنفسه وهو لغيره، أو يصبغ شيبه بالسواد ليظهر أنه شاب، فكل ذلك داخل في قوله: **«كلابس ثوبَيْ زور»** لأن لابس ثوبَي غيره يوهم أنها له وهي ليست كذلك، وفعل مثل ذلك مذموم.

❊ ❊ ❊



## ❊ الضيافة وحق الضيف

[١٣٤] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسِن إلى جاره، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»** وفي رواية: **«فليصمت»**.

رواه أحمد والبخاري في الأدب (١٥٠/٥٣/١٣)، ومسلم في الإيمان (١٨/٢)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٤) والترمذي في صفة القيامة (٢٣١٩) بتهذيبي.

[١٣٥] وعن أبي شُرَيْح الخُزاعي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه»**، وفي رواية: **«جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يُحرِجه»**.

رواه البخاري في الأدب (١٤٩/١٣)، ومسلم في اللقطة (٣١/٣٠/١٢).

[١٣٦] وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليلة الضيف حقٌّ على كل مسلم، فمن أصبح بفنائه فهو عليه دَيْنٌ، إن شاء اقتضى وإن شاء ترك»**.

رواه أحمد (١٣٠/٤)، وأبو داود في الأطعمة (٣٧٥٠)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٧٧) وسنده صحيح. قال الحافظ: على شرط الصحيح.

[١٣٧] وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه أنه قال: قلنا: يا رسول الله إنك تبعثنا فننزل بقوم فما يقروننا فما ترى؟ فقال لنا رسول الله ﷺ: **«إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم»**.

رواه البخاري في الأدب (١٣/١٥٠)، ومسلم في اللقطة (١٢/٣٢)، وأبو داود في الأطعمة (٣٧٥٢)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٧٦).

الضيف هو من ينزل على الإنسان من مسافر ونحوه. وقوله: «جائزته» المراد بها إتحافه بما يمكن من بر وألطاف ومزيد في إكرامه. وقوله: «فما يقروننا» بفتح الياء، أي: لا يضيفوننا. وقوله: «فخذوا منهم حق الضيف» أي: خذوا ما تحتاجون إليه. وقوله: «يَثْوي عنده» بفتح الياء وكسر الواو وفتحها وبكسرها في المضارع أي: يقيم ويمكث عنده. وقوله: «حتى يُحْرِجَه» بضم الياء وسكون الحاء ثم جيم مفتوحة من الحرج وهو الضيق، وفي رواية «حتى يؤثمه» أي: يوقعه في الإثم بالكلام فيه مثلاً إن تأخر عنده، والضيافة كانت من محاسن أخلاق الجاهلية ومكارمها، فقد كان العرب مشهورين بذلك وأشهرهم بالإطعام والضيافة حاتم الطائي، ولما جاء الإسلام أقرّها وأمر بها ورغّب فيها وحثّ عليها وجعلها حقاً على المسلمين، للضيف الحق في المطالبة بها وأخذه من المضيف ما يكفيه، وقد أجمع المسلمون كما قال العلماء على أنها من متأكدات الإسلام ومقتضيات الإيمان وشعبه العظيمة، ثم اختلفوا فقال الجمهور ومنهم أبو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله: إنها سنّة، وقال الليث وأحمد وغيرهما رحمهم الله: هي واجبة يوماً وليلة.

وقوله ﷺ: **«فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم»** مع قوله: **«فمَن أصبح بفنائه فهو عليه دَين»** وقوله: **«مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه»** كل ذلك يدل ظاهره على الوجوب وأن للضيف حقاً، وهذه الأحاديث مخصصة للآيات والأحاديث التي جاءت بتحريم أموال المسلمين.

وعلى أيٍّ، فالمسألة خلافية مع الاتفاق على أنها من أعظم وأفضل مكارم الأخلاق، فينبغي للمسلم إذا نزل به ضَيف أن يهتم به ويبالغ في إكرامه وإتحافه يوماً وليلة وهي جائزته، ثم يضيفه ثلاثة أيام ويقدم له ما تيسر ولا يزيد على عادته، وما زاد على الثلاث فهو صدقة له إن شاء فعل وإن شاء ترك.



نعم يحرم على الضيف الإطالة على المضيف حتى يضيق ويحرج ويصير به الحال إلى أن يتكلم فيه.

وقوله ﷺ هنا: **«مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر»** يعني الإيمان الكامل المنجي من عذاب الله الموصل إلى رضوانه ويؤمن بيوم القيامة بأن استعد له واجتهد في فعل وقول ما يدفع به أهواله ومكارهه فيأتمر بما أمر به وينتهي عما نهى عنه، ومن جملة ذلك ما أمر به من إكرام الضيف.

* * *

## تأخُّر المضيف عن ضيفه

**[١٣٨]** عن عبدالرحمٰن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قال: جاء أبو بكر بضيف له - أو بأضياف له - فأمسى عند النبي ﷺ فلما جاء قالت أمّي: احتبسْتَ عن ضيفك - أو أضيافك - الليلة؟ قال: وما عشّيتِهم؟ فقالت: عرضنا عليه - أو عليهم - فأبوا - أو فأبى -، فغضب أبو بكر فسبَّ وجدَّع وحلف لا يَطعَمُه، فاختبأت أنا، فقال: يا غُنثر، فحلفت المرأة لا تطعَمُه حتى يَطعمَه، فحلف الضيف - أو الأضياف - أن لا يطعمه أو - لا يطعموه - حتى يَطعمه، فقال أبو بكر: كأن هذه من الشيطان، فدعا بالطعام فأكل وأكلوا، فجعلوا لا يرفعون لقمةً إلا ربا من أسفلها أكثر منها فقال: يا أخت بني فراس ما هذا؟ فقالت: وقرة عيني إنها الآن لأكثر قبل أن نأكل. فأكلوا، وبعث بها إلى النبي ﷺ فذكر أنه أكل منها.

رواه البخاري في علامات النبوة وفي الأدب (١٣/١٥٢).

في الحديث فوائد، منها: التأخُّر عن الضيف إذا كان في المنزل من يقوم به، ومنها: الوصية بإطعام الضيف وإن لم يكن صاحب المنزل حاضراً، ومنها: أن الرجل الصالح قد يغضب ويُسلَّط عليه الشيطان ويصدر منه شتمٌ ونحوه وأن ذلك لا يقدح في صلاحه، فأبو بكر رضي الله تعالى عنه غضب وشتم أهل الدار وعرف أن ذلك من الشيطان، وفيه: أن الحلف

في مثل ما صنع أبو بكر وزوجته والأضياف غير مشروع، وأن ذلك كان من الشيطان فلذلك ندم الصدِّيق على ما فعل فأكل وتبعه الأضياف وأهل الدار.

[١٣٩] وعن مالك بن نضلة رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله الرجل أمُرُّ به فلا يقريني، ولا يضيفني، فيمر بي أفأجزيه؟ قال: «**لا، أقره**»، ورآني رث الثياب فقال: «**هل لك من مال؟**»، قال: قلت: من كل المال قد أعطاني الله من الإبل والغنم، قال: «**فليُرَ عليك**».

رواه أحمد وأبو داود (٤٠٩٣) والنسائي في الزينة، وابن حبان (٢٠٦٧) مختصراً، ورواه الترمذي في البر والصلة (٤٠٦٢) بسند صحيح على شرط مسلم.

رث الثياب أي: خلقة بالية، وفي الحديث: عدم مجازاة المسيء على إساءته والعفو والصفح عنه، وذلك من أشرف الأخلاق الكريمة كما فيه مشروعية التظاهر بنعم الله تعالى من أكل طيب ولباس جميل ومركوب أنيق في غير إسراف ولا مخيلة، وذلك من شكر النعمة.

❊ ❊ ❊

## ❊ المواساة بفضول الأموال

[١٤٠] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له قال: فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: «**مَن كان معه فضل ظهر فليَعُد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له**» قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل.

رواه مسلم في اللقطة (١٢/٣٣)، وأبو داود في الزكاة (١١٦٣).

فيه مواساة الغني للفقير، ومساعدة الواجد سواه من المحتاجين.

❊ ❊ ❊



## ❊ الاستئذان ثلاثاً

[١٤١] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي، فرجعت، قال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع**»، فقال: والله لتُقيمن عليه بينةً، أمِنكُم أحدٌ سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك.

وفي رواية فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فقال عمر: واحدة، ثم سكت ساعة ثم قال: السلام عليكم أأدخل؟ فقال عمر: ثنتان، ثم سكت ساعة فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فقال عمر: ثلاث، ثم رجع فقال عمر للبواب: ما صنع؟ قال: رجع، قال: عليّ به، فلما جاءه قال: ما هذا الذي صنعت؟ قال: السنة، قال: السنة والله لتأتيني على هذا ببرهان وبينة أو لأفعلن بك، قال: فأتانا ونحن رفقة من الأنصار فقال: يا معشر الأنصار ألستم أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ؟ ألم يقل رسول الله ﷺ: «**الاستئذان ثلاث، فإن أُذن لك وإلا فارجع**» فجعل القوم يمازحونه، قال أبو سعيد: ثم رفعت رأسي إليه فقلت: ما أصابك في هذا من العقوبة فأنا شريكك، قال: فأتى عمر فأخبره بذلك فقال عمر: ما كنت علمت بهذا. وفي رواية: ألهاني عنه الصفق بالأسواق.

رواه البخاري في الاستئذان (١٣/٢٦٤/٢٦٥) وفي مواضع، ومسلم في الأدب (١٤/١٣٠/١٣٥)، وأبو داود (٥١٨٠)، والترمذي (٢٥٠٤)، وابن ماجه (٣٧٠٦) وغيرهم، وزاد مسلم في رواية: فقال عمر: إن وجد بينة تجدوه عند المنبر عشية، وإن لم يجد بينة فلن تجدوه، فلما أن جاء بالعشي وجده، قال: يا أبا موسى ما تقول؟ أقد وجدت؟ قال: نعم أُبي بن كعب، قال: عدل، قال: يا أبا الطفيل، وفي لفظ: يا أبا المنذر ما يقول هذا؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك، يا ابن الخطاب فلا تكونن عذاباً

على أصحاب رسول الله ﷺ، قال: سبحان الله أنا سمعت شيئاً فأحببت أن أثبت.

الاستئذان في الأصل: طلب الإذن في الدخول، وقد جعله المحدثون عنواناً لأبواب وآداب كثيرة يذكرونها تحته كما فعل البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم، وسنذكر كثيراً منها ههنا تبعاً لهم.

والاستئذان الذي هو طلب الإذن في الدخول إلى منزل ما، له أحكام وآداب، منها: ما ذكر في هذا الحديث من الاستئذان ثلاثاً، فإن أذن له دخل وإلا رجع، وما فعله عمر مع أبي سعيد رضي الله تعالى عنهما لم يفعله اتهاماً له، وإنما كان ذلك منه تثبُّتاً كما قال، ولم يكن بلغه هذا الأدب كما صرح بذلك لاشتغاله بالتجارة وطلب المعاش ففاته سماع هذا الحديث من النبي ﷺ.

* * *

## ❊ ومن آداب الاستئذان

**[١٤٢]** عن هَزِيل قال: جاء رجل فوقف على باب النبي ﷺ يستأذن فقام على الباب مستقبل الباب فقال له النبي ﷺ: **«هكذا عنك، فإنما الاستئذان من النظر»**.

رواه أبو داود (٥١٧٤).

**[١٤٣]** وعن عبدالله بن بسر قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: **«السلام عليكم»**، وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور.

رواه أبو داود في الاستئذان (٥١٨٦) بسند صحيح.

هذا من آداب الاستئذان، وهو أن يقف الإنسان على أحد جانبَي الباب ولا يقف قبالته، فإن الاستئذان إنما شرع خشية من أن يرى الإنسان عورة داخل المنزل، ولذلك جاء التهديد الشديد في ذلك كما في الآتي:



**[١٤٤]** عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً اطَّلع من بعض حُجَر النبي ﷺ فقام إليه بمِشقص - أو مشاقص - فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يخْتِلُه ليطعنه.

رواه البخاري في الأدب (٢٦٢/١٣)، ومسلم (١٣٨/١٣٧/١٤)، وأبو داود في الأدب (٥١٧١)، والترمذي في الاستئذان (٢٥٢٣).

«مشقص»: بكسر الميم وسكون الشين وفتح القاف، نصل عريض من حديد. وقوله: «يختله» بفتح الياء وكسر التاء، أي: يراوغه ويستغفله ليطعنه بها في عينه. ففيه تحريم النظر إلى عورات الناس في بيوتهم، وأن ذلك يُعد من كبار الذنوب لأن إباحة فقئ أعين الغير لا يكون إلا لأمر يوجب الحد.

**[١٤٥]** وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه أن رجلاً اطلع من جُحْرٍ في باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مِدْرَى يُرَجِّل بها رأسه، فقال له رسول الله ﷺ: **«لو أعلم أنك تنظر طعنتُ به في عينك، إنما جعل الله الإذن من أجل البصر»**.

رواه البخاري في الديات، ومسلم في الأدب (١٣٧/١٣٦/١٤)، والترمذي (٢٥٢٤)، والدارمي (٢٣٨٩).

«المدرى»: بكسر الميم، حديدة تشبه المشط يحك أو يسرح بها الشعر. وقوله: «يرجل» أي: يسرح بها شعر رأسه.

**[١٤٦]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«مَن اطّلع في دار قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فقد هدرت عينه»**، وفي رواية: **«لو أن رجلاً اطلع عليك بغير إذن فخذفْتَه بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح»**.

رواه البخاري بالرواية الثانية في الديات، ومسلم (١٣٨)، وأبو داود (٥١٧٢) كلاهما في الأدب.

فالحديثان يدلان على تحريم النظر في بيت الغير بلا استئذان، وأن من

اطلع ببصره على عورة قوم ففقأوا عينه كان ذلك هدراً لا دية فيها ولا حرج على الفاقىء، وذلك يدل على عظم هذا الجرم.

❊ ❊ ❊

## ❊ كيف الاستئذان

[١٤٧] عن رِبْعِيٍّ قال: حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أألِجُ؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «**أُخرج إلى هذا فعلّمه الاستئذان فقل له: قل: السلام عليكم أأدخل؟**»، فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ، فدخل.

رواه أبو داود في الاستئذان (٥١٧٧) بسند صحيح.

[١٤٨] ونحوه عن كَلْدَة بن حنبل أن صفوان بن أمية بعثه بلبن وجداية وضغابيس إلى النبي ﷺ والنبي ﷺ بأعلى الوادي، قال: فدخلت عليه ولم أستأذن ولم أُسلّم، فقال النبي ﷺ: «**إرجع فقل السلام عليكم أأدخل**» وذلك بعدما أسلم صفوان.

رواه أحمد (٤١٤/٦)، وأبو داود (٥١٧٦)، والترمذي (٢٥٢٥) كلاهما في الاستئذان من طرق صحيحة غير ما عند الترمذي.

[١٤٩] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: استأذنت على النبي ﷺ في دَيْن كان على أبي، فقال: «**مَن هذا؟**» فقلت: أنا، فقال: «**أنا، أنا**» كأنه كره ذلك.

رواه البخاري (٢٧٢/١٣)، ومسلم في الأدب (١٣٦/١٣٥/١٤)، وأبو داود (٥١٨٧)، والترمذي (٢٥٢٦)، وابن ماجه (٣٧٠٩).

قوله: «أألج» أي: أأدخل. قوله: «وجداية» هو ولد الظبية إذا بلغ ستة أو سبعة أشهر. و«الضغابيس»: جمع ضغبوس، بضم الضاد، هو صغار القثاء.



وفي هذه الأحاديث بيان صفة الاستئذان وأنه بعدما يطرق الباب فيُقال له: مَن يجيب بقوله: أنا فلان مبيناً اسمه المعروف به، ثم يقول: السلام عليكم أأدخل أو هناك فلان، ونحو ذلك، ولا يقول: أنا أنا ولا يفتح الباب ويدخل بدون استئذان ولا سلام، وفي القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨﴾.

«تستأنسوا» أي: تستأذنوا، فهذا تفصيل من القرآن للاستئذان.

❊ ❊ ❊

## ❊ الاستئذان في العورات الثلاث

[١٥٠] عن عكرمة أن نفراً من أهل العراق قالوا: يا ابن عباس كيف ترى في هذه الآية التي أُمِرْنا فيها بما أمرنا ولا يعمل بها أحد: قول الله عزّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨﴾.

قال ابن عباس: إن الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال، فربما دخل الخادم، أو الولد، أو يتيمة الرجل، والرجل على أهله، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله عزّ وجل بالستور والخير، فلم أرَ أحداً يعمل بذلك بعدُ.

رواه أبو داود في الاستئذان (٥١٩٢) وسنده صحيح، رجاله رجال الشيخين.

[١٥١] وعنه قال: لم يؤمر بها أكثر الناس آية الإذن، وإني لآمر جاريتي هذه تستأذن عليّ.

رواه أبو داود أيضاً (٥١٩١) بسند صحيح أيضاً.

الآية الكريمة تأمر باستئذان المماليك والأطفال على أهل الدار في أوقات ثلاث سمّاها الله عورات، وهي آخر الليل ما قبل صلاة الفجر، وعند القيلولة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء.

لأن هذه الأوقات يختلي فيها الرجل وأهله ويضعان فيها ثيابهما، وربما يكشفان عما يكرهان رؤيته من الغير ولو من الأطفال والخدم.

فأوجب الله تعالى فيها الاستئذان عموماً، ولا حرج في عدم الاستئذان من الخدم والأطفال في غير هذه الأوقات.

نعم إذا بلغ الأطفال الحُلُمَ وجب عليهم الاستئذان في جميع الأوقات ولو على الأم والأب كما قال تعالى بعد الآية السابقة: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وقد ذكر الحافظ في الفتح (٢٦٢/١٣) آثاراً صحيحة عن الصحابة فيها الأمر بالاستئذان على الأبوين والإخوة والأخوات.

* * *

## أبواب السلام
## بدايته

**[١٥٢]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلّم على أولئك النفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يُحَيُّونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل مَن يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن».**

رواه أحمد (٣١٥/٢)، والبخاري في الاستئذان (٢٤٢/٢٣٩/١٣) وغيره، ومسلم في الجنة ونعيمها (١٧٨/١٧).



في الحديث بيان أن بداية السلام كانت من سيدنا آدم أبي البشرية عليه الصلاة والسلام، وأنه سلّم على الملائكة بأمر من الله فردوا عليه وزادوه: ورحمة الله، وأخبره تعالى بأن هذه هي تحيته وتحية بنيه فيما بينهم، كما أنها تحية الملائكة لأهل الجنة.

وقوله: «خلق الله آدم على صورته» الضمير في صورته يعود على آدم كما هو قول جمهور العلماء وهو ظاهر الحديث، فإن قوله آخر الحديث: **«فكل من يدخل الجنة على صورة آدم»** فهو كالنص على أن الضمير له عليه السلام فهو مخلوق بهذه الصورة التي استمر عليها حتى نزل إلى الدنيا ثم مات عليها وسيعيده الله تعالى على صورته التي خلقه عليها وعلى صورته سيكون أهل الجنة، فصورته التي خلق عليها لم تتبدل وتتحول إلى صورة أخرى، ثم الحديث فيه رد على فكرة دارون اللعين في قوله بالنشوء والارتقاء، وأن الإنسان أصله قرد وليس من آدم عليه السلام، وهي فكرة خاطئة مخالفة لجميع أهل الأديان الإلهية ومعتقدها كافر ملعون.

* * *

## إفشاء السلام

**[١٥٣]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم».**

رواه مسلم في الإيمان (٣٥/٢) بالنووي، وأبو داود في الاستئذان (٥١٩٣)، وابن ماجه في المقدمة (٦٨) والأحاديث في الأمر بإفشاء السلام كثيرة، إفشاء السلام إظهاره وتعميمه.

في الحديث أن التحابب من خصال الإيمان وكماله، كما فيه أن إفشاء السلام بين المسلمين يوجب التحابب بينهم ويُذهب الشحناء والضغينة.

وإفشاء السلام من حقوق المسلم على أخيه كما تقدم، ومظهر من

مظاهره وأسباب الألفة والأخوة الإسلامية، فهو من أظهر شعار المسلمين المميز لهم عن غيرهم من أهل الملل الأخرى.

قال العلماء: هذا مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين.

وقد ذكر البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه أنه قال: «**ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار**» ورواه بعضهم مرفوعاً.

**[١٥٤]** وعن عبدالله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف**».

رواه البخاري في الإيمان وفي الاستئذان (١٣/٢٥٧)، ومسلم في الإيمان (٦٣).

وفي الحديث مشروعية تعميم السلام على المعارف وغيرهم، لكنه مقيد بغير الكافر والفاسق كما يأتي لاحقاً.

ثم إن العلماء اتفقوا على أن البداية بالسلام سُنّةٌ، والرد واجب، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾، بل نقل القرطبي الإجماع على ذلك، وقوله تعالى: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ...﴾ إلخ، معناه أن من سلّم فقال: السلام عليكم، فردُّوا عليه بمثل ذلك أو بأحسن منها وهي عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وإفشاء السلام عام بين ذكور المسلمين وإناثهم، فالرجل كما يسلّم على الذكر مثله له أن يسلّم على الأنثى ما لم تخش فتنة، ولذلك فرق بعض الأئمة بين الشابة والمتجالة، فمنعوا السلام على الشابة وأجازوها على المتجالة.

وعمل النبي ﷺ على العموم فقد كان يسلّم على النساء كما يسلّم على الرجال والأطفال لكن الرسول ﷺ معصوم من الفتنة...

* * *



## ❊ فضل الزيادة في ألفاظ التحية وكلماتها

**[١٥٥]** عن عمران بن حُصَين رضي الله تعالى عنه أن رجلاً جاء النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فقال النبي ﷺ: «**عَشْرٌ**» وجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال النبي ﷺ: «**عشرون**» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال النبي ﷺ: «**ثلاثون**».

رواه أحمد (٤/٤٣٩/٤٤٠)، وأبو داود (٥١٩٥)، والترمذي (٢٥٠٣) كلاهما في الاستئذان، والنسائي في الكبرى (٦/٩١) بسند صحيح على شرط مسلم، وله شاهد عن أبي هريرة رواه البخاري في الأدب المفرد، وابن حبان (١٩٣١) بسند صحيح.

وفي الحديث فضل السلام وأن كل جملة منه بعشر حسنات، وقد اشتهر بين العلماء أن نهاية السلام ورده هو وبركاته، وقد جاء ما يدل على زيادة: «**ومغفرته**».

**[١٥٦]** فعن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: كنا إذا سلّم النبي ﷺ علينا، قلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته.

أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/١/٣٣٠) بإسناد جيد رجاله ثقات، غير إبراهيم بن المختار الرازي فقال أبو حاتم: صالح الحديث، أفاده الشيخ ناصر الألباني رحمه الله تعالى في الصحيحة. فهذه الزيادة يعمل بها فإنها زيادة ثقة وسنّة تقريرية.

* * *

## ❊ فضل البادىء بالسلام

**[١٥٧]** عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام**».

رواه أبو داود (٥١٩٧)، والترمذي (٢٥٠٨) كلاهما في الاستئذان، وسنده صحيح عند أبي داود.

وقوله: «أَوْلى الناس» أي: أقرب الناس إلى رحمة الله تعالى، ففيه فضل من يبدأ الناس بالسلام.

* * *

## السلام قبل الكلام

[١٥٨] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه»**.

رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٢١٣) بسند حسن، وبقية صرح بالتحديث، فالحديث يدل على أن من تكلم قبل السلام لا يُجاب ولا يُتكلم معه حتى يُسلِّم وهذه سنّة غريبة قلَّ من يفعلها.

* * *

## من حق الجلوس في الطريق رد السلام

[١٥٩] عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: **«إياكم والجلوس بالطرقات»**، فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُدٌّ نتحدث فيها، فقال: **«فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه»**، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: **«غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر»**.

رواه أحمد (٣/٣٦/٤٧/٦١)، والبخاري في الاستئذان (١٣/٢٤٦/٢٤٧)، ومسلم (١٤/١٤٢)، وأبو داود في الأدب (٤٨١٥) وفي الباب عن أبي هريرة ما عند أبي داود (٤٨١٦) وزاد: **«وإرشاد السبيل»**. وعن عمر عنده أيضاً (٤٨١٧) وزاد: **«وتغيثوا الملهوف وتَهدُوا الضالَّ»**



وسندهما صحيح. وقوله: «ما لنا بُدٌّ» أي: لا محيد لنا عن الجلوس فيها.

[١٦٠] وعن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه قال: كنا قعوداً بالأفنية نتحدث، فجاء رسول الله ﷺ فقام علينا فقال: **«ما لكم ولمجالس الصُّعُدات اجتنبوا مجالس الصُّعُدات»** فقلنا: إنما قعدنا لغير ما بأس، قعدنا نتذاكر ونتحدث، قال: **«إما لا، فأدُّوا حقها غضُّ البصر، وردُّ السلام، وحُسْنُ الكلام»**.

رواه مسلم في الأدب (١٤/١٤١).

«الأفنية»: جمع فِناء بكسر الفاء وهو ما كان من الأرض في جوانب الدار ونحوها. «الصُّعدات»: بضم الصاد والعين، جمع صعيد وهي الطرقات. وقوله: «إمّا لا» أي: إن لم تتركوها فأدُّوا حقها.

وفي الحديثين بيان حقوق الجلوس في الطرقات العامة وهي كما ذكرناه تسعة حقوق: غض البصر عن محاسن النساء المحرمات، والكف عن إذاية المارّة من ترك غيبتهم وظن السوء بهم، ورد السلام على من يسلِّم على الجلوس، والأمر بالمعروف، والدعوة إلى الخير، والنهي عن المنكر الذي يُرى في الطريق، ثم إرشاد الضال عن الطريق وهداية المنحرف عن السبيل، ثم نصر المظلوم ومساعدة المضطر، ثم حُسن الكلام مع المارِّين.

وجاءت حقوق أخرى في أحاديث بعضها لا تثبت وقد أبلغها الحافظ في الفتح إلى أربعة عشر أدباً وحقاً ونظمها في قوله:

جمعتُ آدابَ من رامَ الجلوسَ على الطريق ... من قول خَيْرِ الخلقِ إنسانَا
أفْشِ السلامَ وأحسنِ في الكلامِ وشمِّتْ ... عاطِساً وسلاماً رد إحسانَا
في الحَمْلِ عاونْ ومظلوماً أعِنْ وأغِثْ ... لهفانَ إهْدِ سَبيلاً واهد حَيْرَانَا
بالعُرفِ مُر وانْهَ عن نُكْرٍ وكُفَّ أذى ... وغُضَّ طرفاً وأكْثِر ذِكْرَ مولانَا

قال النووي رحمه الله تعالى: وقد أشار النبي ﷺ إلى علة النهي من التعرض للفتن والإثم بمرور النساء وغيرهن، وقد يمتد نظر إليهن، أو فكر فيهن، أو ظن سوء فيهن، أو في غيرهن من المارين، ومن أذى الناس

باحتقار من يمر أو غيبة أو غيرها، أو إهمال رد السلام في بعض الأوقات، أو إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحو ذلك من الأسباب التي لو خلا في بيته سلم منها، ويدخل في الأذى أن يضيّق الطريق على المارّين أو يمتنع النساء ونحوهن من الخروج في أشغالهن بسبب قعود القاعدين في الطريق أو يجلس بباب دار إنسان يتأذى بذلك أو حيث يكشف من أحوال الناس شيئاً يكرهونه... وهذه الآداب والحقوق قد تعذّر القيام بها اليوم فلا يقدر أحد على مراعاتها لغلبة الشر وانتشاره وقلة الخير وأهله.

وعلى أيٍّ، فمن حقوق الجلوس في الطرقات رد السلام على كل من مرّ وسلّم.

❊ ❊ ❊

## ❊ مَن أولى بالبداءة بالسلام

[١٦١] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُسلِّمُ الراكبُ على الماشي، والماشي على القاعد، والقليلُ على الكثير»**.

رواه البخاري (٢٥١/١٣)، ومسلم (١٤٠/١٤)، وأبو داود (٥١٩٩)، والترمذي (٢٥١٨) كلهم في الاستئذان، وفي رواية للبخاري (٢٥٠/١٣)، وأبي داود (٥١٩٨)، والترمذي (٢٥٢٠): **«يسلّم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير»**.

في هذا الحديث أدب من آداب التحية والسلام، وأن السنة أن يسلّم الراكب على الراجل الماشي، والماشي على الجالس، والواحد على الاثنين، والاثنان على الثلاثة، فمن فوقهم وهكذا. والصغير على الكبير سناً أو قدراً حتى ولو كان العالم صغيراً والعامي كبيراً، فالعامي الكبير سناً يعتبر صغيراً والعالم الصغير سناً يعتبر كبيراً قدراً.

❊ ❊ ❊



## ❊ مشروعية السلام لمن قام من المجلس

[١٦٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أتى أحدُكم إلى المجلس فليسلّم، فإذا أراد أن يقوم فليسلّم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»**، وفي رواية: **«فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلّم»**.

رواه أحمد (٤٣٩/٢٣٠/٢)، وأبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٥٢١) كلاهما في الاستئذان، والنسائي في الكبرى (١٠٠/٦)، وابن حبان (١٩٣١) وسنده حسن صحيح.

في الحديث مشروعية السلام عند إتيان مجلس ما وعند قيامه وانصرافه، فالسلام في الآخر كالأول ولا فارق.

❊ ❊ ❊

## ❊ مشروعية السلام عند افتراق الرجلين

[١٦٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا لقي أحدكم أخاه فليسلّم عليه، فإن حالت بينهما شجرة، أو جدار، أو حجر، ثم لقيه فليسلّم عليه»**.

رواه أبو داود في الاستئذان (٥٢٠٠) بسند صحيح، ورواه أيضاً البخاري في الأدب المفرد (١٠١٠)، وأبو يعلى موقوفاً.

[١٦٤] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إن أصحاب النبي ﷺ كانوا يكونون فتستقبلهم الشجرة، فتنطلق طائفة منهم عن يمينها وطائفة عن شمالها فإذا التقوا سلّم بعضهم على بعض، وفي رواية: كنا إذا كنا مع رسول الله ﷺ فتفرق بيننا شجرة فإذا التقينا يسلّم بعضنا على بعض.

رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠١١) والطبراني في الأوسط، وحسنه الحافظان المنذري، والهيثمي (٣٤/٨) رحمهما الله تعالى.

وفي الحديثين مشروعية السلام ولو تكرر اللقي عن قرب إذا حالت بين الرجلين شجرة أو جدار أو نحو ذلك، بل ولو لم يحل بينهما شيء إذا كان اللقي عن قرب كما تقدم في حديث المسيء صلاته، فإنه أتى النبي ﷺ فسلّم عليه وردّ عليه، فقال له: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ**» فعل معه ذلك ثلاث مرات، وفي كلها يسلّم ويرد عليه وهو في الصحيحين.

* * *

## ❊ السلام على أهل حلقة الذكر والعلم

**[١٦٥]** عن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فلما وقفا على رسول الله ﷺ سلّما، فأما أحدهما: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الآخر: فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله إليه، وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**».

رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم، وتقدم في العلم من الجزء الأول رقم (١٢).

ففي الحديث مشروعية السلام على أهل الحلقة للذكر والعلم وفضل الجلوس معهم.

* * *

## ❊ رد الواحد عن الجماعة

**[١٦٦]** عن علي عليه السلام رفعه قال: «**يُجزىء عن الجماعة إذا مرُّوا أن يسلّم أحدهم، ويجزىء عن الجلوس أن يرد أحدهم**».



رواه أبو داود (٥٢١٠) وهو وإن كان سنده ضعيفاً فإن له شواهد يصح بها.

انظر الصحيحة للشيخ ناصر (١٤١٢/١١٤٨).

* * *

## ❊ لا يقال في التحية بداية: عليك السلام

**[١٦٧]** عن رجل قال: طلبت النبي ﷺ فلم أقدر عليه، فجلست فإذا نفر هو فيهم ولا أعرفه وهو يُصلح بينهم، فلما فرغ قام معه بعضهم فقالوا: يا رسول الله، فلما رأيت ذلك قلت: عليك السلام يا رسول الله، عليك السلام يا رسول الله، عليك السلام يا رسول الله، قال: «**إن عليك السلام تحية الميت**» ثم أقبل عليّ فقال: «**إذا لقي الرجل أخاه المسلم فليقل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**» ثم ردّ عليَّ النبي ﷺ وقال: «**وعليك ورحمة الله، وعليك ورحمة الله، وعليك ورحمة الله**».

وفي رواية عن جابر بن سليم قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: عليك السلام، قال: «**لا تقل عليك السلام، ولكن قل السلام عليكم**».

رواه الترمذي في الاستئذان من طريقيه وكلاهما صحيح، وحسّنه وصححه.

ورواه أبو داود في الاستئذان (٥٢٠٩)، والنسائي في الكبرى (٨٨/٦)، وابن حبان، والحاكم من طريق أبي تميمة الهجيمي، ورواه أبو داود في اللباس (٤٠٨٤) مطولاً، ويأتي إن شاء الله كاملاً في اللواحق.

دلّ الحديث على أن المشروع في التحية أن تكون بلفظ: «**السلام عليكم**» نعم يكون ذلك في الرد، كعليه السلام أيضاً.

ففي حديث المسيء صلاته: أنه لما سلّم على النبي ﷺ ردّ عليه بقوله: «**وعليك السلام ارجع فصلِّ...**» إلخ.

وتقدم في فضائل عائشة حديثها أن النبي ﷺ قال لها: «**إن جبريل عليه السلام يقرأ عليكِ السلام**» قالت: وعليه السلام ورحمة الله، وهو في الصحيح.

❊ ❊ ❊

## ❊ السلام على من في المنزل من نائم ويقظان

[١٦٨] عن المقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه قال: أقبلت أنا وصاحبان لي قد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد فجلعنا نعرض أنفسنا على أصحاب النبي ﷺ فليس أحد يقبلنا، فأتينا النبي ﷺ فأتى بنا أهله، فإذا ثلاثة أعنُزٍ فقال النبي ﷺ: «**احتلبوا هذا اللبن**» وكنا نحتلبه فيشرب كل إنسان نصيبه ونرفع لرسول الله ﷺ نصيبه فيجيء رسول الله ﷺ من الليل فيسلّم تسليماً لا يوقظ النائم، ويُسمع اليقظان، ثم يأتي المسجد فيصلي ثم يأتي شرابه فيشربه.

رواه مسلم في الأطعمة باب إكرام الضيف (١٦/١٣/١٤) مطولاً، والترمذي في الاستئذان (٢٥٣٤) وهذا سياقه.

ففي الحديث أدب من آداب السلام وهو أن يكون بانخفاض، إذا كان بالمنزل أخلاط ما بين يقظان ونائم، فما كان يفعله ﷺ هو من جملة أخلاقه الكريمة، فكان لا يجهر بالسلام حتى لا يزعج النائمين.

❊ ❊ ❊

## ❊ السلام على المصلي وكيف يرُدّ

[١٦٩] عن صهيب رضي الله تعالى عنه قال: مررت برسول الله ﷺ وهو يصلي فسلّمتُ، فردّ إليّ إشارة بأصبعه.

رواه أحمد (٣٣٢)، وأبو داود (٩٢٥)، والترمذي (٣٢٧)، وابن ماجه (١٠١٧)، وكذا ابن خزيمة (٨٨٨) وسنده صحيح عند بعضهم.



[١٧٠] وقيل لبلال رضي الله تعالى عنه: كيف كان النبي ﷺ يرد عليهم حين كانوا يسلّمون عليه وهو في الصلاة؟ قال: كان يشير بيده.

رواه أحمد (١٢/٦)، وأبو داود (٩٢٧)، والترمذي (٣٢٨) وحسنه وصححه.

فالحديثان صريحان في مشروعية السلام على المصلي وأن له أن يرد بالإشارة بيده بإصبع ونحوه، ولا يؤثر ذلك في صحة الصلاة.

❊ ❊ ❊

## ❊ السلام على النساء والأطفال

[١٧١] عن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها قالت: مرّ علينا النبي ﷺ في نسوة فسلّم علينا، وفي رواية: مرّ في المسجد يوماً وعصبة من النساء قُعود فألوى بيده بالتسليم، وأشار عبدالحميد بيده.

رواه أبو داود (٥٢٠٤)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٠١)، والترمذي في الاستئذان (٢٥١١)، والدارمي (٢٦٤٠) وسنده حسن.

[١٧٢] وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: كنا نفرح يوم الجمعة، كانت لنا عجوزٌ ترسل إلى بُضاعة فتأخذ من أصول السِّلْق فتطرحه في قدر وتُكركر حبات من شعير، فإذا صلّينا الجمعة انصرفنا ونسلّم عليها فتقدمه إلينا فنفرح من أجله، وما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة.

رواه البخاري في الجمعة وفي الاستئذان (٢٧١/١٣).

قوله: «تكركر» أي: تطحن.

وفي الحديثين مشروعية السلام على النساء، وقيد العلماء ذلك إذا أمنت الفتنة ولم يؤد ذلك إلى التعارف والمحظور، فإن السلام على النساء قد يجر إلى الكلام والكلام يجر إلى ما يمنع شرعاً، فالأولى الاقتصار على السلام على من لا يخشى منهن فتنة كجماعة من النسوة مثلاً أو كن

عجائز... أو أمن الإنسان على نفسه كالنبي ﷺ، وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم (١٤٩/١٤).

أما تسليم النساء على الرجال فقد جاء في صحيح مسلم أن أم هانئ أتت النبي ﷺ يوم الفتح وهو يغتسل فسلّمت عليه فقال: «**مَن هذه؟**» فقالت: أم هانىء، فقال: «**مرحباً بأم هانىء**».

**[١٧٣]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه مرّ على صبيان فسلّم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله.

وفي رواية: أتى رسول الله ﷺ على غلمان يلعبون فسلّم عليهم.

وفي أخرى: انتهى إلينا رسول الله ﷺ وأنا غلامٌ في الغلمان فسلّم علينا ثم أخذ بيدي فأرسلني برسالة...

رواه البخاري (٢٦٩/١٣)، ومسلم، وأبو داود (٥٢٠٣/٥٢٠٢)، والترمذي (٢٥١٠)، والنسائي، وابن ماجه في الأدب (٢٧٠٠).

قال العلماء: في السلام على الأطفال والصغار، تدريبهم على أدب الشريعة وتمرينهم على القيام بالتكاليف الشرعية، وطرح رداء الكبر وسلوك التواضع ولين الجانب، حتى إذا احتلموا رسخ ذلك في أخلاقهم وأعماق قلوبهم.

* * *

## السلام على مجلس يضم المسلمين وغيرهم

**[١٧٤]** عن أسامة بن يزيد رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ مرّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلّم عليهم.

رواه البخاري في الأدب (٢٧٦/١٣) ومسلم مطولاً، ورواه الترمذي (٢٥١٧) مختصراً، وقد تقدم في السيرة وغيرها بطوله.

في الحديث مشروعية السلام على أهل مجلس يضم المسلمين وغيرهم



من المشركين والكفار، لأن السلام ينصرف إلى المسلمين ولا حظ فيه للكافرين والملحدين.

* * *

## أشخاص لا يسلم عليهم

### لا يسلم على قاضي الحاجة

**[١٧٥]** عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً سلّم على النبي ﷺ وهو يبول، فلم يرد عليه النبي ﷺ السلام.

رواه مسلم وأبو داود (١٦)، والنسائي (٣٤/١)، والترمذي (٧٨)، وابن ماجه (٣٥٣) وغيرهم.

في الحديث عدم رد السلام ممن كان على قضاء حاجة من بول أو غائط، وفي ضمنه عدم مشروعيته وقتئذ.

وذكر العلماء عدم مشروعيته على من كان في الحمام، أو كان مكشوف عورته، أو كان على معصية، ونحو ذلك.

* * *

## عدم مشروعيته على الكفار

**[١٧٦]** عن سُهَيل بن أبي صالح قال: خرجت مع أبي إلى الشام، فجعلوا يَمُرُّون بصوامع فيها نصارى، فيُسلِّمون عليهم، فقال أبي: لا تبدأوهم بالسلام فإن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه حدثنا عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تبدأوهم بالسلام، وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطريق**».

رواه أحمد (٤٥٩/٤٤٤/٣٤٦/٢)، ومسلم في السلام (١٤٨/١٤)، وأبو داود (٥٢٠٧/٥٢٠٦/٥٢٠٥) والترمذي (١٤٧١/٣٥١٥) وغيرهم.

قوله «فاضطروهم» أي ألجئوهم إلى الطريق الضيق ولا تتركوا لهم الطريق الواسع وتسلكوا الطريق الضيق، هذا ظاهر الحديث، قال النووي: قال أصحابنا: لا يُترك للذمي صدر الطريق بل يضطر إلى أضيقه.

وقال القرطبي: لا تتنحوا لهم عن الطريق الضيق إكراماً لهم واحتراماً.

والحديث يدل على أنه لا يجوز للمسلم أن يبدأ الكافر بالسلام، فإذا بدأ الكافر فماذا يفعل معه؟ وجوابه هو الآتي:

**[١٧٧]** وعن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن اليهود إذا سلّم عليكم أحدهم فإنما يقول: السام عليكم، فقولوا: وعليكم»**.

رواه البخاري في الاستئذان (٢٨١/١٣)، ومسلم في السلام (١٤٦/١٤)، وأبو داود (٥٢٠٦)، والترمذي وغيرهم.

**[١٧٨]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: إن أهل الكتاب يسلّمون علينا فكيف نرد عليهم؟ قال: **«قولوا: وعليكم»**.

رواه البخاري ومسلم في المصدرين السابقين، وأبو داود (٥٢٠٧)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٩٧).

**[١٧٩]** وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: استأذن رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: بل عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: **«يا عائشة إن الله يحب الرّفق في الأمر كله»**، قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: **«قد قلتُ: وعليكم»**.

وفي رواية: ففطنت بهم عائشة فسبّتهم، فقال رسول الله ﷺ: **«مَهْ يا عائشة، فإن الله لا يحب الفُحْشَ والتفحُّش»** فأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ...﴾ الآية.

وفي رواية أخرى فقالوا: السام عليكم يا أبا القاسم، فقال: **«وعليكم»** فقالت عائشة وغضبت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: **«بلى قد سمعتُ فرددت**



**عليهم، وإنا نجاب عليهم، ولا يُجابون علينا»**، وفي رواية: **«يُستجاب لي فيهم، ولا يُستجاب لهم فيّ»**.

رواه البخاري في الأدب (٥٧/١٣)، وفي الاستئذان (٢٧٩/١٣/٢٨٠)، وفي الدعوات وفي الجهاد، ومسلم في السلام (١٤٦/١٤/١٤٧/١٤٨)، والترمذي (٢٥١٦) في الاستئذان، والنسائي في الكبرى (٤٨٢/٦)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٩٨)، والروايات لمسلم.

السام: هو الموت. ففي هذه الأحاديث بيان بعض فضائح اليهود وقبائحهم التي يعاملون بها غيرهم، فها هم يتظاهرون بأنهم يسلّمون على النبي ﷺ وعلى أصحابه وهم يدعون عليه وعليهم بالموت، وقد فطن لهم النبي ﷺ فردّ عليهم بقوله: **«وعليكم»** فكان ذلك هو المشروع، ولا يقال: وعليكم السلام، وكان جوابه ﷺ ورده عليهم فيما قالوه وغض الطرف عن سفههم عملاً بأخلاقه الكريمة، أما مولاتنا عائشة فلعنتهم وسبّتهم وقابلتهم على فحشهم بالمثل، لكن النبي ﷺ كان لا يرضيه كلام الفحش ولو كان انتصاراً، وبيّن للسيدة عائشة بأننا عندما نجيبهم بقولنا: **«وعليكم»**، سيجيبنا الله تعالى في دعائنا عليهم دونهم، ولذا قال لها: **«وإنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا»**، وقد فضحهم الله عزّ وجل فيما فاهوا به وأنزل في شأنهم قرآناً يُتلى على مدى العصور، وفيما فعلته عائشة كان انتصاراً للنبي ﷺ من الظلم الذي أصابه من طرف أصحاب القردة والخنازير.

* * *

## ❁ ترك السلام على الفاسق والعاصي

قال البخاري في الاستئذان: باب مَن لم يسلّم على من اقترف ذنباً ومَن لم يرد سلامه حتى تتبين توبته وإلى متى تتبين توبة العاصي.

وقال عبدالله بن عمرو: لا تُسلّموا على شَرَبَةِ الخمر.

[١٨٠] ثم أخرج عن عبدالله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلّف عن تبوك ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا، حتى كملت خمسون ليلة وآذن النبي ﷺ بتوبة الله علينا حين صلّى الفجر.

رواه البخاري في الاستئذان هكذا مختصراً، وقد رواه هو ومسلم وغيرهما مطولاً، وقد تقدم في التفسير وفي السيرة.

والحديث استدل به العلماء، ومنهم البخاري على ترك السلام وعدم رده على العاصي والمبتدع. قال الحافظ: وقد ذهب الجمهور إلى أنه لا يسلّم على الفاسق والمبتدع.

قال النووي: فإن اضطر إلى السلام بأن خاف ترتب مفسدة في دين أو دنيا إن لم يسلّم سلّم، وكذا قال ابن العربي وزاد: وينوي أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، فكأنه قال: والله رقيب عليكم. وقال المهلب: ترك السلام على أهل المعاصي سنّة ماضية، وبه قال كثير من أهل العلم في أهل البدع. قال: وألحق بعض الحنفية بأهل المعاصي من يتعاطى خوارم المروءة ككثرة المزاح واللهو وفحش القول والجلوس في الأسواق لرؤية من يمر من النساء ونحو ذلك.

وقال النووي: وأما المبتدع ومن اقترف ذنباً عظيماً ولم يتب منه، فلا يسلّم عليهم ولا يرد عليهم السلام كما قال جماعة من أهل العلم.

وحكمة ذلك تأديب العاصي والمبتدع وزجرهما عما هما فيه، فإن تابا ويعرف ذلك بالقرائن سلّم عليهما كما حصل لكعب بن مالك وصاحبَيْه.

وستأتي بقية للموضوع في الهجران الجائز والممنوع إن شاء الله تعالى.

* * *



## ❊ السلام في الكتابة إلى أهل الكتاب

[١٨١] تقدم حديث ابن عباس في كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل وفيه: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هِرَقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى**».

رواه الشيخان وغيرهما، وتقدم في تفسير آل عمران وفي السيرة النبوية.

وهو يدل على أنه لا يُسلَّم عليهم على الخصوص في الكتابة إليهم لأنهم ليسوا من أهل السلام، بل يخصص السلام بعلى من اتبع الهدى، وهم المؤمنون أيًا كانوا.

* * *

## ❊ أدب التثاؤب

[١٨٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العُطَاسَ ويكره التثاؤب، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، ولا يقل هاه، هاه، فإنما ذلكم من الشيطان يضحك منه**»، وفي رواية: «**التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع**».

رواه البخاري في الاستئذان (٢٣١/١٣)، ومسلم في الزهد (١٢٢/١٨)، وأبو داود (٥٠٢٨)، والترمذي (٢٥٦١) كلاهما في الاستئذان.

[١٨٣] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع، فإن الشيطان يدخل**»، وفي رواية: «**فليمسك بيده**».

رواه مسلم في الزهد (١٢٣/١٢٢/١٨)، وأبو داود (٥٠٢٦).

العطاس يكون من خفة البدن وانفتاح المسام وينشأ عن الزكام ويدل على النشاط بخلاف التثاؤب وهو فتح الفم مع تكاسل ويكون غالباً مع ثقل

البدن وامتلائه، وقوله: **«إن الله يحب العطاس»** لأنه يدل على الخفة والنشاط للعبادة وإضافة التثاؤب إلى الشيطان لأنه الذي يدعو إلى الشهوات التي منها كثرة الأكل، وذلك مما يكرهه الله تعالى.

وفي الحديثين بيان ما ينبغي للمتثائب فعله، وهو أن يرد التثاؤب ويمسكه ما استطاع ويضع يده على فيه ولا يفتح فيه ويقول: هاه فإن الشيطان يضحك عليه لأن فتح فمه ورفع صوته بـ«هاه» يشوّه خلقته ولذلك أمر بوضع يده على فمه.

❋ ❋ ❋

## ❋ العطاس وآدابه

**[١٨٤]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض أو غضّ بها صوته.

رواه أبو داود في الأدب (٥٠٢٩)، والترمذي في الاستئذان (٢٥٧٩)، والحاكم في الأدب (٢٦٤/٤) وسنده صحيح، وحسّنه وصححه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

«غضّ وخفض»: معناهما واحد.

الحديث يدل على أن العاطس ينبغي له أن يخفض صوته بعطاسه لئلا يزعج غيره من الحاضرين كما هو الواقع، ثم يضع يده على فمه خشية أن يخرج مع عطاسه مخاطٌ أو نحوه فيؤذي جلساءه.

**[١٨٥]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلين عطسا عند النبي ﷺ فشمَّت أحدهما ولم يشمِّت الآخر، فقال الذي لم يشمِّته: يا رسول الله شمَّتَّ هذا ولم تشمِّتني؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إنه حمد الله، وإنك لم تحمده»**.

رواه البخاري (٢٣٤/١٣)، ومسلم في الزهد (١٢٠/١٨)، وأبو داود (٥٠٣٩)، والترمذي (٢٥٥٧)، وابن ماجه (٣٧١٣).



**[١٨٦]** وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمِّتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمِّتوه»**.

رواه مسلم (١٢١/١٨).

**[١٨٧]** وعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي ﷺ وقد عطس رجل عنده فقال له: **«يرحمك الله»**، ثم عطس آخر، فقال له رسول الله ﷺ: **«الرجل مزكوم»**، وفي رواية: قال في الثالثة: **«وأنت مزكوم»**.

رواه مسلم أيضاً (١٢٢/١٨)، وأبو داود (٥٠٣٧)، وابن ماجه (٣٧١٤)، والترمذي (٢٥٥٨) والرواية الثانية له، وحسّنه وصححه.

**[١٨٨]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله على كل حال، وليقل أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، ويقول هو: يهديكم الله ويُصلح بالكم»**.

رواه البخاري (٢٣٢/١٣٣/١٣)، وأبو داود (٥٠٣٣) ونحوه عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه، رواه أحمد (٤٢٢/٤١٩/٥) والترمذي (٢٥٥٥).

«التشميت»: بالشين المعجمة وبالسين وبالمعجمة أفصح، ومعناه: أبعد الله عنك شماتة الأعداء.

وفي هذه الأحاديث أحكام العطاس وآدابه:

فمنها: أن تشميت العاطس مأمور به، وقد اختلف الأئمة في حكمه بعد إجماعهم على مشروعيته، فقال بوجوبه الظاهرية وبعض المالكية للأحاديث الآمرة بذلك ولقوله ﷺ كما تقدم: **«وإذا عطس فحمد الله فشمِّته»** وجعل ذلك من حقوق المسلم.

وقال مالك رحمه الله تعالى: إنه فرض كفاية كرد السلام وبه قال جماعة من أهل العلم، وقال الجمهور: إنه سنّة.

ومنها: أن العاطس يشرع له أن يحمد الله تعالى عقب عطاسه ويرفع صوته بذلك.

ومنها: أن من سمعه وكان قد حمد الله أن يجيبه بقوله: يرحمك الله، فإن تكرر منه العطاس والحمد كرر التشميت، وفي الثالثة يقول له: الرجل مزكوم، أي: أصابه ريح فحصل له زكام.

ومنها: أن العاطس يرد على من شمّته داعياً معه بقوله: يهديكم الله ويُصلح بالكم، أي: حالكم، أو يقول: يغفر الله لنا ولكم.

[١٨٩] وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: «**إذا عطس الرجل فليقل: الحمد لله رب العالمين، وليقل من يرد عليه: يرحمك الله، وليقل هو: يغفر الله لي ولكم**» وسنده صحيح.

[١٩٠] وأخرج مالك في الموطأ رقم (١٨٦٦) بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه كان إذا عطس فقيل له: يرحمك الله، يقول: يرحمنا الله وإياكم، ويغفر لنا ولكم.

ومن آداب العطاس أن من لم يحمد الله تعالى لا يُشَمَّت ولا يُدعى معه.

* * *

## ❊ ما يقال في تشميت أهل الكتاب

[١٩١] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كانت اليهود تعاطس عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لها: يرحمكم الله، فكان يقول: «**يهديكم الله ويُصلح بالكم**».

رواه أبو داود (٥٠٣٨)، والترمذي (٢٥٥٣) كلاهما في الأدب،



والبخاري في الأدب المفرد (٩٤٠)، والحاكم (٢٦٨/٤) وحسّنه الترمذي وصححه هو والحاكم، وسنده صحيح.

في الحديث مشروعية تشميت أهل الكتاب تأليفاً لهم، غير أنهم ليسوا كالمسلمين بل يُدعى لهم بالهداية وصلاح الحال.

* * *

## ❊ القيام للرجل الصالح إجلالاً له

[١٩٢] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أن أهل قريظة نزلوا على حكم سعد فأرسل النبي ﷺ إليه فجاء فقال: «**قوموا إلى سيدكم**» أو قال: «**خيركم**».

رواه البخاري في المغازي وفي الاستئذان (٢٨٨/١٣)، ومسلم في الجهاد والسير وجواز قتال من نقض العهد (٩٤/٩٣/٩٢/١٢)، وأبو داود (٥٢١٥) وغيرهم، وقد تقدم مطولاً مبسوطاً في السيرة.

في الحديث مشروعية القيام للرجل الصالح وسيد القوم إكراماً وإجلالاً له، وقد قدّمنا في حديث كعب بن مالك أن طلحة بن عبيدالله قام إليه يهرول يهنئه بتوبة الله عليه، ويأتي قريباً حديث عائشة في قيام النبي ﷺ لابنته فاطمة وقيامها له عليه وعليها الصلاة والسلام.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم على حديث الباب: فيه إكرام أهل الفضل وتلقّيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا، هكذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام. قال القاضي - يعني عياضاً -: وليس هذا من القيام المنهي عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس، ويمثلون قياماً طوال جلوسه.

قال النووي: القيام للقادم من أهل الفضل مستحب، وقد جاء فيه أحاديث، ولم يصح في النهي عنه شيء صريح، وقد جمعت كل ذلك مع

كلام العلماء عليه في جزء وأجبت فيه عما توهم النهي عنه، والله أعلم. وقد ذكر الحافظ في الفتح (٢٨٨/١٣) كلام العلماء في الموضوع وما استدلوا به، وأطال في ذلك، فليراجعه من شاء.

❊ ❊ ❊

## ❊ القيام المنهي عنه

[١٩٣] عن أبي مِجْلَزٍ قال: خرج معاوية على ابن الزبير، وابن عامر، فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير، فقال معاوية لابن عامر: إجلس فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَن أحبّ أن يتمثّل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار»**، وفي رواية: «مَن سرّه» ـ أي: أحبّ أو أعجبه ـ.

«يتمثل» أي: ينتصب له رجال قائمين.

رواه أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٥٩٨)، وأحمد (٩١/٤) بسند حسن صحيح.

[١٩٤] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٩٦)، والترمذي في الاستئذان (٢٥٦٧)، وفي الشمائل (٣٢٨)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (٦٣) وسنده صحيح على شرط مسلم، وحسّنه الترمذي وصححه.

استدل بالحديثين من منع القيام للقادمين مطلقاً لكن الحديث الأول فيه: **«مَن أحب وأعجبه قيام الناس له»**، فهذا هو الممنوع لأنه يدل على التعاظم والتكبر، وهو صريح في القيام على القاعدين على عادات ملوك الروم والفرس وغيرهم، حيث كانوا يقعدون والجند والحواشي قائمون، وهو الموجود اليوم عند بعض الملوك والرؤساء، فهذا محرّم أشد التحريم، ومَن أحبّ ذلك كان من أهل النار إن لم يتب.



أما الحديث الثاني: فكان النبي ﷺ يكره قيامهم له تواضعاً منه وابتعاداً من التشبُّه بالكفار والجبابرة، والله تعالى أعلم.

❊ ❊ ❊

## ❊ المصافحة والمعانقة والقبلة

[١٩٥] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: **«ما من مسلِمَين يلتقيان فيتصافحان، إلا غُفِر لهما قبل أن يتفرّقا»**.

رواه أحمد (٣٠٣/٢٨٩/٤)، وأبو داود (٥٢١٢)، والترمذي في الاستئذان (٢٥٤٥)، وابن ماجه (٣٧٠٣).

وفي رواية لأحمد: **«فيسلّم أحدهما على صاحبه ويأخذ بيده لا يأخذ بيده إلا للّه»**. وحسّنه الترمذي وهو كما قال، وأبو إسحاق توبع.

في الحديث الترغيب في المصافحة والحث عليها لأنها من تمام السلام وذلك مما يزيد في الألفة والتحابب.

[١٩٦] وعن قتادة قال: قلت لأنس: هل كانت المصافحة في أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم.

رواه البخاري في الأدب (٢٩٤/١٣) والترمذي (٢٥٤٢) وحسّنه وصححه.

قال النووي رحمه الله تعالى: المصافحة سنّة مجمع عليها عند التلاقي، واستثنوا المرأة الأجنبية والأمرد لأنهما مما يشتهيان فمسّهما محرّم.

[١٩٧] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: وجّه رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب إلى بلاد الحبشة، فلما قدم منها اعتنقه النبي ﷺ وقبّل بين عينيه.

رواه الحاكم وقال: إسناده صحيح لا غبار عليه، ووافقه الذهبي.

[١٩٨] وعن الشعبي أن النبي ﷺ تلقى جعفر بن أبي طالب فالتزمه وقبّل ما بين عينيه.

رواه أبو داود (٥٢٢٠)، والطبراني بسند رجاله رجال الصحيح لكنه مرسل وقد وصله جماعة كالدارقطني، والحاكم، والطبراني، والبزار وغيرهم عن عائشة وجابر وعبدالله بن جعفر، وأبي جحيفة.

وجاء في بعض رواياته: فتلقاني رسول الله ﷺ فاعتنقني ثم قال: «**ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر**»، ووافق ذلك فتح خيبر.

رواه الطبراني في الأوسط (٧) والصغير، وسنده ضعيف.

فالحديث بهذه الطرق والشواهد ثابت بلا ريب.

[١٩٩] وعن أنس رضي الله تعالى عنه: «كانوا إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا».

أورده الهيثمي في المجمع (٣٦/٨) برواية الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح.

[٢٠٠] وعن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيراً ثم شددت عليه رحلي فسرت إليه شهراً حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبدالله بن أُنَيس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال: ابن عبدالله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته.

رواه أحمد (٤٩٥/٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠)، والحاكم (٤٣٨/٤٣٧/٣) وسنده حسن صحيح، وعلقه البخاري في كتاب العلم، وصححه الحاكم والذهبي.

[٢٠١] وفي الباب عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قدم زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي، فأتاه فقرع الباب فقام إليه رسول الله ﷺ عرياناً يجر ثوبه، والله ما رأيته عرياناً قبله ولا بعده، فاعتنقه وقبّله.



رواه الترمذي في الاستئذان (٢٥٤٦) بتهذيبي، وحسّنه، وفيه ضعف.

وتقدم لنا حديث معانقة أبي الهيثم النبي ﷺ في الشمائل، وهو حديث صحيح أصله في صحيح مسلم.

وعلى أيٍّ، فالمعانقة ثابتة عن النبي ﷺ من فعله وتقريره، وعليها كان عمل الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

وانظر شرح السنة للبغوي (٢٩٣/٢٩٢/٢٩٠/١٣).

[٢٠٢] وعن زارع وكان في وفد عبد القيس قال: لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبّل يد النبي ﷺ ورِجله، وتقدم في الوفود من السيرة.

رواه أبو داود (٥٢٢٥) بسند حسن، وجوّده الحافظ، كما حسّنه ابن عبدالبر.

[٢٠٣] وعن صفوان بن عسال رضي الله تعالى عنه قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي، فقال صاحبه: لا تقل نبي، إنه لو سمعك كان له أربعة أعين، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بيّنات، فقال لهم: «**لا تُشرِكوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصَنة، ولا تتولَّوا يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السبت**».

قال: فقبّلوا يديه ورِجليه وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: «**فما يمنعكم أن تتّبِعوني؟**» قال: إن داود دعا ربه أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخاف إن تبعناك يقتلنا اليهود.

رواه الترمذي في الاستئذان (٢٥٤٧) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٣٠٦/٢ و١٩٨/٥)، وابن ماجه (٣٧٠٥)، والحاكم (٩/١) وصححه الترمذي والحاكم، وسنده عند الترمذي صحيح رجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن سلمة وهو ثقة.

[٢٠٤] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة عليها السلام برسول الله ﷺ، وكان إذا دخلت عليه رحّب بها وقام إليها فأخذ بيدها وقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكانت هي إذا دخل عليها قامت إليه مستقبلة وقبّلت يده.

رواه أبو داود (٥٢١٧)، والترمذي في المناقب (٣٦٤٠)، والنسائي في الكبرى، والحاكم وابن حبان (٢٢٢٣) وحسّنه الترمذي وصححه وسنده صحيح، وما قيل في المنهال بن عمرو لا يضر وهو من رجال البخاري.

[٢٠٥] وعن أُسَيْد بن حُضَيْر رضي الله تعالى عنه قال: بينما هو يحدّث القوم وكان فيه مزاحٌ بيّناً يُضحكهم فطعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود فقال: أضْبِرْني، فقال: «اصْطَبِر» قال: إن عليك قميصاً وليس عليّ قميص، فرفع النبي ﷺ عن قميصه فاحتضنه وجعل يقبّل كَشْحَهُ، قال: إنما أردت هذا يا رسول الله.

رواه أبو داود (٥٢٢٤) وسنده صحيح على شرط الشيخين.

«أصبرني» أي: مكّنّي من الاقتصاص. وقوله: «اصطبر» أي: اقتص وخذ حقك.

وفي هذه الأحاديث جواز تقبيل يد الصالح والعالم ورجليه وبطنه إجلالاً له واحتراماً ومحبة، فهؤلاء وفد عبد القيس واليهود يقبّلون يد النبي ﷺ ورِجله، وأُسيد بن حضير يقبّل كشحه وجنبه الشريف ولا ينكر عليهم، وهكذا حصل منه ﷺ أنه كان يقبّل ابنته فاطمة عليها السلام وتقبّله هي أيضاً.

وإذا ثبت تقبيل يد النبي ﷺ من الصحابة وغيرهم فما يقوله بعض الناس اليوم من أن تقبيل أيدي أولي الفضل السجدة الصغرى، وقول آخرين: إنها شرك: هو تنطّع وخلاف للسنة.

مع أن تقبيل الأيدي وغيرها ثبت عن الصحابة وغيرهم، ففي صحيح



البخاري وغيره أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه دخل على عائشة وهي مريضة فقبّل خدّها.

[٢٠٦] وأخرج البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح عن صهيب رضي الله تعالى عنه قال: رأيت علياً يقبّل يد العباس ورجليه رضي الله تعالى عنهما.

[٢٠٧] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه لقي الحسن بن علي عليهما السلام فقال: رأيت رسول الله ﷺ قبّل بطنك فاكشف الموضع الذي قبّله حتى أقبّله، فكشف له الحسن فقبّله.

رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

[٢٠٨] وعن الشعبي أن زيد بن ثابت قُرّبت له دابة ليركبها فأخذ ابن عباس بركابه فقال زيد: تنحَّ يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بكبرائنا وعلمائنا، فقال زيد: أرني يدك، فأخرج يده فقبّلها فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

رواه الدينوري في المجالسة، وإسناده على شرط مسلم، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق آخر.

[٢٠٩] وعن ثابت البناني قال: كنت إذا أتيت أنساً يُخبَرُ بمكاني فأدخل عليه فآخذ بيديه فأقبلهما فأقول: بأبي هاتين اليدين مسّتا رسول الله ﷺ، وأقبّل عينيه وأقول: بأبي هاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ.

أورده الهيثمي في المجمع برواية أبي يعلى، وقال: رجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن أبي بكر المقدمي، وهو ثقة، وله طريق آخر.

رواه البخاري في الأدب المفرد.

[٢١٠] وعن عبدالرحمٰن بن رزين قال: مررنا بالرَّبَذَة فقيل لنا: ههنا سلمة بن الأكوع، فأتيناه فسلّمنا عليه، فأخرج يديه فقال: بايعت بهاتين نبي الله ﷺ، فأخرج كفًا له ضخمة كأنها كفُّ بعير، فقمنا إليها فقبّلناها.

رواه البخاري في الأدب المفرد.

[٢١١] وعن أبي نضرة أنه قبّل خد الحسن بن علي عليهما السلام.

رواه أبو داود. قال النووي: إسناد صحيح مليح.

وذكر النووي رحمه الله تعالى في الأذكار، عن سهل بن عبدالله التُسْتَرِي السيد الجليل أحد أفراد زهّاد الأمة وعبادها رضي الله تعالى عنه، أنه كان يأتي أبا داود السجستاني صاحب السنن ويقول: أخرِج لسانك الذي تحدّث به حديث رسول الله ﷺ لأقبّله، فيقبّله.

فهذه سنّة رسول الله ﷺ، وهذا عمل الصحابة فمَن بعدهم على جواز التقبيل، وماذا بعد هذا إلا التزمُّت والتنطُّع، وقد قال ﷺ: «**هلك المتنطّعون**».

رواه مسلم.

و«المتنطّعون»: هم المتشددون في غير محل التشديد.

نعم، قال العلماء رحمهم الله تعالى: تقبيل اليد وغيرها كالرأس والخد والرِجل وغيرها يستحب أو يباح في حالتين:

**إحداهما**: إذا كان تعظيماً واحتراماً للشخص لأجل مصلحة دينية كعلم أو شرف أو زهد وصلاح أو غير ذلك كالوالدين وشيوخ الطالب.

**ثانيهما**: إذا كان على وجه العطف والشفقة والملاطفة كتقبيل الأولاد والأقارب والمحارم، وكذا إذا كان عند وداع لسفر أو قدوم منه، ويحرم أو يُكره إذا كان لذي جاه أو حاكم ظالم، كما يحرم بالإجماع التقبيل للمرأة الأجنبية أو لذكَرٍ أمرد لأن ذلك ذريعة للشهوة المحرّمة.

فما هو سائد اليوم بين العلمانيين والمتفرنجين من تبادل القبل بين الرجال والنساء من الخدود وغيرها، هو من الإباحية القذرة التي حرّمها الإسلام أشد التحريم.

**خاتمة**: لا يجوز للإنسان أن يمكّن يده أو غيرها للتقبيل تكبُّراً ونخوة ورؤية للنفس بل ينبغي له أن يتحاشى ذلك ما وجد إليه سبيلاً.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه أبد الآبدين.



## ❊ من أدب المجالس

## ❊ التفسُّح في المجالس

[٢١٢] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُقيمَنَّ أحدكم الرجل من مجلسه، ثم يَخلُفه فيه ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا**».

رواه البخاري في الاستئذان (١٣/٣٠٣)، ومسلم في الأدب (١٤/١٦٠)، والترمذي في الاستئذان (٢٥٦٣).

الحديث يدل على أن الجالس لا يُقام من مجلسه ليجلس فيه غيره لأن ذلك ينافي الأدب ويمس بحرمة المؤمن ويُحرجه، والواجب في الأدب الإسلامي أن يوسّع المسلم لأخيه ويتفسّح فيجلسا معاً كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ أي: توسّعوا يوسّع الله تعالى عليكم برحمته.

قال النووي: هذا النهي للتحريم فمَن سبق إلى موضع مباح في المسجد وغيره يوم الجمعة أو غيره لصلاة أو غيرها فهو أحق به، ويحرم على غيره إقامته لهذا الحديث.

ونقل الحافظ عن ابن أبي جمرة رحمه الله كلاماً هاماً مفصّلاً في الموضوع، ثم قال: والحكمة في هذا النهي منع انتقاص حق المسلم المقتضي للضغائن، والحث على التواضع المقتضي للمواددة، وأيضاً فالناس في المباح كلهم سواء فمَن سبق إلى شيء استحقه، ومن استحق شيئاً فأخذ منه بغير حق فهو غصب والغصب حرام.

❊ ❊ ❊

## ❊ الرجل أحق بمجلسه إذا قام ورجع إليه

[٢١٣] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم**»، وفي رواية: «**من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به**».

رواه مسلم في الأدب (١٦١/١٤).

[٢١٤] وعن وهب بن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: **«الرجل أحق بمجلسه وإن خرج لحاجة ثم عاد فهو أحق بمجلسه»**.

رواه أحمد (٤٢٢/٣)، والترمذي في الاستئذان (٢٥٦٤) وحسّنه وصححه، وهو عنده صحيح.

قوله: «أحق» أي: أوْلى. والحديثان يدلان على أن من اتخذ مجلساً في موضع مباح فهو أوْلى به إن قام منه لحاجة ثم رجع. قال النووي رحمه الله تعالى: فإن كان قد قعد فيه غيره فله أن يُقيمه، وعلى القاعد أن يفارقه.

* * *

## ❊ لا يحل للرجل أن يجلس بين اثنين إلا بإذنهما

[٢١٥] وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يَحل للرجل أن يفرّق بين اثنين إلا بإذنهما»**.

رواه أحمد (٢١٣/٢)، وأبو داود (٤٨٤٥)، والترمذي (٢٥٦٥) بسند حسن، وهو صحيح لشاهد له عند أبي داود (٤٨٤٤) بسند حسن.

والحديث يدل على أنه لا يجوز للمسلم أن يفرّق بين الجالسين وأن يجلس بينهما بدون إذنهما، بل عليه أن يستأذنهما ليتفسحا ويوسعا له لئلا يؤدي ذلك إلى الخصام كما يقع كثيراً في الحرمين الشريفين وغيرهما.

* * *

## ❊ ملعون من جلس وسط الحلقة

[٢١٦] عن أبي مِجْلَز أن رجلاً قعد وسط الحلقة فقال حذيفة رضي الله تعالى عنه: «ملعونٌ على لسان محمد ﷺ، أو: لعن الله على لسان محمد مَن قعد وسط الحلقة».



رواه أبو داود (٤٨٢٦)، والترمذي (٢٥٦٦) كلاهما في الأدب، والحاكم، وصححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي. وقال النووي: إسناده حسن.

فيه: أن الجلوس وسط الحلقة محرّم ملعون صاحبه.

وقد فسّر العلماء هذا القعود على وجهين: إما أن يأتي الإنسان حلقة قوم فيتخطى رقابهم ويقعد وسطها ولا يقعد حيث ينتهي به المجلس، وإما أن يقعد في الوسط فيحول بين الوجوه ويحجب بعضهم عن بعض فيتضررون ويتأذون بذلك، وذلك حرام.

* * *

## ❊ الجلوس بين الظل والشمس

[٢١٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: **«إذا كان أحدكم في الشمس فقلص عنه الظل وصار بعضُه في الشمس وبعضُه في الظل فليَقُم»**.

رواه أحمد (٣٨٣/٢)، وأبو داود (٤٨٢١) بسند صحيح، وله شاهد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ بلفظ: نهى أن يجلس بين الضَّحّ والظل، وقال: **«مجلس الشيطان»**.

رواه أحمد (٤١٣/٣) بسند صحيح، ورواه الحاكم (٢٧١/٤) وسمّى الرجل أبا هريرة وصححه ووافقه الذهبي، وله شاهد آخر عن بريدة رواه ابن ماجه (٣٧٢٢) وحسّنه البوصيري في الزوائد، فالحديث صحيح.

والحديث يدل على كراهة الجلوس بين الظل والشمس بحيث يكون بعضه في الشمس والبعض الآخر في الظل، ولا يعرف السر والحكمة في ذلك، غير أن الحديث مصرح بأنه مجلس الشيطان، فكان من واجب المسلم الابتعاد عن مجالس الشيطان.

* * *

[٢١٨] عن الشَّريد بن سُوَيْد رضي الله تعالى عنه قال: مرّ بي رسول الله ﷺ وأنا جالس هكذا وقد وضعتُ يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت على إلْيَة يدي فقال: «**أتقعد قِعدة المغضوب عليهم؟**».

رواه أحمد (٣٨٨/٤)، وأبو داود (٤٨٤٨)، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي.

«إلية»: بكسر الهمزة وسكون اللام، وإلية اليد: ما غلظ منها.

وفي الحديث النهي عن التشبُّه بالكفار حتى في هيئة جلوسهم لأنهم مغضوب عليهم ولا يليق بالمسلم أن يأتسي بمن غضب الله عليهم.

[٢١٩] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً مضطجعاً على بطنه فقال: «**إنَّ هذه ضِجْعَةٌ لا يُحبُّها الله**».

رواه أحمد (٣٠٤/٢)، والترمذي في الاستئذان (٢٥٧٩)، وابن حبان (١٩٥٩) بسند حسن وهو صحيح، وللحديث عن يعيش بن طخفة أو قيس بن طخفة عن أبيه قال: أصابني رسول الله ﷺ نائماً في المسجد على بطني فركضني برجله وقال: «**ما لك ولهذا النوم؟ هذه نومة يكرهها الله - أو - يبغضها الله**».

رواه أبو داود (٥٠٤٠)، وابن ماجه (٣٧٢٣)، وابن حبان (١٩٦٠) وفي اسم صحابيه اضطراب.

وشاهد آخر عن أبي أمامة رواه ابن ماجه (٣٧٢٥) وثالث عن أبي ذر رواه ابن ماجه أيضاً (٣٧٢٤) وسنده حسن، وشاهد رابع عن عمرو بن الشريد رواه أحمد (٣٩٠/٤) فالحديث لذلك صحيح.

وهو يدل على أن هذه الضجعة مبغوضة ومكروهة لله لأنها نومة الكفار من جهة، وهيئة لفعل قوم لوط من جهة أخرى فلا ينبغي للمسلم أن ينام منبطحاً على بطنه.

❊ ❊ ❊





[٢٢٠] عن عَبّاد بن تميم عن عمه عبدالله بن يزيد رضي الله تعالى عنه أنه رأى رسول الله ﷺ مستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى.

رواه البخاري في المساجد وفي اللباس وفي الأدب (٣٢٣/١٣)، ومسلم في اللباس (٧٧/١٤)، وأبو داود (٤٨٦٦)، والترمذي (٢٥٧٧) وغيرهم.

قوله: «مستلقياً» أي: مضطجعاً على قفاه، وهو يدل على جواز الاستلقاء على القفا في المسجد وإطلاق الرجلين ووضع إحداهما على الأخرى، وهذا محمول على ما إذا كان المستلقي في أمن من كشف عورته والنهي في الحديث التالي حيث يخشى ظهور العورة.

[٢٢١] فعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ نهى أن يرفع الرجل إحدى رجليه على الأخرى وهو مستلقٍ على ظهره.

رواه مسلم في اللباس (٧٧/١٤)، وأبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٧٨) مطولاً، فهذا النهي محمول على من خاف كشف سوءته، هكذا جمع بينهما الخطابي كما نقله في الفتح، ونحوه عند النووي في شرح مسلم، ونقل عن عياض أن استلقاءه ﷺ لعله كان فعله لضرورة أو حاجة من تعب أو طلب راحة لأنه قد علم أن جلوسه ﷺ في المجامع على خلاف هذا، بل كان يجلس متربّعاً أو محتبياً - وهو كان أكثر جلوسه - أو القرفصاء أو مقعياً وشبهها من جلسات الوقار والتواضع. قال النووي: ويحتمل أنه ﷺ فعله لبيان الجواز.

وصفة جلسات النبي ﷺ تقدمت مستوفاة في الشمائل.

❊ ❊ ❊

## ❋ ذم المجالس الخالية من ذكر الله تعالى

[٢٢٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا على مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة»**.

رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم وسنده صحيح، وتقدم في الدعوات (ج٢/١٥٨٥)، وفي رواية: **«ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلّوا فيه على النبي ﷺ، إلا كان عليهم تِرة يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم وإن شاء أخذهم بها»**.

قوله: «تِرَة» بكسر التاء على وزن عِدَة، ومعناها: النقص، وهي هنا معناها: التبعة.

والحديث بلفظَيْه يدل على ذم الغافلين عن الله في مجالسهم وأنهم إن لم يذكروا الله عزّ وجل كان عليهم حسرة وندامة يوم القيامة وقاموا من مجالسهم وهي قذرة منتنة أنتن وأقذر من جيفة حمار، وكفاهم بذلك خسارة.

وحديث كفارة المجلس تقدم في الأذكار فارجع إليه في الجزء الثاني.

❋ ❋ ❋

## ❋ أبواب الأسماء[1] والكنى[1] وما يتبع ذلك

### تحسين الاسم

[٢٢٣] عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أبردتم إليّ بريداً فابعثوه حسَنَ الوجه حسَنَ الاسم»**.

(١) الاسم كل ما جعل علامة على مسماه من حيوان وغيره، ويكون كنية ولقباً أيضاً ويطلق على الجميع: العَلَمُ.



رواه البزار في مسنده (١٩٨٥) بسند صحيح، وللحديث شاهد عن أبي هريرة رواه البزار، والطبراني وسنده حسن عند الطبراني، وفي الباب عن ابن عباس رواه أحمد، وعن عبدالله بن الشخير رواه الطبراني في الكبير والأوسط بسند حسن.

«البريد»: هو حامل الرسائل.

والحديث يدل على سنية تحسين الاسم وأنه لا يبعث السفير إلا حسن الوجه والاسم ليُتفاءل بذلك، وقد كان النبي ﷺ يعجبه الفألُ الحسن.

❋ ❋ ❋

## ❋ التسمّي بأسماء الأنبياء

[٢٢٤] عن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: **«إنهم كان يُسَمَّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»**.

رواه أحمد (٤/٢٥٢)، ومسلم في الأدب (١٤/١١٦)، والترمذي في التفسير (٢٩٥٢)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٩٣).

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ أي: يا شبيهة هارون في العبادة، وكان هارون رجلاً عابداً صالحاً أيام مريم، فشبّهوها به.

والحديث يدل على جواز التسمية بأسماء الأنبياء. قال النووي: وأجمع عليه العلماء، وقد قدّمنا أن النبي ﷺ قال: **«ولد لي الليلة ولد فسمّيته باسم أبي إبراهيم»**.

قال النووي رحمه الله تعالى: وقد كان في أصحابه خلائق مسمون بأسماء الأنبياء.

❋ ❋ ❋

## ❊ التسمّي باسم النبي ﷺ وعدم التكني بكنيته

[٢٢٥] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**تسمُّوا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي**».

رواه البخاري في الأدب (١٣/١٩٣)، ومسلم في الأدب (١٤/١١٦)، وأبو داود (٤٩٦٥) ورواه البخاري في الأدب المفرد (٨٤٤)، وأبو داود (٤٩٦٦)، والترمذي (٢٦٤٩) عنه بلفظ: نهى أن يُجْمَع بين اسمه وكنيته ويسمى محمداً أبا القاسم وسنده صحيح.

[٢٢٦] وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن رجلاً من الأنصار ولد له غلامٌ فأراد أن يسمّيه محمداً فأتى النبي ﷺ فسأله فقال: «**أحسنت الأنصار، سَمُّوا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي**» وفي رواية: فسمّاه محمداً.

وفي رواية: فسمّاه القاسم فقالوا: لا نكنّيه حتى نسأل النبي ﷺ. فقال: «**سموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي**».

وفي رواية: لا نكنيك بأبا القاسم ولا ننعمك عيناً. وفيه: فقال ﷺ: «**سمِّ ابنك عبدالرحمٰن**».

رواه البخاري بالروايتين الأخيرتين (١٣/١٩٢/١٩٣)، ومسلم بالأوليتين (١٤/١١٤/١١٥).

[٢٢٧] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: نادى رجل بالبقيع يا أبا القاسم فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لم أعْنِكَ إنما عنَيْتُ فلاناً، فقال رسول الله ﷺ: «**سمُّوا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي**».

رواه البخاري في البيوع، وعلقه في الأدب، ورواه مسلم في الأدب (١٤/١١٢)، والترمذي (٢٦٥١)، والبخاري أيضاً في الأدب المفرد (٨٣٧/٨٤٥)، وابن ماجه، وغيرهم.



في هذه الأحاديث الإذن بالتسمّي باسم النبي ﷺ وهذا لا خلاف فيه، كما فيها النهي عن التكني بكنيته: أبي القاسم. واختلف العلماء والأئمة رحمهم الله تعالى في ذلك؛ فذهب الشافعي والظاهرية إلى المنع مطلقاً سواء كان اسمه محمداً أو أحمد أم لم يكن لظاهر الأحاديث، وذهب آخرون إلى أن ذلك كان خاصاً بحياته ﷺ، أما ما بعده فيجوز، وهذا مذهب مالك. قال القاضي عياض وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار وجمهور العلماء. ورجح ابن أبي جمرة الجواز لمن ليس اسمه محمداً، وقال: الأولى الأخذ بمذهب المنع فإنه أبرأ للذمة وأعظم للحرمة، وكان جماعة من السلف يسمون محمداً ويكنون بأبي القاسم، منهم: محمد بن الحنفية، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن الأشعث. انظر الفتح (١٣/١٩٢/١٩٣/١٩٤)، والنووي (١٤/١١٢)، وشرح السنة (١٣/٣٣١/٣٣٤).

❊ ❊ ❊

## ❊ الرخصة في ذلك بعده ﷺ

[٢٢٨] عن علي عليه السلام قال: يا رسول الله أرأيت إن ولد لي بعدك ولد أسمّيه محمداً وأكنّيه بكنيتك؟ قال: «**نعم**»، قال: فكانت رخصة لي.

رواه أبو داود (٤٩٦٧)، والترمذي (٣٦٥٢) وحسّنه وصححه وسنده عنده على شرط البخاري.

في الحديث الترخيص بعده ﷺ في الجمع بين اسمه وكنيته فيكون ذلك دليلاً للجمهور، أما قول الإمام: «فكانت رخصة لي» هو فهم فهمه، واجتهاد منه رضي الله تعالى عنه، والحديث ليس فيه تخصيصه بذلك، والله تعالى أعلم.

❊ ❊ ❊

## ❋ جواز التكني لمن لا ولد له

**[٢٢٩]** عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: يا رسول الله كل صواحبي لهن كُنَى، قال: **«فاكتني بابنك عبدالله»** يعني ابن أختها عبدالله بن الزبير، فكانت تكنى بأم عبدالله. وفي رواية: كل نسائك لها كنية غيري، فقال...

رواه أحمد (٦/١٠٧/١٥١/١٨٦/٢٦٠)، وأبو داود (٤٩٧٠)، وأبو يعلى (٤/٩٩) بسند صحيح.

ففيه جواز التكني لمن ليس له ولد بأن يكنى باسم الغير، وبهذا قال كل العلماء إلا من لا عبرة به. والكنية كما هو معلوم كل ما صُدِّر بأبٍ أو أُمٍّ.

❋ ❋ ❋

## ❋ أَحَب الأسماء إلى الله

**[٢٣٠]** عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أحبَّ أسمائكم إلى الله عزّ وجل عبدالله وعبدالرحمٰن»**.

رواه مسلم في الأدب (١٤/١١٣).

في الحديث أن هذين الاسمين هما أحب الأسماء إلى الله وأن للتسمّي بهما فضلاً على غيرهما لنسبة العبودية فيهما إلى الله عزّ وجل.

❋ ❋ ❋

## ❋ أسماء يُكره التسمّي بها

**[٢٣١]** عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تُسمِّ غلامك رَبَاحاً، ولا يَساراً، ولا أفْلَح، ولا نافعاً»**.



وفي رواية: **«ولا تسَمِّيَنَّ غلامك يساراً، ولا رباحاً، ولا نجيحاً، ولا أفلح، فإنك تقول: أثَمَّ هو فلا يكون، فيقول: لا، إنما هن أربع فلا تزيدُنَّ عليّ»**.

رواه مسلم في الأدب (١٤/١١٧/١١٨) بالروايتين، وأبو داود (٤٩٥٨/٤٩٥٩)، وابن ماجه (٣٦٣٠).

**[٢٣٢]** وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن عشتُ إن شاء الله أنهى أمتي أن يُسَمُّوا نافعاً، وأفلح، وبركة»** قال: **«فإن الرجل يقول: إذا جاء أثَمّ بركةٌ؟ فيقولون: لا»**.

رواه مسلم (١٤/١١٨)، وأبو داود (٤٩٦٠) والسياق له، وزاد مسلم: **«يَعْلَى»**.

وفي الحديثين كراهة التسمّي بهذه الأسماء وهي: رباح، ويسار، وأفلح، ونافع، ونجيح، وبركة، ويعلى. والحكمة في ذلك هي ما بيّنه ﷺ بقوله: **«فإنك تقول: أثمّ هو؟ فيقول: لا، أثَمّ بركة؟ فيقولون: لا»**.

لأن في الجواب بلا نفياً لليسار وللفلاح وللنفع والنجاح والبركة، وذلك مما يستبشع، ولأن ذلك ربما أدى بصاحبه للطيرة، والنبي ﷺ كان يحب الفأل الحسن ويكره التشاؤم وقد نص العلماء على أنه يكره التسمّي بكل ما في معنى ما ذكر.

❋ ❋ ❋

## ❋ مشروعية تغيير الأسماء
## تغيير حَزْن إلى سَهل

**[٢٣٣]** عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده حَزْن أنه أتى النبي ﷺ فقال: **«ما اسمك؟»** قال: حَزْنٌ، قال: **«أنت سَهلٌ»** قال: لا أغيِّر اسماً سمّاني أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحُزُونة فينا بعد، وفي رواية: قال: لا السَّهْلُ يوطأ ويمتهن. قال سعيد: فظننت أنه سيصيبنا بعده حزونة.

رواه أحمد (٥/٤٣٣)، والبخاري (١٣/١٩٥)، وأبو داود (٤٩٥٦)، والرواية الأولى للبخاري والثانية لأبي داود.

«حَزْنٌ»: بفتح الحاء وسكون الزاي، هي الشدة والصعوبة وفيه نوع من التشاؤم ولذلك غيّره النبي ﷺ وقال له: **«أنت سهل»** فلم يقبل ذلك ولم يغير اسمه فكانت الصعوبة والشدة في أخلاق أولاده خُلُقاً موروثاً فيهم أباً عن جد، حتى ذكر أهل النسب أنه كان في ولد حَزْنٍ سوء خلق معروف فيهم، وقد صرّح بذلك حفيد حزن سعيد بن المسيب حيث قال في رواية البخاري: «فما زالت الحزونة فينا بعدُ».

❋ ❋ ❋

## ❋ تغيير عاصية إلى جميلة

**[٢٣٤]** وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن ابنة لعمر كانت يقال لها: عاصية، فسمّاها رسول الله ﷺ جميلة. وفي رواية: غيّر اسم عاصية وقال: **«أنتِ جميلة»**.

رواه مسلم (١٤/١١٩)، وأبو داود (٤٩٥٢)، والترمذي (٢٦٤٦) في الاستئذان، وكذا أحمد (٢/١٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٢٠)، وابن ماجه (٣٧٣٣).

«عاصية» هذا، لا يليق بأن يكون اسماً لامرأة مسلمة لبشاعته وقبحه.

❋ ❋ ❋

## ❋ تغيير برة إلى جويرية

**[٢٣٥]** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت جُويرية اسمها بَرَّة فحوّل رسول الله ﷺ اسمها جُويرية، وكان يكره أن يقال: خرج من عند برة.



رواه أحمد (١/٢٥٨/٣٥٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٣١)، ومسلم في الأدب (١٤/١١٩).

❋ ❋ ❋

## ❋ تحويل برة إلى زينب

**[٢٣٦]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن زينب رضي الله تعالى عنها كان اسمها برة فقيل: تزكي نفسها، فسماها رسول الله ﷺ زينب.

وفي رواية عن زينب بنت أم سلمة رضي الله تعالى عنهما قالت: كان اسمي برة فسمّاني رسول الله ﷺ زينب، قالت: ودخلت عليه زينب بنت جحش واسمها برة فسماها زينب.

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: **«لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم»** فقالوا: بمَ نسمِّيها؟ قال: **«سمُّوها زينب»**.

رواه أحمد (٢/٤٣٠/٤٥٩)، والبخاري في الأدب (١٣/١٩٧)، ومسلم (١٤/١٢٠)، وأبو داود (٤٩٥٣) بعضهم عن أبي هريرة والبعض عن زينب.

فتغييره ﷺ برة إلى زينب لأن في برة نوعاً من تزكية النفس ومدحها ولذلك قال: **«لا تزكُّوا أنفسكم فإن الله هو أعلم بالبرة منكن والفاجرة»** كما في رواية عند البخاري في الأدب المفرد (٨٢١) وأبو داود...

❋ ❋ ❋

## ❋ تحويل أصرم إلى زرعة

**[٢٣٧]** عن أسامة بن أخدري أن رجلاً يقال له: أَصْرَمُ، كان في النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **«ما اسمك؟»** قال: أنا أصرم، قال: **«بل أنت زُرْعَةُ»**.

رواه أبو داود (٤٩٥٤) بسند صحيح، فكره الأصرم لأن من معانيه القطع فأبدله بزرعة تفاؤلاً بالزراعة.

❊ ❊ ❊

## ❊ تبديل أبي الحكم بأبي شريح

[٢٣٨] عن هانىء أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: **«إن الله هو الحكَم، وإليه الحكم، فلمَ تُكَنَّى أبا الحكم؟»**.

فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟»** قال: لي: شريح، ومسلم، وعبدالله، قال: **«فمَن أكبر؟»** قلت: شريح، قال: **«فأنت أبو شُرَيح»**.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٨١١)، وأبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي في الكبرى (٤٦٦/٣)، والحاكم (٢٤/١)، وابن حبان (٢٥٧/٢) بالإحسان وسنده صحيح.

هذا من الأسماء التي لا تليق بالعبد لأن الحاكمية لا تكون إلا لله عزّ وجل فكره ﷺ إسناد ذلك لغيره تعالى.

❊ ❊ ❊

## ❊ إبدال شهاب بهشام

[٢٣٩] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ذُكِر عند رسول الله ﷺ رجل يقال له: شهاب، فقال رسول الله ﷺ: **«بل أنت هشام»**.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٢٥)، وأحمد (٧٥/٦)، ورجاله رجال الصحيح غير عمران القطان وهو حسن الحديث.



لم يعجبه شهاب لأنه قد يطلق على قطعة من نار بخلاف هشام، فإن من معانيه هشم الطَّعَام.

❊ ❊ ❊

## ❊ تحويل عزيز إلى عبدالرحمٰن

[٢٤٠] عن خيثمة بن عبدالرحمٰن عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ مع أبي وأنا غلام فقال له النبي ﷺ: **«ما اسم ابنك هذا؟»** قال: اسمه عزيز، فقال له رسول الله ﷺ: **«لا تسمِّه عزيزاً ولكن سمِّه عبدالرحمٰن، فإن أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمٰن»**.

أورده نور الدين في المجمع برواية الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

فعزيز من أسماء الله تعالى فلا يجوز التسمّي به، ولذلك أمره بأن يسمّيه عبدالرحمٰن، وأخبره بأنه أحب الأسماء إلى الله تعالى لوصفه بالعبودية لله تعالى.

❊ ❊ ❊

## ❊ إبدال شيطان بعبدالله

[٢٤١] عن عبدالله بن قرط أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال له: **«ما اسمك؟»** قال: شيطان بن قُرْط، قال: **«أنت عبدالله بن قرط»**.

رواه أحمد (٣٥٠/٤) والطبراني وسنده صحيح.

عجباً لأهل الجاهلية كيف كان الشيطان يلعب بعقولهم ويتفانون في طاعته فهل يرضى عاقل لابنه أن يجعل اسم شيطان علامة عليه، ولذا غيّر النبي ﷺ اسمه وجعل عبوديته لله علامة عليه لأن ذلك هو الأليَق به.

❊ ❊ ❊

## ❊ تحويل اسم حرام إلى حلال

[٢٤٢] عن رجلٍ من جهينة قال: سمعه النبي ﷺ وهو يقول: يا حرامٌ، فقال: «**يا حلالٌ**».

رواه أحمد (٢٧١/٣) بسند صحيح رجاله رجال الصحيح فلا معنى لحرام يسمى به الرجل ويجعل علامة عليه، فإنه اسم بشع كباقي أسماء الجاهلية.

❊ ❊ ❊

## ❊ إبدال جَثَّامة بحَسّانة

[٢٤٣] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي، فقال لها رسول الله ﷺ: «**مَن أنتِ؟**» قالت: أنا جثامةُ المزنيةِ، فقال: «**بل أنتِ حسَّانةُ المُزَنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا؟**» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «**إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حُسْن العهد من الإيمان**».

رواه الحاكم (١٥/١/١٦)، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٧١/٩٧٢)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وتعقب بأن صالح بن رستم لم يخرج له البخاري إلا تعليقاً. وعلى أيٍّ، فالحديث صحيح.

وقوله: «إن حسن العهد» أي: إن الوفاء بالعهد من شعب الإيمان، ومن الوفاء للزوجة الإحسان إلى صديقاتها فضلاً عن أهلها وأقاربها وهذا كان هدى النبي ﷺ.

فهذا ما وقفنا عليه في السنة الصحيحة مما غيّره النبي ﷺ من الأسماء المكروهة وهو أحد عشر اسماً، ووردت أسامي أخرى حوّلها ﷺ إلى غيرها، لكن أحاديثها ضعيفة فأعرضنا عنها.



**فائدة**: نقل الحافظ في الفتح (١٣/١٩٧/١٩٨) عن الطبري قال: لا ينبغي التسمية باسم قبيح المعنى، ولا باسم يقتضي التزكية له، ولا باسم معناه السب، ولو كانت الأسماء إنما هي أعلام للأشخاص، لا يقصد بها حقيقة الصفة، لكن وجه الكراهة أن يسمع سامع بالاسم فيظن أنه صفة للمسمى، فلذلك كان ﷺ يحول الاسم إلى ما إذا دُعِيَ به صاحبه كان صدقاً، قال: وقد غيّر رسول الله ﷺ عدة أسماء.

❊ ❊ ❊

## ❊ أبغض الأسماء إلى الله تعالى

[٢٤٤] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَخنَعُ الأسماء عند الله رجلٌ تسمّى بملك الأملاك**»، وفي رواية: «**أخنَى الأسماء**»، وفي رواية: «**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه وأغيظه عليه، رجل كان يسمى ملك الأملاك لا ملك إلا لله تعالى**».

رواه البخاري (١٣/٢١١/٢١٢)، ومسلم (١٤/١٢١/١٢٢)، وأبو داود (٤٩٦١)، والترمذي (٢٦٤٥) كلهم في الأدب، والرواية الثالثة لأحمد (٢٤٤/٢)، ومسلم (١٢٢/٤).

وقوله: «أخنع الأسماء» أي: أفجر من الفجور، وهو بمعنى أخبث أي: أكذب الأسماء، وقيل: أقبح أو أوضع، ورواية «أخنى الأسماء» أي: أفحش، والخنا الفحش، وقوله: «أغيظ» أي: أشد غيظاً وغضباً.

وعلى أيٍّ، فالتسمِّي بهذا الاسم محرّم أشد التحريم، وقد فسّره سفيان بمثل شاه شاهان، ومعناه: ملك الملوك.

قال العلماء: ويلتحق به: خالق الخلق، وأحكم الحاكمين، وسلطان السلاطين، وأمير الأمراء، وقيل: يلتحق به أيضاً من تسمّى بشيء من أسماء الله الخاصة به كالرحمة والقدوس والجبار. وهل يلتحق به من تسمّى قاضي القضاة أو حاكم الحكام.

اختلف العلماء في ذلك، وقد ذكر الحافظ أقوالهم، ثم ختم ذلك بكلام للإمام ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى في الموضوع واختار المنع مطلقاً وسوّى بين ملك الأملاك وبين قاضي القضاة.

ومن الأسماء المحظورة التي تدل على الكذب والتزكية: عز الدين، ومحيي الدين، وناصر الدين، وزكية، وشمس الضحى، وحورية، ونهاد، ومن أقبحها التسمّي بأسامي الفنانين والفنانات والراقصات والعواهر الساقطات، أو أسامي الكفار والكافرات كما هو شائع اليوم بين المتفرنجين والمستعربين والجهلة من العوام، فلا ينبغي للمسلم أن ينساق مع العوائد الجاهلية.

❊ ❊ ❊

## ❊ ما يباح ويُكره من الألفاظ والكلمات
## ما جاء في يا بُنَيَّ

[٢٤٥] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا بُنَيّ»**.

رواه مسلم (١٢٩/١٤)، وأبو داود (٤٩٦٤)، والترمذي (٢٦٤٠) وحسّنه وصححه.

[٢٤٦] وعن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل رسول الله ﷺ أحدٌ عن الدجال أكثر مما سألته عنه فقال لي: **«أيْ بُنَيَّ وما يُنْصِبُكَ منه؟ إنه لن يَضُرَّك»**.

رواه مسلم (١٣٠/١٤) ويأتي.

قوله: «وما ينصبك» من النصب وهو التعب، أي: ما يشق عليك ويتعبك منه. وقوله: «يا بني» بفتح الياء المشددة وكسرها.

وفي الحديثين جواز قول الإنسان لغير ابنه ممن هو أصغر سناً منه: يا ابني أو يا بنيّ مصغراً، وكذا يا ولدي، وفيه معنى التلطُّف كأنه يقول له:



إنك عندي بمنزلة ولدي في الشفقة، أما إذا كان قريناً له فيقول له: يا أخي، وإذا كان أكبر منه يناديه يا عم.

❊ ❊ ❊

## ❊ قول الرجل مرحباً

[٢٤٧] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ قال: **«مرحباً بالوفد الذين جاؤوا غير خزايا ولا ندامى...»** الحديث.

رواه البخاري ومسلم وغيرهما مطولاً، وقد تقدم ذكره وتخريجه وشرحه في الإيمان (ج١/١٥٤).

ومعنى قوله: «مرحباً» أي: لقيت رحباً وسعة.

[٢٤٨] وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: قال النبي ﷺ لبنته فاطمة عليها السلام: **«مرحباً يا بُنَيَّتي...»** الحديث تقدم في السيرة وغيرها وهو في الصحيح.

[٢٤٩] وقالت أم هانىء رضي الله تعالى عنها: جئت النبي ﷺ فقال: **«مرحباً بأم هانىء»** وهو في الصحيح، وتقدم في السيرة أيضاً وسنذكره بتمامه قريباً.

وفي هذه الأحاديث وغيرها جواز الترحيب بالقادم على الإنسان، وذلك من حسن الأدب والمعاملة الطيبة.

❊ ❊ ❊

## ❊ قولهم فداك أبي وأمي

[٢٥٠] عن علي رضي الله تعالى عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد غير سعد بن أبي وقاص. وفي رواية: ما جمع رسول الله ﷺ

أباه وأمه لأحد إلا سعد بن أبي وقاص، قال له يوم أُحد: «**ارمِ فداك أبي وأمي**».

وقال له: «**ارم أيها الغلام الحَزَوَّرُ**».

رواه البخاري (١٣/١٨٨)، ومسلم في المناقب، والترمذي في الاستئذان (٢٦٣٨)، وتقدم في غزوة أُحد من السيرة، وتقدم فيها قوله ﷺ للزبير ذلك في غزوة الخندق.

«الحزور»: بفتح الحاء والزاي والواو المفتوحة المشددة، هو الغلام القوي.

وفي الحديث جواز قول الرجل للآخر: فداك أبي وأبي، أي: أفديك بهما. وقد تكرر ذلك كثيراً على لسان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم.

* * *

## ❊ قول الرجل لآخر ويلك أو ويحك

[٢٥١] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال له: «**اركبها**» قال: يا رسول الله إنها بدنة، قال: «**اركبها ويلك**» في الثانية أو في الثالثة.

رواه البخاري ومسلم كلاهما في الحج وتقدم.

[٢٥٢] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ في سفر وكان معه غلام له أسود يقال له: أنجشة يحدو، فقال رسول الله ﷺ: «**ويحك يا أنجشة رويدك بالقوارير**».

رواه البخاري في الأدب (١٣/١٧٠) وغيره، ويأتي لاحقاً في الحداء.

«ويلك»: أصله وَيْ وهي كلمة تأوُّه، فلما كثر استعمالهم لها وقولهم: وي فلان وصلوها باللام، وقدروها أنها منها فأعربوها، وتستعمل للتقبيح



على المخاطب فعله، وتستعمل بمعنى التحسُّر وجعلت في الشرع بمعنى الهلاك أو بواد في جهنم.

أما ويح، فقالوا: إنها كلمة ترحُّم، ومنه قوله ﷺ: «**ويح عمار، تقتله الفئة الباغية**» وقالوا: إن أكثر أهل اللغة على أن ويل كلمة عذاب، وويح كلمة رحمة، وقد استعمل إحداهما موضع الأخرى، وقد تكررتا في الأحاديث.

* * *

## ❊ سب الدهر

[٢٥٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله عزّ وجل: يَسُبُّ ابنُ آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار**»، وفي رواية: «**يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتُهما**»، وفي رواية: «**لا تسبُّوا الدهر فإن الله عزّ وجل قال: أنا الدهر الأيام والليالي لي، أجددها وأُبليها وآتي بملوك بعد ملوك**».

رواه أحمد (٢/١٣٨/٢٧٢/٢٧٥)، والبخاري في تفسير الجاثية (١٠/١٩٥/١٩٦)، وفي التوحيد، ومسلم في الأدب (١٥/٢/٣/٤)، وأبو داود (٥٢٧٤). والروايتان الأوليتان لمسلم، والأخيرة لأحمد (٢/٤٩٦) بسند صحيح على شرط مسلم.

قوله: «يؤذيني» معناه: يعاملني معاملة توجب الأذى في حقكم، فهو من باب المجاز فإن الله عزّ وجل لا يصله أذًى منا فهو منزَّه عن ذلك.

وقوله: «الدهر» هو الزمان من الأيام والليالي وهو على حذف مضاف، أي: أنا رب الدهر وخالقه ومُقَلِّبُه، فمَن سبّ الدهر كأنما سبّ خالقه، والقيام عليه وهو الله عزّ وجل وقد حاد عن الصواب من جعل الدهر اسماً من أسماء الله عزّ وجل. قال العلماء: وهذا مجاز وسببه أن

العرب كانوا إذا نزلت بهم حوادث ومصائب من موت أو هرم مثلاً أو تلف مال أو قحط، نسبوا كل ذلك للزمان فيسبُّونه قيقولون: يا خيبة الدهر، فجاء الإسلام بالنهي عن ذلك، وبيان أن الدهر بأيامه ولياليه خلق الله وأنه مسخّر من قبل الله عزّ وجل لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة من نفع أو ضر.

وليراجع الفتح (١٣/١٨٤/١٨٥) (ج١٠/١٩٦) وشرح مسلم للنووي (١٥/٢/٣).

❊ ❊ ❊

## ❊ ما قيل في تسمية العنب كَرْماً

[٢٥٤] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تُسَمُّوا العنب الكَرْم، فإن الكَرْم الرجلُ المسلمُ»**، وفي رواية: **«فإن الكَرْمَ قلبُ المؤمن»**، وفي رواية: **«ولكن قولوا: العنب والحَبَلَة»**.

رواه البخاري (١٣/١٨٤) ومسلم (١٥/٤/٥) وغيرهما.

«الحبلة»: بفتح الحاء والباء وتسكن الباء، هي شجرة العنب.

وفي الحديث كراهة تسمية العنب كرماً، وسبب النهي عن ذلك الابتعاد عن التشبُّه بالجاهلية الذين كانوا يطلقون ذلك على العنب والخمر معاً حتى سموا الخمر بمفردها كرماً لأنها في زعمهم كانت تحملهم على الكرم والسخاء، فكره الشرع إطلاق هذه اللفظة على العنب وشجره، لأنهم إذا سمعوا الكرم تذكروا بها الخمر وحنت نفوسهم إليها فرجعوا إليها أو قاربوا ذلك، وأخبرهم بأن الذي يستحق هذا الاسم هو الرجل المسلم أو قلب المؤمن لما فيه من الإيمان والنور والتقوى.

أفاده النووي رحمه الله تعالى.

❊ ❊ ❊



## ❊ ما جاء في العبد والأمة والمولى والسيد وإطلاقها على الموالي

[٢٥٥] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يقولَنَّ أحدُكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن لِيَقُلْ: غلامي وجاريتي، وفتايَ وفتاتي»**، وفي رواية: **«فإن مولاكم الله عزّ وجل»**، وفي رواية أخرى: «لا يقل أحدكم: إسقِ ربك، أطعِم ربك، وضّىء ربك، ولا يقل أحدكم: ربي وليقل: سيدي، مولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي، أمتي، وليقل: فتاي، فتاتي، غلامي»، وفي رواية: «لا يقولن أحدكم: عبدي أو أمتي، ولا يقولن: المملوك ربي وربتي، وليقل: المالك فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون، والرب الله عزّ وجل».

رواه أحمد (٢/٣١٦/٤٩٦)، والبخاري في العتق (٦/١٠٥)، ومسلم (١٥/٥/٦)، وأبو داود (٤٩٧٥) كلاهما في الأدب بألفاظ.

الحديث بجميع رواياته وألفاظه يدل على أن السيد لا يقول لمملوكه: عبدي وللأنثى أمتي، ذلك أن الكل عبيد الله وكل النساء إماء الله، فهم جميعهم مربوبون لله تعالى فلا ربوبية لأحد من خلق الله على آخر، فإذا نادى السيد مملوكه، قال: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي، والمراد بالنهي عن ذلك من استعمله على جهة التعاظم لا مَن أراد التعريف. قاله النووي رحمه الله تعالى.

أما المملوك فحسبه أن يقول: سيدي وسيدتي ومولاي. وهذا من الآداب مع الله عزّ وجل، ثم إن هذا النهي الأكثر على أنه للكراهة وسلوك مسلك الأدب، علماً بأنه ورد ما يدل على الجواز.

❊ ❊ ❊

## ❊ كراهة قول الإنسان: تعِس الشيطان

[٢٥٦] عن رجل قال: كنت رديف النبي ﷺ فعثرَتْ دابتُه فقلت: تعِس الشيطان، فقال: «**لا تقل تعِس الشيطان فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي صرعتُه، ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب**».

رواه أحمد (٥/٥٩/٧١)، وأبو داود (٤٩٨٢)، والنسائي في الكبرى (٦/١٤٢)، والحاكم (٤/٢٩٢) وصححه ووافقه الذهبي، وسنده صحيح، وجاء عند بعضهم تسمية الرجل وهو عن أبي المليح عن أبيه.

«تعس»: بكسر العين، أصل التعاسة السقوط على الوجه.

وفي الحديث النهي عن ذكر الشيطان عند حدوث ما يسوء الإنسان، فإن ذكره عندئذ مما يرضيه ويعجب به ويتعاظم بسببه فيسند الفعل له ويقول: بقوتي صرعته وأسقطته على الأرض، ولكنه إذا ذُكر الله عزّ وجل خنس وأهين وذل وتصاغر حتى يصير مثل الذباب. وهذا من الآداب العظيمة، فالواجب على المسلم أن يكون دائم الذكر للّه عند كل شيء يصيبه من خير أو شر ليخزي الشيطان ويذلّه، وليرضي ربه عزّ وجل.

❊ ❊ ❊

## ❊ كراهة قول الإنسان خَبُثَتْ نفسي

[٢٥٧] عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ قال: «**لا يقولَنّ أحدكم: خَبُثَتْ نفسي، ولكن ليقل: لقِسَت نفسي**».

رواه البخاري (١٣/١٨٣)، ومسلم (١٥/٧)، وأبو داود (٤٩٧٩) كلهم في الأدب.

[٢٥٨] وعن سهل بن حنيف رضي الله تعالى عنه مثله رواه الثلاثة المذكورون.



قوله: «خبثت» بضم الباء. «ولقِست»: بكسر القاف. قال جميع أهل اللغة والغريب وغيرهم: إن معناهما واحد. قال النووي رحمه الله تعالى: وإنما كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم، وعلمهم الأدب في الألفاظ واستعمال حسنها وهجران خبيثها.

وانظر الفتح (١٣/١٨٣) للمزيد.

❊ ❊ ❊

## ❊ كراهة الجمع بين اسم اللّه وغيره بلا فصل

[٢٥٩] عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: خطب رجل عند النبي ﷺ فقال: مَن يُطِع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال النبي ﷺ: «**أسكت فبئسَ الخطيب أنت**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**مَن يُطع الله ورسوله فقد رشد، ومَن يعصِ الله ورسوله فقد غوى، ولا تقل: مَن يعصهما**».

رواه مسلم في كتاب الجمعة.

ففي الحديث تعليم الأدب في المنطق وكراهية الجمع بين اسم الله تعالى واسم غيره تحت حرفَيْ الكناية، لأنه يتضمن نوعاً من التسوية بين الخالق والمخلوق وذلك ينافي الأدب مع الله عزّ وجل وأسمائه.

❊ ❊ ❊

## ❊ كراهة قولهم: ما شاء اللّه وشئت

[٢٦٠] عن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**».

رواه أحمد (٥/٣٨٤/٣٩٤/٣٩٨)، وأبو داود في الأدب (٤٩٨٠)، والطحاوي في المشكل (١/٩٠)، والبيهقي في السنن (٣/٢١٦) بسند صحيح.

وفي رواية قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: إني رأيت في المنام أني لقيتُ بعض أهل الكتاب، فقال: نِعْمَ القوم أنتم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد، فقال النبي ﷺ: **«قد كنت أكرهها منكم فقولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد»**.

رواه أحمد (٣٩٣/٥)، وابن ماجه (٢١١٨) بسند صحيح، وفيه اختلاف لا يضر، بيّنه الشيخ ناصر رحمه الله تعالى في الصحيحة رقم (١٣٧).

فهذا قريب مما سبق، فإن الواو تقتضي الجمع في العطف في قوله: «ما شاء الله وشاء فلان»، فلا يجوز العطف بها في مثل ما ذكر لأنه يقتضي مشاركة مشيئة الغير لمشيئة الله والواقع خلافه، فإن المشيئة هي إرادة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، فأخبر تعالى بأن المشيئة له دون خلقه وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء الله، ولذلك أمر ﷺ أصحابه أن يتأدبوا مع الله عزّ وجل ومع رسوله وأن لا يجعلوه شريكاً له عزّ وجل كما جاء في رواية: **«أجعلتني لله ندًا»** فلذلك علّمهم أن يعطفوا في مثل ما ذكر بحرف «ثم» الموضوعة للتراخي وعدم التشريك، فيقول الإنسان: ما شاء الله ثم شاء فلان، كما يجوز له أن يقول: ما عليَّ إلا فضل الله ثم فضلُك، أو: ما لي بلاغٌ إلا بالله ثم بك، كما جاء في الصحيحين في قصة الأعمى، والأبرص، والأقرع، وقد تقدمت في الأنبياء.

* * *

## ❊ قولهم: زعموا

**[٢٦١]** عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في زعموا: **«بِئْسَ مَطِيَّةُ الرجُلِ زعموا»**.

رواه أحمد (٤٠١/٥)، وأبو داود (٤٩٧٣) في الأدب، والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٢)، والطحاوي في المشكل (٦٨/١) وسنده صحيح.



«المطية»: هي مركوب الإنسان التي يتوصل بها إلى مقصوده، فشبّه ﷺ لفظة: «زعموا» بالمطية حيث إن هذه الكلمة يقدمها الإنسان أمام كلامه ليتوصل بها إلى حاجته أيضاً، وذمها بقوله: «بئس» لأنها تستعمل غالباً في حديث لا ثبت فيه، وقد تستعمل بمعنى قال، ولم تأتِ في القرآن إلا في الإخبار عن المذمومين كما قال في الكفار: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾، وتأتي في مطلق الكذب أو ما فيه ريبة، ولذلك ذمّها النبي ﷺ، وفي ضمن ذلك النهي عنها وإبدالها بما لا ريبة فيه من الكلمات الأدبية.

* * *

## ❊ لا يقال للمنافق: سيد

**[٢٦٢]** عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يكُ سيداً فقد أسخطتم ربكم عزّ وجل»**.

رواه أحمد (٣٤٧/٣٤٦/٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو داود (٤٩٧٧)، والنسائي في الكبرى (٧٠/٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٩٣) وسنده صحيح.

الحديث يدل على أنه لا يجوز نداء أو مخاطبة المنافق ومن في معناه من الفسقة فضلاً عن الكفار بلفظ السيادة، لأن السيادة تدل على تفوق المسيد على غيره بفضائل التي منها مع الإيمان التقوى والشرف والعلم ومحاسن الأخلاق.

فمَن وصف بالسيادة من لا يستحقها فقد تعرض لسخط الله بل وغضبه كما جاء في رواية لهذا الحديث، رواها الحاكم (٤١١/٤)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١٩٨/٢) وصححه الحاكم.

ومن هنا نعلم ضلال المتفرنجين والمستعربين الذين يسيدون الكفرة والكافرات والعلمانيين واللادينيين في مخاطباتهم ومحاوراتهم وأخبارهم وفي كل المجالات.

وقوله ﷺ: **«لا تقولوا للمنافق سيد»** يؤخذ منه بطريق المفهوم أن ذلك مشروع بالنسبة للمؤمن، وذلك يرد على بعض المتزمتين الذين يمتنعون من سيادة من يستحق السيادة من العلماء والأشراف والصالحين. ويأتي قوله ﷺ في الحسن عليه السلام: **«إن ابني هذا سيد»** في أحاديث أخرى.

❋ ❋ ❋

## ❋ كراهة قول الإنسان: هلك الناس

**[٢٦٣]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل: **هلك الناس، فهو أهلكُهم**».

رواه أحمد (٢/٣٤٢)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٧٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٨٣).

وقوله: «أهلكهم» بضم الكاف على المشهور، أي: هو أشدهم هلاكاً، وفيه كراهة قول الرجل: **«هلك الناس»**، لكن قال أبو داود: قال مالك: إذا قال ذلك تحزُّناً لما يرى في الناس، يعني في أمر دينهم، فلا أرى به بأساً، وإذا قال ذلك عُجباً بنفسه وتصاغراً للناس فهو المكروه الذي نهى عنه.

وقال النووي في شرح مسلم: واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس، واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم، وتقبيح أحوالهم لأنه لا يعلم سر الله في خلقه، قالوا: فأما من قال ذلك تحزُّناً لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه.. هكذا فسره الإمام مالك وتابعه الناس عليه.

وقال الخطابي: معناه: لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساوئهم ويقول: فسد الناس وهلكوا، ونحو ذلك، فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم، أي: أسوأ حالاً منهم بما يلحقه من الإثم في غيبهم والوقيعة فيهم، وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه ورؤيته أنه خير منهم.

❋ ❋ ❋



## ❋ ما جاء في الشِّعر

## ❋ ما يجوز منه

**[٢٦٤]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللّهَ باطلٌ وكاد أمية بن أبي الصَّلت أن يُسْلِم»**.

رواه البخاري في الأدب (١٣/١٥٩) وغيره، ومسلم (١٥/١٢/١٣)، والترمذي (٢٦٥٨) في الاستئذان وفي الشمائل (٢٤٢)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٥٧).

وفي رواية لمسلم والترمذي: **«أشعر كلمة تكلمت بها العرب»**.

قوله: «كلمة» المراد بها هنا القطعة من الكلام. والمراد بقوله: «باطل» أي: فان مضمحل هالك لا يبقى له أثر إلا الله عز وجل فإنه باق حي لا يموت.

**[٢٦٥]** وعن الشريد رضي الله تعالى عنه قال: ردفت رسول الله ﷺ يوماً فقال: **«هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟»** قلت: نعم، قال: **«هيه»**، فأنشدته بيتاً فقال: **«هيه»**، ثم أنشدته بيتاً فقال: **«هيه»**، حتى أنشدته مائة بيت.

وفي رواية: **«فلقد كاد يسلم في شعره»**.

رواه مسلم في الأدب (١٥/١١)، وابن ماجه (٣٧٥٨).

قوله: «كاد يسلم شعره» وذلك لما فيه من كلامه على التوحيد والبعث وغير ذلك، ولكنه كفر ولم يسلم. وقوله: «هيه» أي: زد، ويروى: إيهِ.

**[٢٦٦]** وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قيل لها: كان رسول الله ﷺ يتمثل شيئاً من الشعر؟ قالت: كان يتمثل من شعر عبدالله بن رواحة، قالت: وربما قال: **«ويأتيك بالأخبار مَن لم تُزَوِّدِ»**.

رواه أحمد (٦/٢٢٢)، والترمذي (٢٦٥٧)، وفي الشمائل (٢٤١)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٦٧) وحسّنه الترمذي وصححه.

قوله: «تزود» بضم التاء وكسر الواو المشددة، من التزويد وهو إعطاء الزاد.

[٢٦٧] وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكتٌ، فربما يتبسم معهم.

رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والترمذي في الاستئذان (٢٦٥٩)، وفي الشمائل (٢٤٦) وحسّنه وصححه.

[٢٦٨] وعن أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من الشعر حكمة**».

رواه أحمد (١٢٥/٥)، والبخاري في الأدب (١٥٦/١٣).

[٢٦٩] ومثله عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلفظ: «**إن من الشعر حِكَماً**».

رواه أبو داود (٥٠١١)، والترمذي (٢٦٥٤)، وابن ماجه (٢٠١٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٧٢٠) وحسّنه الترمذي وصححه، وصححه ابن حبان (٢٠١٧).

[٢٧٠] وآخر مثله عن ابن مسعود رواه الترمذي (٢٦٥٣) بسند صحيح.

قوله: «حكمة أو حكماً» معناه: فيه ما هو حِذقٌ نافع.

وتقدمت أحاديث أخرى في الموضوع في الجهاد وفي الفضائل وغيرهما، وجملة هذه الأحاديث تدل على أمور:

**أولاً**: جواز إنشاد الشعر وسماعه إذا كان خالياً من الخنا والفحش والكذب، والإكثار منه، والتغزُّل بالنساء والمردان وذكر الخمر، وقد نقل ابن عبدالبر الإجماع على جوازه إذا كان خالياً مما ذكر.

[٢٧١] وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد (٨٦٦) بسند حسن، كما



قال الحافظ عن عائشة رضي الله تعالى عنها إنها كانت تقول: الشعر منه حسن، ومنه قبيح، خذ الحسن ودع القبيح، ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعاراً منها القصيدة فيها أربعون بيتاً.

وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد (٨٩٥) عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً: «**الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام**» وسنده حسن وهو صحيح لشواهده كسابقه. ونسب كثير من العلماء هذا الكلام إلى الشافعي.

**ثانياً**: ثبوت سماع النبي ﷺ الشعر وإنشاده واستنشاده، وهذا مما لا خلاف فيه، كما ذكر هنا، وكما تقدم في غير موضع كالسيرة والمناقب، لكنه لم يكن شاعراً ينشىء الشعر من عنديته بل أعاذه الله تعالى منه كما قال تعالى عنه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾، لأن الشعر مبني أصالة على الكذب واللغو وأحلاه أكذبه، وأكثر الشعراء فسقَة منحرفون، والحالة أنهم مسلمون فكيف بغيرهم، وقد قال تعالى فيهم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾، والصالحون فيهم قليلون، ولذا نزّه الله تعالى نبيه ﷺ عن الشعر وتعاطيه.

**ثالثاً**: جواز سماع أشعار الكفار من أهل الجاهلية وإنشادها واستنشادها إذا لم يكن فيها محذور.

**رابعاً**: إن في بعض الأشعار حكماً من نصائح ومواعظ وكلام صدق نافع وغير ذلك كما في كلمة لبيد: «**ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل، وكل نعيم لا محالة زائل**».

فهذا كلام صدق صحيح، فإن كل ما سوى الله هالك، فانٍ ميت مضمحل، وكل نعيم هذه الحياة منقطع.

وكما في أبيات أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه ﷺ: «**كاد أن يسلم**» وذلك لما كان في كلامه من الإقرار بالوحدانية والبعث...

وكذا ما يوجد في كثير من كلام الشعراء الإسلاميين ولا سيما الملتزمين منهم والتائبين فإن أشعارهم كلها حِكم ومديح وثناء على الله تعالى.

**وخلاصة القول في الشعر**: إن ما كان في الحق والنصح والإرشاد والدلالة على الله وعلى الخير والمواعظ والثناء على المولى جلّ علاه ومدحه ومدح رسوله ﷺ وآل بيته وأصحابه والإسلام والدعوة إلى الجهاد والتحريض عليه وهجو الكفار والدفاع عن الإسلام، كل ذلك محمود ومطلوب، وقد فعله الصحابة والتابعون فمن بعدهم عبر العصور، أما ما كان خلاف ذلك فمذموم وهو المراد بالآتي.

* * *

## ❊ الشعر المذموم

[٢٧٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأنْ يمتلىء جوفُ أحدِكم قيحاً حتى يريه، خير له من أن يمتلىء شعراً»**.

رواه البخاري في (١٦٧/١٣)، ومسلم (١٤/١٥)، وأبو داود (٥٠٠٩)، والترمذي (٢٦٦١)، وابن ماجه (٣٧٥٩) كلهم في الأدب، وهو في الأدب المفرد للبخاري أيضاً (٨٦٠).

[٢٧٣] ونحوه عن سعد بن أبي وقاص.

رواه مسلم (١٥/١٥)، والترمذي (٢٦٦٠)، وابن ماجه (٣٧٦٠).

قوله: «يريه» بفتح الياء وكسر الراء، أي: حتى يُفْسِده.

**[٢٧٤]** وعن ابن عمر مثله أيضاً.

رواه البخاري في (١٦٦/١٣).

هذه الأحاديث ظاهرها يدل على ذم الشعر مطلقاً والتنفير من حفظه، وأن امتلاء الجوف بالقيح حتى يفسده خير للمرء من أن يمتلئ شعراً، وهذا



ذم بالغ يقتضي تحريم حفظ الشعر والاشتغال به غير أن هذا عام مخصوص، قال العلماء: الصواب في معنى الحديث أن يكون الشعر غالباً عليه مستولياً عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى، وهذا مذموم من أي شعر كان، فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا لأن جوفه ليس ممتلئاً شعراً، ولهذا المعنى ترجم البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه بقوله: باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن.

قال النووي: قال العلماء كافة: هو مباح ما لم يكن فيه فحش، ونحوه، قالوا: وهو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، قال: وهذا هو الصواب.

والحاصل أن الحديث مخصوص بالشعر المذموم كالأشعار التي يصف أصحابها فيها الخدود والنهود والعيون والقدود والخمر وما إلى ذلك من الفحش والفجور وذم من لا يستحق الذم وهجو الأبرياء وقذف المحصنات كما كانت ولا تزال عادة الشعراء، كما يحكى أنه اجتمع جماعة من الشعراء فقال بعض منهم: لمَ اجتمعتم؟ فأجابه آخر: لنقذف المحصنات، فقال ثالث منهم: وهل توجد في الدنيا محصنة؟ فشعر أمثال هؤلاء هو المحرّم سماعه وحفظه وهو الذي يكون جوف المرء ممتلئاً قيحاً خير من أن يمتلىء به، والله أعلم.

وألحق العلماء بالشعر المذموم كل علم يبعد الإنسان عن الله ويقسّي قلبه ويشغله عن القيام بالواجبات والمستحبات والعلوم النافعة.

* * *

## ❊ الحُدَاء والغِنَاء

**[٢٧٥]** عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان للنبي ﷺ حَادٍ يقال له: أنْجَشَةُ، وكان حسَن الصوت، فقال له النبي ﷺ: **«رويدك يا أنجشةُ لا تكسر القوارير»** قال قتادة: يعني ضعفة النساء.

وفي رواية: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وغلام له أسود يقال له أنجشة يَحْدُو، فقال له رسول الله ﷺ: **«يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير»**.

وفي رواية ثالثة: كانت أم سُلَيم مع نساء النبي ﷺ وهُنّ يسوق بهن سواق، فقال نبي الله ﷺ: **«أي أنجشة رويدك سوقك بالقوارير»**.

رواه أحمد (٣/١٠٧/١١٧/١٧٦/٢٠٦/٢٥٤)، والبخاري في الأدب (١٣/٢١٦/٢١٧)، ومسلم في الفضائل (١٥/٨٠)، والنسائي في الكبرى (٦/١٣٥).

**[٢٧٦]** وعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تُسْمِعُنَا من هنَيْهاتك؟ قال: وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يَحْدُو بالقوم يقول: اللهم لولا أنتَ ما اهتدينَا، ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينا، فاغفر فداء لك ما اقتفينا، وثبِّت الأقدام إن لاقينا، وألقين سكينة علينا، إنا إذا أُصِيحَ بنا أتينا، وبالصياح عولوا علينا.

فقال رسول الله ﷺ: **«مَن هذا السائق؟»** قالوا: عامر بن الأكوع، فقال: **«رحمه الله»**، فقال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله لولا أمْتَعتنا به، ثم ذكر محاصرتهم لخيبر واستشهاد عامر هذا.

رواه البخاري في المغازي وفي الأدب (١٣/١٦٠)، ومسلم في الجهاد (١٢/١٦٥/١٦٧/١٨٤/١٨٦)، وقد تقدم في السيرة من غزوة خيبر رقم (٣٩١).

قوله: «أنجشة» بسكون النون وفتح الجيم والشين هو غلام أسود كان للنبي ﷺ. وقوله: «رويدك» أي: سق سوقاً رويداً، أي: ارفق بهن، فمعناه الأمر بالرفق. و«القوارير» يعني بهن النساء فهن لضعفهن كالزجاج يسرع إليهن كسر أجسادهن، وقيل شبّههن بالقوارير لضعف عزائمهن فإنهن يفتتن بسرعة إذا سمعن الحداء والنشيد والرجز من صاحب الصوت الحسن كما كان ذلك في أنجشة، والمعنى الأول هو الظاهر من الحديث.



وقوله ﷺ: «هُنَيْهاتك» مفرد هنيهة تصغير هنة وهو اسم جنس يشمل أموراً، والمراد به هنا أسمعنا من شعرك وحدائك الذي تترنم به.

وقوله: «يحدو» الحداء بضم الحاء وفتح الدال والمد آخره همزة، هو الترنُّم والغناء للإبل لتسرع في السير وليتسلى المسافر بسماع ذلك عن عناء السفر وشدة تعبه.

وفي الحديثين جواز الترنم والغناء بالرجز ونحوه على عادة العرب، وأن سماعه لا حرج فيه، وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه، فهذا النبي ﷺ قد سمعه وأقرَّ الحادي عليه واستحسنه من عامر ودعا معه بالرحمة فقتل شهيداً. وقد نقل ابن عبدالبر الاتفاق على إباحته، وكان السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم يترنمون ويغنون بالحداء ونحوه. وقال الحافظ في الفتح (١٣/١٥٤): ويلتحق بالحداء هنا الحجيج المشتمل على التشوق إلى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد، ونظيره ما يحرض أهل الجهاد على القتال ومنه غناء المرأة لتسكيت الولد في المهد.

وفي حديث أنس جواز سماع المرأة ترنُّم الرجل برجز ونحوه، إذا لم يؤدِّ إلى افتتانها بصوته.

كما فيه الرفق بالنساء في السير ونحوه وأن يعاملن حسب ضعفهن لأنهن كما يقال: الجنس الضعيف.

والحديث قد يستدل به على جواز الأغاني الحسنة وسماعها من ذي الصوت الحسن لأن الحُداء كلام موزون رقيق يستلذه سامعه ويطرب له، ولأجل ذلك كانوا يحدون به للإبل في أسفارها ومسافاتها البعيدة، فكانت إذا سمعت ذلك استلذته وانزجعت فتسرع في سيرها ولا تشعر بما تلاقيه من التعب. والصوت الحسن محبوب للنفوس من كبير وصغير حتى الطفل الصغير يشعر بلذة ونشوة إذا غنّته أمه عند بكائه فيسكت، وقد أخبر الله عزّ وجل عن نبيه داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه أمر الجبال والطير أن ترجع مع قراءته، وكان الجميع يطرب لها، وأخبر ﷺ أن داود كان له مزامير وهي قراءته الزبور بصوته الجميل المطرب، وقال ﷺ لأبي

موسى: «**لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»، وقال ﷺ: «**زيّنوا القرآن بأصواتكم**» وقال: «**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن**». فقوله: «يتغنى» أي: يحسّن صوته بالقرآن، وهو معنى «زيّنوا...» إلخ.

وجاء في حديث آخر: «**لَلّه أشد إذناً** ـ أي: استماعاً ـ **للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته**».

فالصوت الحسن محبوب ومرغوب فيه ومطلوب في قراءة القرآن وفي الحداء.

* * *

## ❊ بسط القول في الغناء وإحقاق الحق فيه

الغناء من الجزئيات الفرعية المختلف فيها، وهو أصالة ينقسم القول فيه إلى ثلاثة أقسام: قسم متفق على جوازه وإباحته، وقسم متفق على تحريمه، وقسم مختلف فيه اختلافاً كثيراً، ثم هناك قسم رابع قد يكون مستحباً كما يأتي، فالمتفق على إباحته ما سمعه النبي ﷺ وحضره وشاهده من الحداء والأراجيز وأغاني الجواري، وما حضّ عليه مولاتنا عائشة في الأعراس... والمتفق على تحريمه ما كان محتفًا بالمحرمات كاختلاط النساء بالرجال مثل الحالة المشاهدة اليوم على شاشة التلفزيون، أو كان من المرأة الأجنبية الفاتنة، أو كان غناءً ماجناً يشتمل على وصف الخدود والعيون والنهود... مع آلة الطرب وشرب الخمر على عادة الفسقة وذوي المجون، فهذان القسمان لا خلاف فيهما ولا ينبغي أن يختلف فيهما، وما عداهما فمختلف فيه، منهم المبيح ومنهم المحرم ومنهم المفصل، ونحن بإذن الله تعالى سنورد أولاً أدلة الجواز والمنع معاً من الأحاديث النبوية ثم نذكر خلاصة ما تدل عليه من الإباحة أو المنع.

* * *



## ❊ ذكر الأحاديث الدالة على إباحة الغناء

**[٢٧٧]** عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان مما تقاولت به الأنصار يوم بُعاث قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أبمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: «**إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا**».

وفي رواية: دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاث فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، وجاء أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: «**دعهُما**» فلما غفل غمزتهما فخرجتا.

وفي رواية: إن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تُدَفِّفَانِ وتَضْرِبان والنبي ﷺ متغشٍّ بثوبه، فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي ﷺ عن وجهه وقال: «**دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد**» وتلك الأيام أيام منى.

وفي رواية: وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان وتضربان بالدفّ.

وفي رواية: وفيه جاريتان تلعبان بدُفّ.

رواه أحمد (١٣٤/٦)، والبخاري (١٢٨/٩٤/٩٢/١٣)، ومسلم (١٨٤/١٨٢/٦) كلاهما في العيدين.

قوله: «بُعاث» بضم الباء، هو موضع وقعت فيه وقعة بين الأوس والخزرج في الجاهلية أودت بأشرافهم وسراتهم. و«ليستا بمغنيتين» أي: لم تكونا تحسنان الغناء أو لم تكونا تتعاطينه. قوله: «بمزامير» في رواية بمزمار وفي أخرى بمزمور. قوله: «تدففان» أي: تضربان بالدف.

**[٢٧٨]** وعن الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ رضي الله تعالى عنهما قالت: جاء رسول الله ﷺ فدخل عليَّ صبيحة عرسي فجلس على فراشي كمجلسك

مني، فجعلت جُوَيْرياتٌ يضربن بدفٍّ لهن ويندُبن مَن قُتل من آبائي يوم بدر، إلى أن قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد.

فقال رسول الله ﷺ: **«دعي هذا، وقولي ما كنتِ تقولين»**.

رواه البخاري في المغازي غزوة بدر، وفي النكاح باب ضرب الدف في النكاح (١٠٨/١١)، وأبو داود في الأدب (٤٩٢٢)، والترمذي في النكاح (٩٧٣) بتهذيبي، وابن ماجه (١٨٩٧)، والبيهقي (٢٨٩/٢٨٨/٧).

و«يَنْدُبْن»: النُّدبة بضم النون وسكون الدال، هي تعداد محاسن الميت.

**[٢٧٩]** وعن محمد بن حاطب الجُمحي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فَصْلُ ما بين الحلال والحرام الدُّفُّ والصَّوْتُ»**.

رواه أحمد (٢٥٩/٤)، والترمذي (٩٧١)، والنسائي (١٠٤/٦)، وابن ماجه (١٨٩٦)، والحاكم (١٨٤/٣)، والبيهقي (٢٨٩/٧) بسند حسن، أما الحاكم فصححه ووافقه الذهبي.

**[٢٨٠]** وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها زفّت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال رسول الله ﷺ: **«يا عائشة ما كان معكم لهو، فإن الأنصار يُعجبهم اللهو»**.

رواه البخاري في النكاح (١٣٣/١١)، والحاكم (١٨٤/١٨٣/٢)، والبيهقي (١٨٨/٧).

المراد باللهو هنا الغناء ونحوه.

**[٢٨١]** وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أنكحتْ عائشةُ رضي الله تعالى عنها ذات قرابة لها من الأنصار، فجاء رسول الله ﷺ فقال: **«أهديتم الفتاة؟»** قالوا: نعم، قال: **«أرسلتم معها من يُغنّي؟»** قلت: لا، فقال رسول الله ﷺ: **«إن الأنصار قوم فيهم غَزَلٌ فلو بعثتم معها من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم»**.



رواه ابن ماجه في النكاح (١٩٠٠)، ورواه أحمد (٣٩١/٣)، والبيهقي (٢٨٩/٧) عن جابر عن عائشة رضي الله تعالى عنهما وهو حديث حسن لطريقين له.

قوله: «غَزَل» بفتحتين، هو محادثة الفتيان والنساء.

**[٢٨٢]** وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ سمع ناساً يُغنُّون في عرس وهم يقولون: وأهدى لها أَكْبُش يُبَحْبِحْنَ في المِرْبَد، وحِبُّك في النادي، ويعلم ما في غد، قالت: فقال رسول الله ﷺ: **«لا يعلم ما في غد إلا الله سبحانه»**.

رواه الحاكم (١٨٥/١٨٤/٢)، والبيهقي (٢٨٩/٧) وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

قوله: «أكبش» جمع كبش. وقوله: «يبحبحن» بضم الياء وسكون الحاءين وفتح الباء الأولى وكسر الثانية، أي يتوسعن في مكانهن.

**[٢٨٣]** وعن عمرو بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنهما في عُرس وإذا جَوَارٍ يُغنّين فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺ ومن أهل بدر يُفعل هذا عندكم؟ فقال: اجلس إن شئت فاسمع معنا، وإن شئت اذهب، قد رخص لنا في اللهو عند العرس.

رواه النسائي (١٠٩/٦)، والحاكم (١٨٤/٢) وسنده صحيح.

**[٢٨٤]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ مرّ ببعض المدينة فإذا هو بجوارٍ يضربن بدُفّهنّ ويتغنّين ويَقُلْنَ:

نَحْنُ جَوَارٍ مِن بني النجّار      يا حبّذا محمدٌ مِن جارِ

فقال النبي ﷺ: **«الله يعلمُ أني لأحِبُّكن»**.

رواه ابن ماجه (١٨٩٩) بسند صحيح.

**[٢٨٥]** وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ

في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردّك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدُّفّ وأُغنّي، فقال لها رسول الله ﷺ: **«إن كنتِ نذرتِ فاضربي، وإلا فلا»** فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر، فألقت الدف تحت إستها ثم قعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ: **«إن الشيطان يخاف منك يا عمر، إني كنت جالساً وهي تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف»**.

رواه أحمد (٣٥٣/٥)، والترمذي في المناقب (٣٤٦٢) بتهذيبي وحسنه وصححه.

فهذه تسعة أحاديث ما بين صحيح وحسن كلها تدور حول الغناء والضرب بالدف وهي بجملتها تدل على أمور:

**أولاً**: فيها ثبوت سماع النبي ﷺ الأغاني بإطلاق.

**ثانياً**: سماعه ذلك من الجواري سواء قلنا: كُنَّ صغاراً أم كباراً فالأحاديث فيها إطلاق.

**ثالثاً**: سماعه الضرب بالدف ووقوع ذلك في بيته وبمحضره.

**رابعاً**: إقراره على ذلك.

**خامساً**: حضه عليه وعلى اللهو.

**سادساً**: إنكاره على من نهى عنه.

**سابعاً**: جواز الغناء واللهو والضرب بالدفوف في المناسبات كأيام العيد، وفي الأعراس، وعند قدوم عالم أو صالح من سفر، أو عند إرادة الترويح عن النفس بلا سبب.

فهذه كلها تؤخذ من ظواهر الأحاديث المذكورة لا ينبغي التنازع والاختلاف فيها.



يبقى بعد هذا ملاحظات قيلت على هذه الأحاديث ولا بد من الإجابة عليها وتقييد ما ينبغي تقييده منها.

**أولاً**: في سماعه ﷺ الغناء والدف من الجواري، وقد تعدد ذلك منه فسمعه من الجاريتين اللتين أنكر عليهما أبو بكر، وسمعه من الجُوَيْرِيَات في بيت الرُّبَيِّع، وسمعه من الجواري اللاتي مرّ عليهن من بني النجار كما سمعه من الجارية السوداء.

والسؤال المطروح هنا هو: هل يجوز لنا سماع الأغاني والدفوف من الجواري مطلقاً اتباعاً منا لرسول الله ﷺ واقتداءً به أم لا؟

أجاز ذلك طائفة من العلماء ومنع آخرون، والحق التفصيل في ذلك، فإن كانت المغنيات جوارٍ صغاراً لا يُشْتَهَيْن ولا يؤدّي غناؤهن للافتتان بهن، فهذا لا مانع من سماعه منهن، وعلى هذا يحمل سماع النبي ﷺ إذا قلنا: بأن الجواري كنّ صغاراً كما ذهب إليه البعض فإن فرضنا بأنهن كنّ كباراً بالغات حمل ذلك على أنه كان مأموناً من الفتنة معصوماً من التلذُّذ بصوت الأجنبيات، أما غيره فلا بد من تقييد السماع منهن بالأمن من الفتنة والتلذذ بأصواتهن لأن للأذن حظاً من الزنا وهو السماع من المرأة الأجنبية التي يتلذذ بصوتها كما جاء في الحديث الصحيح، وبهذا قال جمهور العلماء وهو الصواب الذي لا ينبغي العدول عنه، وقد مرّ بك حديث الجارية السوداء وقد شاهد وسمع غناءها كل من النبي ﷺ والصدّيق وعلي وعثمان وهي سوداء لا تشتهى ولا يتلذذ بصوتها ولا بغنائها، ومثله ما أخرجه الترمذي أيضاً في فضائل عمر ٣٤٦٣ بتهذيبي عن عائشة في قصة الحبشية التي كانت تزف وتغني والنبي وعائشة والناس ينظرون إليها، وهو حديث صحيح.

**ثانياً**: ما جاء في هذه الأحاديث من الضرب بالدف والغناء، هل ذلك يدخل فيه الرجال أم هو خاص بالنساء؟ الظاهر عدم الفرق بين الرجال والنساء لأنه لا دليل يدل على اختصاص ذلك بالنساء إلا الرأي والاجتهاد.

**ثالثاً**: اختلف العلماء هل الغناء والضرب بالدفوف واللهو مقصور على الأعياد، والأعراس، والقدوم من السفر كما جاء التنصيص على ذلك فيما تقدم من الأحاديث أم ذلك عام في كل مناسبة وغيرها.

الظاهر، أن ذلك لا يختص بالعيد والعرس... بل للمسلم أن يتغنّى ويضرب ويسمع ذلك متى شاء فلا حرج عليه لأنه لم يأتِ ما يمنع من ذلك، فتخصيص الغناء وضرب الدفوف بأيام الأعياد والأعراس تخصيص بدون مخصص.

**رابعاً**: يؤخذ من هذه الأحاديث أن الأغاني تجوز بالنثر والشعر بجميع أنواعه، وقد مرّ بك أن النبي ﷺ سمع كل ذلك، فكان يسمع الحداء والرجز، وكان يتمثل به، وسمع أغاني الجواري وغيرهن، فتخصيصه بنوع خاص مجرد رأي لا يشهد له دليل.

**خامساً**: ما تقدم من قوله ﷺ لمولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها: «**ما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو**». وقوله لها: «**أرسلتم معها من يغني؟**» «**إن الأنصار قوم فيهم غَزَلٌ**» وغير ذلك.

كل ذلك يدل على أن كلاً من اللهو والغزل مأذون فيهما، على أي لون كانا ما داما خاليين من الخنا والفحش ولم يخرجا عن الآداب الإسلامية.

**سادساً**: ذكر العلماء أن الأغاني إذا كانت مشتملة على ذكر الله تعالى والثناء عليه ومدح رسول الله ﷺ وذكر المواعظ والرقائق والدعوة إلى الزهد في الدنيا والتأهُّب للآخرة، أو الترويح على النفس ونحو ذلك، لا بأس بها بل قد تكون مستحبة كما يأتي.

وستأتي الخلاصة في الجائز والممنوع من الغناء بعد الفصل الآتي.

* * *

## ❊ الأحاديث الدالة على الغناء المحرّم

**[٢٨٦]** عن عبدالرحمٰن بن غَنْم الأشعري قال: حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري والله ما كذبني سمع النبي ﷺ يقول: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف، ولينزلَنَّ أقوام إلى جنب علَم يروح عليهم بسَارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غداً**



**فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قِردة وخنازير إلى يوم القيامة**».

رواه البخاري معلقاً في الأشربة (١٢/١٥٠/١٥٥) باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسمّيه بغير اسمه، وأبو داود في اللباس (٤٠٣٩)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٠)، وابن حبان (٦٧٥٤)، والبيهقي (٣/٢٧٢ و١٠/٢٢١).

رووه مسنداً متصلاً بعضهم مطولاً وبعضهم مختصراً.

ولابن ماجه: «**يُعزفُ على رؤوسهم بالمعازف والقَينَات يخسف الله بهم الأرض**».

والحديث صحيح لا غبار عليه خلافاً لمن ضعّفه بالانقطاع كابن حزم وغيره، وقد ردّ عليه العلماء في ذلك ردوداً كثيرة منهم ابن الصلاح والقرافي والحافظ وغيرهم.

«الحر»: بالحاء والراء هو الفرج والمراد به الزنا. و«المعازف»: جمع معزفة وهي آلات العزف والطرب. قوله: «علم» بفتحتين أي: جبلٌ. «يروح عليهم» أي: يأتيهم الراعي في المساء. «بسارحة» أي: بماشية يقال لها سارحة لأنه تسرح بالغداة إلى مرعاها وتروح في المساء إلى مأواها. «فيبيتهم الله» أي: يهلكهم ليلاً. «ويضع العلم» أي: يوقعه عليهم.

**[٢٨٧]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمارٌ عند نعمة، ورِنَّةٌ عند مصيبة**».

رواه البزار في مسنده رقم (٧٩٥) بكشف الأستار، وقال المنذري ثم الهيثمي في المجمع (٣/١٣) رجاله ثقات وله شاهد.

**[٢٨٨]** عن جابر بن عبدالله عن عبدالرحمٰن رضي الله تعالى عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أنهَ عن البكاء، ولكني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة لهو ولعب ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة، ولطم وجوه وشق جيوب، ورنّة شيطان**».

رواه الطيالسي في الجنائز بترتيب البنا رحمه الله تعالى (٧٦٠)، وابن

سعد (١٣٨/١)، والحاكم (٤٠/٤)، والبيهقي (٦٩/٤) وغيرهم، وفي سنده محمد بن أبي ليلى ضعيف، وهو عند الترمذي في الجنائز (٨٩٤) بتهذيبي، عن جابر مختصراً مع قصة في أوله وحسنه وسنده صحيح على شرط مسلم.

قوله: «نغمة لهو» أي: صوت حسن يلهو. قوله: «ومزامير» هو جمع مزمار وهو آلة الزمر والغناء ومنه الزمارة. «وصوت عند مصيبة»: هو صوت النائحة على عادة الجاهلية فكانوا إذا مات لهم ميت ونزلت بهم مصيبة لطموا خدودهم وشقوا جيوب ملابسهم وتكلموا بكلام سافل. وقوله: «ورنة شيطان» أي: صوت شيطان له رنين وهو داخل فيما تقدم.

[٢٨٩] وعن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في أمتي قَذْفٌ ومَسْخٌ وخَسْفٌ**» قيل: يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: «**إذا ظهرتْ المعازِفُ، وكثُرت القِيانُ، وشُرِبت الخمور**».

رواه الترمذي في الفتن (٢٠٤٢) بتهذيبي، ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن عبدالقدوس وهو صدوق يخطىء، فحديثه هذا حسن لذاته ويصحح لطرقه وشواهده.

وقوله: «القيان» جمع قينة، وهي المغنية.

[٢٩٠] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حرَّم عليَّ - أو حرَّم عليهم - الخمر والميسر والكُوبَة وكل مسكر حرام**».

رواه أحمد (٢٨٩/٢٧٤/١)، وأبو داود في الأشربة (٣٦٩٦)، وأبو يعلى (٢٧٢٩)، وابن حبان بالموارد (٥٣٤١)، والبيهقي (٢٢٢/٢١٣/١٠) وسنده صحيح، وللحديث مع ذلك شواهد وطرق.

و«الكوبة»: هي الطبل الصغير والنرد عند أهل اليمن.

[٢٩١] وعن نافع رحمه الله تعالى أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما سمع صوت زَمَّارة راعٍ، فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق



وهو يقول: يا نافع أتسمع؟ فأقول: نعم، فيمضي، حتى قلت: لا، فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق، وقال: رأيت رسول الله ﷺ وسمع زمارة راع فصنع مثل هذا.

رواه أحمد (٣٨/٨/٢)، وابن سعد في الطبقات (١٦٣/٤)، وأبو داود في الأدب (٤٩٢٤/٤٩٢٥/٤٩٢٦)، وابن حبان بالموارد (٢٠١٣)، والبيهقي (٢٢٢/١٠) وغيرهم من طرق بعضها صحيحة.

فهذه الأحاديث الخمسة هي أصح وأظهر ما يستدل به على تحريم الأغاني وهي كما ترى كلها مقيّدة بآلات الطرب والمعازف، وما كان كذلك لا ينبغي أن يختلف في تحريمه إذا كان الغناء مشتملاً على ذكر النساء والخدود والنهود والخمر والخنا والكلام الماجن، ولا سيما إذا كان من النساء الفاجرات العواهر أو مع الاختلاط الفاحش كالأغاني المشاهدة اليوم على شاشة التلفزيون وفي الأعراس والمناسبات الجاهلية المعاصرة، فمثل هذه الأغاني لا يقول بإباحتها إلا منحل من الدين فاسق... بل قد يكفره البعض وعلى هذه الأغاني يحمل ما جاء من التحريم عن الأئمة الأربعة وغيرهم، وهذا لا يرتاب فيه مسلم ولذلك كان تحريمها كذلك محل اتفاق إلا من لا يعتبر ولا يوثق بدينه كبعض المعاصرين، وقد عدّ ذلك ابن حجر الهيثمي في الزواجر من الكبائر، والكلام في ذلك وجيه ومعقول وذلك لما جاء في حديثَي أبي مالك وعمران بن حصين من الوعيد في ذلك وما ينزل بأولئك اللاهين المتهتكين من المسخ والخسف والقذف وذلك لا يكون إلا على ارتكاب أمر فاحش عظيم.

نعم، اختلف الناس قديماً وحديثاً في الأغاني مع الآلات إذا كانت عارية عن الأغاني الماجنة ومن المحرمات العارضة.

فأباحها البعض قديماً وحديثاً ومنعها آخرون كذلك.

استدلّ المانعون بالأحاديث الخمسة التي أوردناها آنفاً ولم يقيدوها كالمجيزين، وقد نوقشوا في استدلالهم بها، وقال المجيزون: إن هذه الأحاديث المذكورة ليست صريحة في التحريم على الإطلاق وإنما ذكرت

المعازف مقرونة بالخمر والقيان والزنا... وقالوا: إن اقتران المعازف بما ذكر يدل دلالة واضحة على أنها ليست مقصودة بالتحريم لذاتها وإنما شملها التحريم لاقترانها بشرب الخمر وبروز المغنيات الفاجرات أمام الرجال مع حليتهم الزنا والفجور، ولم تأتِ المعازف مفردة وحدها في حديث ما مع النهي عنها صراحة.

وعلى هذا، فإذا كانت آلة العزف والطرب مصحوبة بالقيان الفواجر العواهر وشرب الخمر والفجور كما جاء في نص حديثَي أبي مالك وعمران بن حصين كان ذلك محرماً أشد التحريم ومنكراً يجب إنكاره ويحرم حضوره ومشاهدته وتجب التوبة منه.

فإذا خلت الأغاني من النساء اللاتي يعتبر النظر إليهن والاستماع إلى أغانيهن زنا النظر والأذن، وكانت أغاني نظيفة خالية مما ينافي الآداب الإسلامية سواء كانت بآلة أم لا فذلك مما يراه الكثيرون مباحاً.

وقد استدلّ من أباح ذلك بالأحاديث المتقدمة في الفصل الأول وهي أكثر وأصح وأصرح من أحاديث المنع كما ذكروا عن السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن جاء بعدهم عبر العصور إباحة ذلك وسماعهم لها بآلة وبدونها وفيهم أئمة كبار، وذكروا منهم:

**من الصحابة**: عمر، وعثمان، وعبدالرحمٰن بن عوف، وأبا عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وأبا مسعود الأنصاري، وأسامة بن زيد، وحمزة، وابن عمر، والبراء بن مالك، وعبدالله بن جعفر، وعبدالله بن الزبير، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

**ومن التابعين**: سالم بن عبدالله، وسعيد بن المسيب، وخارجة بن زيد، وسعيد بن جبير، وشريح القاضي، وعطاء بن أبي رباح، وعامر الشعبي، وابن شهاب الزهري، وعمر بن عبدالعزيز، في خلق آخرين ممن جاء بعدهم لا يحصون منهم الأئمة الأربعة وابن عيينة وجمهور الشافعية. ذكر ذلك الإمام الشوكاني في نيل الأوطار.

وذكر غيره من التابعين طاوساً، وابن سيرين، وغيرهم كالجنيد



والقشيري والروياني، والقفال الكبير، وإمام الحرمين، والماوردي، وأبا إسحاق الشيرازي، وأبا حامد الغزالي، وأبا طالب المكي، والقاضي أبا بكر ابن العربي، وابن حزم، والسهروردي، وأبا المظفر السمعاني، والعز بن عبدالسلام وغيرهم، فهؤلاء وأضعاف أضعافهم كلهم كانوا يقولون بالأغاني المجردة أو مع آلات الطرب.

وهذا يرد ما نقله بعضهم من الإجماع على المنع والتحريم، فإن الموضوع مختلف فيه وليس من القطعيات ولكلٍّ رأي مُستنده، فلا ينبغي التشهير بمن قال بالإباحة على الشرط المتقدم، ولا سبُّه ولا تجهيله أو تضليله ورميه بكلمات نابية فاحشة كما فعل بعض المتزمتين من المتقدمين والمتأخرين، فإن المختلف فيه لا يجوز ولا يجب إنكاره كما نصّ عليه النووي والماوردي، بل وابن تيمية وابن القيم اللذان أشهرا الحرب على من أباح الغناء مطلقاً لا سيما غناء الصوفية.

* * *

## ❊ السماع والغناء الصوفي

هناك سماع آخر يستعمله الصوفية في مناسباتهم ويتقربون به إلى الله عزّ وجل بآلة وبدونها، فماذا قال فيه علماؤنا وأئمتنا الربانيون رحمهم الله تعالى؟

أما أغانيهم التي اعتادوها في مجالسهم إذا كانت خالية من آلات الطرب[1] ومن الكلام الفاحش والمحرم فجائزة اتفاقاً، ولا ينبغي أن يختلف فيها كما تقدم، فإذا كانت تدعو إلى محبة الله عزّ وجل والشوق إليه ومدحه والثناء عليه وذكر شمائل رسول الله ﷺ ومدحه والدعوة إلى الزهد في الحياة وما يرقق القلوب من المواعظ وذكر الموت والآخرة وما كان من هذا القبيل فهذا لا يرتاب في جوازه بل استحبابه.

(١) أما المقرونة بالآلات ففيها الخلاف السابق كما ذكرنا.

ومثل هذا أجازه حتى خصوم الصوفية كابن الجوزي، فقد قال في تلبيس إبليس: ومن ذلك - يعني الأغاني الجائزة - أشعار ينشدها المتزهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب إلى ذكر الآخرة ويسمونها الزهديات كقول بعضهم:

يَا غادِياً في غَفْلَةٍ ورَايِحَا ... إلى مَتَى تَسْتَحْسِنُ القبائحَا
وكَم إلَى كَم لا تخافُ موْقِفَا ... يَسْتَنطِقُ اللّهُ به الجَوَارِحَا
يَا عَجَباً مِنكَ وأنتَ مُبْصِرٌ ... كيفَ تجنَّبْتَ الطريقَ الواضحَا

قال: فهذا مباح وإلى مثله أشار أحمد في الإباحة، ثم ذكر بسنده عن أبي حامد الخُلْقَاني أنه قال: قلت لأحمد بن حنبل: يا أبا عبدالله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها؟ فقال: مثل أي شيء؟ قلت: يقولون:

إذَا مَا قَالَ لِي رَبِّي ... أمَا اسْتَحْيَيْتَ تَعْصِينِي
وتُخفِي الذَّنبَ مِن خَلْقِي ... وبالعِصْيَانِ تَأْتِينِي

فقال: أعِد عليّ، فأعدتُ عليه، فقام ودخل بيته وردّ الباب فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول: فذكر البيتين.

ونقل هذا الكلام الشيخ ناصر الألباني في كتابه «تحريم آلات الطرب» وأقرّه، بل قال قبله بعد أن ذكر أحاديث وآثاراً عن الصحابة وغيرهم تبيح الغناء ما نصه: فأقول: وفي هذه الأحاديث والآثار دلالة ظاهرة على جواز الغناء بدون آلة في بعض المناسبات كالتذكير بالموت أو الشوق إلى الأهل والوطن أو الترويح عن النفس والالتهاء عن وعثاء السفر ومشاقه... فهكذا يقول، ثم يحمل كغيره من خصوم الصوفية عليهم حملة عشواء بلا قيد ولا زمام فيجهلونهم ويضللونهم ويبدعونهم ويجعلون اجتماعهم على السماع منكراً وبدعة ضلالة مع أن أشعارهم وأغانيهم لا تخرج عن ذكر الله وما يقرب ويشوق إليه و...



ولذلك قال بعض المحققين من أهل البصائر: فمن الناس وبخاصة الصوفية من قال: إنّ الغناء يرقق القلب، ويبعث الحزن والندم على المعصية، ويهيِّجُ الشوق إلى الله تعالى، ولهذا اتخذوه وسيلة لتجديد نفوسهم، وتثبيط عزائمهم، وإثارة أشواقهم، قالوا: وهذا أمر لا يُعرف إلا بالذوق والتجربة والممارسة، ومن ذاق عرف وليس الخبر كالعيان.

وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء معقباً على أحاديث النهي عن الغناء... فهو منزل على بعض أنواع الغناء الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوقين، فأما ما يحرك الشوق إلى الله أو السرور بالعيد، أو حدوث الولد، أو قدوم الغائب، فهذا كله يضاد مراد الشيطان...

فذكر من ذلك ما يحرك الشوق إلى الله وذلك أكثر ما يتغنى به الصوفية، كما ذكر الإمام القشيري رحمه الله تعالى في رسالته عن أحمد بن مقاتل العكي قال: لما دخل ذو النون المصري بغداد اجتمع إليه الصوفية ومعهم قوّال - يعني صاحب سماع وغناء صوفي - فاستأذنوه أن يقول بين يديه شيئاً، فأذن، فابتدأ يقول:

صغيرُ هواكَ عذَّبَنِي ... فكيفَ به إذا احتنكَا
وأنتَ جمعتَ من قَلبِي ... هوى قد كان مُشتَرَكَا
أمَا تَرثِي لِمُكْتَئِبٍ ... إذا ضَحِكَ الخَلِيُّ بَكَا

قال: فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض.

وذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ما ينشأ عند الصوفية من السماع وآثاره، فقال في الإحياء وهو يذكر أنواعه: السابع سماع من أحبّ الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه، فالسماع في حقه صحيح لشوقه، ومؤكد لعشقه وحبه، ومُور زناد قلبه، ومستخرجٌ منه أحوالاً من المكاشفات

والملاطفات، لا يحيط الوصف بها، يعرفها من ذاقها وينكرها من كَلَّ حِسُّه عن ذوقها، وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداً مأخوذ من الوجود والمصادفة، أي: صادف من نفسه أحوالاً لم يكن يصادفها قبل السماع، ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدرات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخشب ثم يتبع العطاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات، وهي غاية مطالب المحبين للّه تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها، فالمفضي إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي، والمباحات، وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح، وتسخير الأرواح لها وتأثرها بها شوقاً وفرحاً وحزناً وانبساطاً وانقباضاً، ومعرفة السبب في تأثير الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات، والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج، وتعجب العنين من لذة المباشرة، إلى آخر ما قال.

وقال الإمام أبو حفص عمر السُّهْرَوَرْدِي في عوارف المعارف وهو يتكلم على أقسام السماع والغناء الصوفي: وأما غير ذلك فإن كان من القصائد في ذكر الجنة والنار، والتشويق إلى دار القرار، ووصف نعيم الملك الجبار، وذكر العبادات والترغيب في الخيرات، فلا سبيل إلى الإنكار.

وقال: وأما ما كان من ذكر الهجر والوصل والقطيعة والصَّدّ ممّا يقرب حمله على أمور الحق سبحانه وتعالى من تلون أحوال المريدين ودخول الآفات على الطالبين، فمَن سمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات، أو تجدّد عنده عزمٌ لما هو آتٍ فكيف يُنكر سماعه؟... إلخ.

وقد أفاض في ذكر سماع الصوفية الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في رسالته المشهورة، ومما قال في ذلك قوله: واعلم أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة، والنغم المستلذة، إذا لم يعتقد المستمع محظوراً،



ولم يسمع على مذموم في الشرع، ولم يثجر في زمام هواه، ولم ينخرط في سلك لهوه مباح في الجملة.

قال: ولا خلاف أن سماع الأشعار أُنشدت بين يدَي رسول الله ﷺ وأنه سمعها ولم ينكر عليهم في إنشادها، فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأن يسمع بالألحان.

قال: هذا ظاهر من الأمر ثم ما يوجب للمستمع توفر الرغبة على الطاعات وتذكر ما أعدّ الله تعالى لعباده المتقين من الدرجات، ويحمله على التحرُّز من الزلّات، ويؤدي إلى قلبه في الحال صفاء الواردات، مستحب في الدين ومختار في الشرع... إلخ.

وممن تكلم على سماع الصوفية الإمام أبو طالب المكي، ومن ذلك قوله في قوت القلوب: مَن أنكر السماع فقد أنكر على سبعين صديقاً - يعني من الصوفية العارفين - والإمام أبو نصر السراج الطوسي فصّل هذا الموضوع تفصيلاً في كتابه القيّم (اللمع) فليراجعه مَن شاء المزيد.

وعلى أيٍّ، فسماع الصوفية كله يدور حول حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ وما يقرب إليه عزّ وجل وما يبعد منه أو ما يدل على أحوالهم معه تعالى وما كان كذلك فهو مستحب لا مباح فقط.

ولا معنى للإنكار عليهم وتجهيلهم وتبديعهم ووصفهم بصفات غير لائقة.

وخلاصة هذا الباب أن الغناء من حيث هو مباح ومحرّم ومختلف فيه ومستحب فالمباح هو ما كان خالياً عن المحرمات، والمحرم الممنوع ما كان بالأغاني الفاحشة من القيان والمعازف المضروبة عليهن مع شرب الخمر، والمختلف فيه ما كان خالياً من المحرمات مع آلة الطرب، والمستحب ما كان دالاً على الله وعلى محبته والثناء عليه ومحبة رسوله ﷺ ومدحه والدعوة إلى الزهد والعمل للآخرة ونحو ذلك.

وقد تقدم تفصيل كل ما ذكرنا وبالله التوفيق، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه.

## ❊ مساوىء الأخلاق

وإذ فرغنا من إيراد مكارم الأخلاق ومحاسنها وما يتبع ذلك فلنردفها بالمساوىء التي نهى الشارع عنها وحذّر منها وذمّها.

❊ ❊ ❊

## ❊ تكفير المسلم بلا تاويل

[٢٩٢] عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**».

وفي رواية: «**إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**».

رواه البخاري (١٢٩/١٣)، في الأدب، ومسلم في الإيمان (٤٩/٢)، وأبو داود (٤٦٨٧)، والترمذي في الإيمان (٢٤٥٣).

[٢٩٣] وعن أبي هريرة نحوها.

رواه البخاري (١٢٩/١٣).

[٢٩٤] وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدّت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك**».

وفي رواية: «**ومَن دعا رجلاً بالكفر ـ أو قال: عدواً لله ـ وليس كذلك إلا حار عليه**».

رواه البخاري (٧٤/١٣) ومسلم (٤٩/٢).

قوله: «فقد باء» أي: رجع، وهو معنى حار عليه. وكذا قوله: «ارتدت عليه».

في هذه الأحاديث تحريم رمي المسلم بالكفر أو بعداوته لله تعالى، وأن في إطلاق ذلك على المسلم خطراً عظيماً لأنه إذا لم يكن المَرْمي كافراً



أو عدواً لله رجع ذلك للرامي. فتكفير المسلم عظيم لأن معناه أنه إذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلّى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث ماله، وأنه مخلّد في النار يوم القيامة، وهذه أمور عظيمة لا تثبت إلا بالنص كالشمس لا شبهة فيها ولا تأويل، فليتّق الله أولئك الأقوام الذين يكفّرون المسلمين بأدنى شبهة، وليعلموا أن ذلك راجع عليهم، وأن يتأنّوا في الحكم على الناس ولا يطلقون اسم الكفر أو نحوه إلا على من أنكر شيئاً معلوماً من الدين ضرورة أو اعتقد خلافه.

أما ما جاء في أحاديث إطلاق الكفر على أقوام، فذلك مؤول بالإجماع كما تقدم في الإيمان.

وانظر لهذا الموضوع فتح الباري (٧٥/١٣)، والنووي على مسلم (٥١/٥٠/٢).

❊ ❊ ❊

## ❊ لعن المسلم أو دابّة أو غيرها

[٢٩٥] عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: «**لا تَلاعَنُوا بلعنة الله، ولا بغضب الله، ولا بالنار**».

رواه أحمد (١٥/٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٠٦)، والترمذي في البر والصلة (١٨٢٠) بتهذيبي، والحاكم (٤٧/١) وحسّنه الترمذي وصححه كما صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

«لا تلاعنوا»: أي لا يلعن بعضكم بعضاً.

في الحديث تحريم دعاء المسلمين بعضهم على بعض باللعنة أو بالغضب أو بالنار، كأن يقول أحدهم للآخر: لعنك الله، أو غضب عليك، أو مثواك النار، ونحو ذلك، وهذا مختص بالمعين لأنه لا يدري بماذا يختم له، فقد يختم له بالسعادة وأنت دعوت عليه بالطرد والإبعاد من رحمة الله وغضبه عليه وأن مصيره النار، نعم إذا كان ذلك مع الوصف مثل لعنة الله

على الظالمين، غضب الله على الكاذبين... فهذا جائز لا مانع منه جاء به القرآن والسنة.

**[٢٩٦]** وعن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس المؤمن بالطَّعّان، ولا اللَّعّان، ولا الفاحش، ولا البذيء»**.

رواه أحمد (٤٠٥/١)، والترمذي (١٨٢١)، وابن حبان بالموارد (٤٨)، والحاكم (١٢/١) وصححه على شرطهما، وسنده عند الترمذي صحيح رجاله رجال الشيخين غير شيخه محمد بن يحيى الأزدي، وهو ثقة.

«الطعان» و«اللعان» أي: الذي يكثر منه الطعن واللعن للآخرين. و«البذيء»: من البذاءة وهو الفحش في القول، فهو عطف تفسير على الفاحش.

وفي الحديث ترهيب المسلم من الاتصاف بما ذكر، فإن المؤمن ليس من شأنه أن يكون عيّاباً للناس طعّاناً في أعراضهم كثير اللعن لهم بذيء اللسان فاحشاً في كلامه سفيهاً.

**[٢٩٧]** وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يكونُ اللَّعّانُون شفعاء ولا شهداء»**.

رواه مسلم في البر والصلة (١٥٠/١٤٩/١٦)، وأبو داود في الأدب (٤٩٠٧).

**[٢٩٨]** وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«لا ينبغي لصدّيق أن يكون لعّاناً»**.

رواه أحمد (٣٦٦/٣٣٧/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٣١٩/٣١٧)، ومسلم في البر (١٤٨/١٦).

في الحديثين الزجر عن كثرة اللعن وأن ذلك ليس من صفات الصالحين والصدّيقين الذين سيكرمهم الله عزّ وجل يوم القيامة بالشفاعة في إخوانهم العصاة والشهادة على الأمم السابقة. فمَن كان في الدنيا كثير اللعن



لإخوانه المسلمين لا يكون من الصدّيقين ولا من الشفعاء والشهداء يوم القيامة.

وقوله في الأحاديث المتقدمة «الطعان اللعان»، «اللعانون لعاناً» بصيغ المبالغة تدل على أن ذلك لمن كثر منه اللعن، أما من قلّ منه ذلك أو كان اللعن مباحاً، فذلك غير داخل في هذا الذم، فإن النبي ﷺ لعن المصورين، والمتشبهين بالنساء... والواصلة ومن معها، وآكل الربا وموكله... ومن انتمى إلى غير أبيه وغير ذلك مما هو كثير.

**[٢٩٩]** وعن ثابت بن الضحاك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَن حلف على ملّة غير الإسلام كاذباً فهو كما قال، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملكه، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذّب به يوم القيامة، ومَن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومَن قذف مؤمناً بكفره فهو كقتله»**.

رواه البخاري في الأدب (٧٥/٧٤/١٣)، وفي الأيمان والنذور (٣٤٥/٣٤٤/١٤)، ومسلم في الإيمان (١١٩/١١٨/٢)، وأبو داود (٣٠٥)، والترمذي (٢٤٥٢/١٤١٠/١٣٩٥)، والنسائي في الكبرى (١٣٦/١٢٤/١٢٣/٣)، وابن ماجه (٢٠٩٨) رووه مطولاً ومختصراً.

وفيه وعيد شديد وتهديد أكيد للاعن المسلم وأن إثمه في ذلك يعادل قتله وذلك عظيم، فهو من أكبر الكبائر، فليتّق الله المسلم في إخوانه المؤمنين.

وباقي أطراف الحديث تقدمت معانيها وأحكامها في مواضعها.

**[٣٠٠]** وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة»** قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد.

رواه مسلم في البر (١٤٧/١٦)، ونحوه عن أبي برزة الأسلمي رواه مسلم (١٤٨/١٦).

في هذا الحديث بيان أن الملعون لا تجوز مصاحبته، فهذه دابة لعنتها صاحبتها فأمرها النبي ﷺ بإرسالها وتركها وأخذ ما عليها من الرحل والمتاع، وإنما فعل ذلك بها زجراً لأمثال هذه المرأة التي لعنت دابة لا تعقل، وفي ذلك إشارة إلى تحريم لعن الحيوان.

وإذا كانت مصاحبة الدابة الملعونة ممنوعة وهي غير مكلفة ولا لها عقل فكيف يكون الأمر في مرافقة ومصاحبة الملاعن من النساء والرجال؟ فلا شك أن مجانبتهم واجبة ومصاحبتهم ممنوعة.

[٣٠١] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً لعن الريح عند النبي ﷺ فقال: «**لا تلعن الريح فإنها مأمورة، وإنه مَن لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه**».

رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٨)، والترمذي في البر والصلة (١٨٢٢)، وابن حبان (١٩٨٨) وسنده صحيح على شرط الشيخين.

في الحديث منع لعن الريح ونحوها من الكائنات الضارة وغيرها كالمطر الغزير مثلاً، والحر الشديد والبرد والنبات والرعد وغير ذلك من الأشياء فإنها مأمورة ومسيَّرة من قِبَل الله تعالى لا تملك لنفسها ولا لغيرها من النفع أو الضر مثقال ذرة أو دونها، فلعنها عبث بل سفاهة، فمَن لعن شيئاً لا يستحق اللعنة رجعت على صاحبها اللاعن كما فصّله الحديث التالي وهو:

[٣٠٢] عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتُغْلَق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لُعِن، فإن كان لذلك أهلاً، وإلا رجعت إلى قائلها**».

رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٥) بسند فيه رجل مجهول لكن الحديث حسن، لشاهد له عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، رواه أحمد (٤٢٥/٤٠٨/١) وجود هذا الشاهد المنذري في الترغيب.



فالحديث كالذي قبله يدلان على أن اللاعن لشيء ما على خطر عظيم فقد يوشك أن ترجع عليه لعنته من حيث لا يشعر.

* * *

## ❊ تحريم السباب والشتائم بغير حق

[٣٠٣] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سِبابُ المسلم فسوقٌ، وقتالُه كفرٌ**».

رواه البخاري في الأدب (٧٤/١٣)، ومسلم (٥٨/٥٧/١)، والترمذي (٢٤٥١) كلاهما في الإيمان، والنسائي في تحريم الدم (١١٢/١١١/٧)، وابن ماجه (٣٩٣٩) ورواه الترمذي أيضاً في البر والصلة (٨٢٧) بتهذيبي.

«السباب»: بكسر السين، الشتم والكلام في العرض. وقوله: «قتاله كفر» هذا مؤول باتفاق العلماء، فمَن استحلّ قتل المسلم بلا موجب ولا تأويل كان كافراً كفراً بواحاً، ومن قتله معتقداً معصيته كان معناه كفر النعمة أو كفراً دون كفر كما جاء في أصناف أطلق عليهم اسم الكفر كما تقدم في فصل سابق.

وعلى أيٍّ: فسب المسلم وشتمه فسق وذنب عظيم، كما أن قتله كذلك من أكبر الكبائر كما هو معلوم.

[٣٠٤] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «أُتِيَ النبيُّ ﷺ برجل قد شرب الخمر قال: «**اضربوه**» قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، قال: «**لا تقولوا هكذا، لا تُعينوا عليه الشيطان**». وفي رواية: «**لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم**». وفي رواية: «**ولكن قولوا: اللهم اغفر له اللهم ارحمه**».

رواه البخاري (٧٦/٧١/١٥)، وأبو داود (٤٤٧٨/٤٤٧٧) كلاهما في الحدود.

في الحديث النهي عن الدعاء على العاصي بالخزي ونحوه من الشتم لأن في ذلك عوناً للشيطان عليه، فإن وقوع المسلم في المعصية كانت بتزيين من الشيطان ليقع في الخزي وغضب الله فإذا دعى عليه وسبّ كان في ذلك تحصيل لمقصود الشيطان، ولذلك كان من الواجب الدعاء معه بالمغفرة والرحمة ليغتاظ الشيطان.

**[٣٠٥]** وعن أبي هريرة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: **«المُسْتَبَّانِ ما قالا: فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم»**.

رواه مسلم في البر والصلة (١٤١/١٤٠/١٦)، وأبو داود في الأدب (٤٨٩٤)، والترمذي (١٨٢٥)، وابن حبان بالموارد (١٩٧٦).

المستبّان: اللذان يتبادلان السباب فيما بينهما.

وفي الحديث أن من بدأ غيره بالشتم والسب كان حاملاً لوزر صاحبه ما لم يتجاوز الثاني الحد، وإلا أصبح هو الظالم والبادي مظلوماً.

**[٣٠٦]** وعن عياض بن حمار رضي الله تعالى عنه أنه سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت الرجل يشتمني وهو أنقص مني نسباً؟ فقال رسول الله ﷺ: **«المستبّان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان»**.

رواه أحمد (٢٦٦/١٦٢/٤)، والبخاري في الأدب المفرد بسند صحيح.

قوله: «يتهاتران» أي: يقول كل واحد في صاحبه كذباً وباطلاً والسقط من القول.

وفي الحديث ذم تبادل السباب، وأن المتسابّين شيطانان يكذب كل واحد منهما على صاحبه ويرميه بسقط من القول. وفي ذلك زجر بالغ للمتسابّين.

* * *





**[٣٠٧]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتدرون ما الغِيبة؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«ذِكرُكَ أخاك بما يكره»** قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: **«إن كان فيه ما تقول: فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّه»**.

رواه أحمد (٤٥٨/٣٨٤/٢٣٠/٢)، ومسلم في البر والصلة (١٤٢/١٦)، وأبو داود (٤٨٧٤)، والترمذي في البر (١٧٨٠)، والنسائي في الكبرى (٤٦٧/٦).

«الغيبة»: بكسر الغين، الاغتياب، وهو أن تذكر أخاك المسلم في غيبته بما يكرهه لو كان حاضراً. وقوله: «بهته» بفتحات مع تشديد التاء من البهتان وهو ما لا أصل له، أو معناه أدهشته وحيّرته بما قلت ما ليس فيه.

**[٣٠٨]** وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا معشرَ مَن آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبَه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه مَن اتّبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»**.

رواه أحمد (٤/٤٢٠)، وأبو داود (٤٨٨٠)، والبيهقي (١٠/٢٤٧) بسند حسن، وهو صحيح لشاهد له عن ابن عمر رواه الترمذي في البر (١٨٧٥)، وابن حبان (٥٧٦٣) ويأتي، وآخر عن البراء رواه أبو يعلى بسند حسن.

**[٣٠٩]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما عُرِجَ بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»**.

رواه أحمد (٣/٢٢٤)، وأبو داود في الأدب (٤٨٧٨) وسنده صحيح.

«يخمشون»: بكسر الميم أي: يجرحون وجوههم... إلخ.
«أعراضهم»: جمع عرض بكسر العين وسكون الراء وهو محل المدح والذم من الإنسان.

[٣١٠] وعن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن مِن أربى الربا الاستطالة في عِرض المسلم بغير حق»**.

رواه أبو داود في الأدب (٤٨٧٦)، وأحمد (١/١٩٠) بسند صحيح.

قوله: «من أرْبَى الرِّبا» جعل الربا نوعين:

**أولهما**: مادي وهو في المعاملات المالية وفوائد الديون وغيرها.

**وثانيهما**: معنوي وهو الاعتداء على المسلم في عرضه بالتنقيص والتحقير والتشهير والعيب، وجعل ﷺ هذا النوع أعظم جرماً من الأول لأن العرض أعز على الإنسان من المال.

[٣١١] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: «حَسْبُك من صفية كذا وكذا» تعني قصيرة، فقال ﷺ: **«لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزجَتْه»**.

قالت: وحكيت له إنساناً فقال ﷺ: **«ما أحب أني حكيتُ إنساناً وأن لي كذا وكذا»**.

رواه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي في أبواب صفة القيامة (٢٣٢٥) بتهذيبي، والطحاوي في المشكل وكذا أحمد (٦/١٢٨/١٣٦/١٨٩/٢٠٦) وسنده صحيح.

قوله: «لو مُزِجَت» أي: خُلطت. قوله: «حكيت إنساناً» أي: قلّدته في أقواله وأفعاله وهيئاته.

فهذه الأحاديث وغيرها كلها تدل على تحريم غيبة المسلم بلا موجب



شرعي، وأن ذلك من أعظم الذنوب وحقوق العباد، وسنجمل الكلام في ذلك في الآتي:

**أولاً**: ما قاله العلماء رحمهم الله تعالى في الغيبة ومعناها تفسيراً وتفصيلاً لظاهر حديث: **«ذكرك أخاك بما يكره»** فاتفقت كلمتهم على أنها ذكر الإنسان في غيبته بما يكرهه لو سمعه وكان ذلك فيه صدقاً، فإن لم يكن فيه كان كذباً وزوراً باطلاً.

**ثانياً**: في الأشياء التي تُعد غيبة. قال النووي في الأذكار تبعاً لأبي حامد الغزالي في الإحياء رحمهما الله: هي ذكر المرء بما يكرهه سواء كان ذلك في بدن الشخص، أو دينه، أو دنياه، أو نفسه، أو خَلْقِه، أو خُلُقِه، أو ماله، أو والده، أو ولده، أو زوجه، أو خادمه، أو ثوبه، أو حركته، أو طلاقته، أو عبوسته، أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة والرمز.

قال النووي رحمه الله تعالى: وممن يستعمل التعريض في ذلك كثير من الفقهاء في التصانيف وغيرها كقولهم: قال بعض من يدّعي العلم، أو بعض من ينسب إلى الصلاح، أو نحو ذلك مما يفهم السامع المراد به، ومنه قولهم عند ذكره: الله يعافينا، الله يتوب علينا، نسأل الله السلامة، ونحو ذلك، فكل ذلك من الغيبة.

**ثالثاً**: الغيبة محرّمة بإجماع المسلمين، بل نقل القرطبي الإجماع على أنها من الكبائر لما جاء فيها من الوعيد، وذكر غير واحد منهم الغزالي أنها من الصغائر وفيه نظر لأنها تختلف باختلاف المتكلم فيهم، فالعلماء والصالحون ليسوا في ذلك كغيرهم.

**رابعاً**: مما يشهد لمن قال بأنها من الكبائر نفيه ﷺ عن المغتاب الإيمان بقلبه وأنه لا يعدو لسانه ثم نهيه ﷺ عن ذلك ثم الوعيد المعد للمعتدين على أعراض الناس وأنهم سيتولون تعذيب أنفسهم بأظافر من نحاس نار جهنم أعاذنا الله تعالى منها، ثم لا أدل على عظمها من أنها أعظم من الربا، ومعلوم ما جاء في الربا والمرابي من القوارع واللعنات،

أضف إلى ذلك قوله ﷺ لمولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها: «**لقد قلت كلمة لو مُزِجَت بماء البحر...** إلخ». فالغيبة لقذارتها وخبثها لو فرض أنها تجسّمت وأُلقيت في المحيطات لغيّرتها وأفسدتها وذلك لنتنها وقبحها، ويكفي في كل هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، فمَن اغتاب أخاه المسلم كان بمثابة من يأكل لحمه وهو ميت، مع أن ذلك مكروه له لا يحبه ولا يستسيغه بحال، وفي ذلك تنفير عظيم من الاغتياب، عافانا الله من هذه البلية التي عَمَّت بها البلوى وأصبحت فاكهة المجالس لكل طبقات الناس.

* * *

## ❊ الغيبة قد تباح لأسباب

منها: التظلُّم كأن يقول الإنسان المظلوم لصاحب السلطة: ظلمني فلان أو فعل بي كذا وكذا، وقد قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، وقد قال ﷺ: «**لَيُّ الواجد يُحِلُّ عقوبتَه وعِرضَه**»، وقد تقدم في المعاملات.

ومنها: الاستعانة على تغيير المنكر وذكر المجرم بجريمته.

ومنها: الاستفتاء بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان أو أبي أو زوجي لحديث هند التي شكت زوجها أبا سفيان وقالت فيه: إن أبا سفيان رجل شحيح.

ومنها: الطعن في رواة الأحاديث والشهود بما فيهم، وذلك جائز بالإجماع صوناً للشريعة والحقوق.

ومنها: الإخبار عند المشاورة في معاملة أو زواج أو نحو ذلك، فيقول مثلاً فلان ضرّاب للنساء أو فقير أو معاملته غير حسنة، ونحو ذلك.

ومنها: نصح المشتري مثلاً إذا أراد أن يشتري شيئاً ما فتنصحه بأن تقول له: سلعة فلان معيبة، أو فلان خدعك ونحو ذلك.



ومنها: إذا رأى الإنسان شخصاً ساذجاً يتردد إلى مبتدع أو فاسق ليأخذ عنه العلم مثلاً فله أن يذكر له ذلك ويحذّره منه إذا كان قصده النصيحة.

ومنها: أن يكون الشخص مجاهراً بالمعاصي غير مكترث ولا متستر، أو كان ظالماً حاكماً أو جابياً أو مكّاساً، فيجوز ذكرهم بما فيهم لا بغير ذلك.

وقد عنون الإمام البخاري رحمه الله تعالى على هذا المعنى بقوله في كتاب الأدب (٨١/١٣) باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب، ثم ذكر حديث عائشة وقول نبي الله ﷺ وذلك المنافق: «**بئس أخو العشيرة**».

ومنها: التعريف بالشخص كالأعمش، والأعرج، والأزرق، والأعمى، والقصير، والطويل، ونحو ذلك، فيجوز ذكره تعريفاً به لا تنقيصه، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أوْلى.

هذا ملخص ما ذكر العلماء من الغيبة الجائزة، وقد ذكروا لذلك أدلة كثيرة واردة في القرآن والسنّة.

وانظر الفتح (٨٢/١٣)، والنووي على مسلم (١٤٣/١٤٢/١٦).

* * *

## ❊ تحريم النميمة وأنها من الكبائر

**[٣١٢]** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة فسمع صوت إنسانين يعذّبان في قبورهما فقال: «**يُعذّبان وما يُعذّبان في كبير وإنه لكبير، كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة**» ثم دعا بجريدة فكسرها بكسرتين أو ثنتين فجعل كسرة في قبر هذا وكسرة في قبر هذا فقال: «**لعله يُخَفَّفُ عنهما ما لم ييبسا**».

رواه البخاري في الطهارة وفي الأدب (٨٢/١٣)، ومسلم في الإيمان وفي الطهارة وغيرهما، وتقدم في الطهارة وهناك كمال تخريجه (٣١٨/١).

قوله: «لا يستتر». وفي رواية: «**لا يستنزه**». وفي أخرى: «**لا يستبرىء**» ومؤدّاها واحد غير أن الأول أوسع.

[٣١٣] وعن همام بن الحارث قال: مرّ رجلٌ على حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه فقيل له: هذا يُبَلِّغُ الأمراء الحديث عن الناس، فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قَتّات**». قال سفيان: والقتّات النمّام.

رواه البخاري في الأدب (٨٣/١٣)، ومسلم في الإيمان (١١٣/١١٢/٢)، وأبو داود (٤٨٧١)، والترمذي في البر (١٨٦٩) بتهذيبي.

[٣١٤] وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن محمداً ﷺ قال: «**ألا أُنبئكم ما العَضه، هي النميمة القالَةُ بين الناسِ**» وفي رواية: نقل الحديث من بعض الناس إلى بعض ليفسدوا بينهم.

رواه مسلم في البر والصلة (١٥٩/١٦)، وأحمد (٤٣٧/١)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٢٥)، والدارمي وغيرهم.

«العضه»: جاءت في الرواية بكسر العين وفتح الضاد وبفتح العين وسكون الضاد وهي الأشهر، وعلى الكسر شجر فيه شوك، وعلى الثاني الشتم وقول الزور والكلام القبيح، وهذا هو المناسب هنا.

وقال تعالى في الوليد الشقي: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ بعد ذلك ﴿زَنِيمٍ﴾ أي: دعي ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ قال العلماء: النمّام لا يكون إلا ولد زنا وبغي.

فهذه الأحاديث تدل على أن النميمة حرام وأنها من الكبائر وأن صاحبها لا يسعد بدخول الجنة مع الأولين الناجين، وأن عذابه سيبدأ به في قبره وفي البرزخ قبل يوم القيامة عياذاً بالله.

والنميمة قد بيّنها النبي ﷺ وهي نقل الكلام من بعض الناس إلى



آخرين ليفسد ما بينهم، وبيّن أن ذلك هو الشر والشتم... ولا شك أن النمام رجل سوء لأنه يسعى بالفساد في الأرض ويوغر قلوب المسلمين ويوقد نار الفتنة والبغضاء بين الناس، وقد قال الله تعالى فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾، فاللمزة والهمزة فُسّرتا بالنمّام والمغتاب وغيرهما، والنمّام يشمل كل من ينقل الكلام على وجه الإفساد، ومنهم وفي طليعتهم جواسيس الدول الذين يتجسسون على المسلمين وخاصة على العلماء والوعّاظ والدعاة إلى الله تعالى، فالأحاديث تشملهم جميعاً مع غيرهم.

وقد شرح لنا هذا الموضوع وبسطه وفصّله أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء، وعنه نقله النووي والحافظ، فقال في (ج٣/١٥٢) طبع مصطفى الحلبي: اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه... وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أو الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه أو لم يكن، بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية... وحتى لو رأى شخصاً يخفي ماله فأفشى سره كان نميمة... وكل من حملت إليه النميمة وقيل له: إن فلاناً قال فيك كذا وكذا أو فعل كذا وكذا... فعليه أن لا يصدق من نمّ له ولا يظن بمن نمّ عنه ما نقل عنه، ولا يبحث عن تحقيق ما ذكر، وأن ينهاه ويقبح له فعله وأن يبغضه إن لم ينزجر وأن لا يرضى لنفسه ما نهى النمّام عنه فينم هو على النمّام فيصير نمّاماً...

قال النووي: وهذا كله إذا لم يكن في النقل مصلحة شرعية وإلا فهي مستحبة أو واجبة كمن اطلع على شخص يريد إذاية شخص فحذّره منه، وكذا من أخبر الإمام أو من له ولاية بسيرة نائبه مثلاً أو أخبره بأن فلاناً يريد الفتك بك أو بأهلك... فكل هذا وما أشبهه ليس بحرام...

والحاصل أن كل كلام نقل للإفساد فهو حرام وصاحبه نمّام فاسق ويكون في ذلك جامعاً بين النميمة والغيبة وذلك عظيم وعظيم، وكل ما نقل على وجه الإصلاح والمصلحة والنصيحة كان جائزاً وقد يجب أو يستحب.

* * *

## شر الناس ذو الوجهين

[٣١٥] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**من شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**».

وفي رواية: «**إن من شر الناس عند الله يوم القيامة...**».

رواه البخاري في الأدب (١٣/٨٤/٨٥)، ومسلم في البر (١٦/١٥٦/١٥٧)، وأبو داود (٤٨٧٢)، والترمذي (١٨٦٨) بتهذيبي.

[٣١٦] وعن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار**».

رواه أبو داود في الأدب (٤٨٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١٨٨)، والدارمي، وابن حبان بالموارد (١٩٧٩)، وسنده حسن صحيح.

ذو الوجهين هو كما قال النووي وغيره: الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين وهي مداهنة محرّمة. قال: فأما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود.

قال العلماء: فكل من يأتي لطائفة بكلام فيه صلاح للأخرى ويعتذر لكل واحدة من الأخرى وينقل إليها الجميل ويستر القبيح كان ممدوحاً ولم يدخل في ذم ذي الوجهين.

وعلى أيٍّ: فذو الوجهين هو من يأتي طائفتين متعاديتين بكلام يرضي



إحداهما ويقبح له الأخرى، فإن كان يجامل كل طائفة من غير أن يقبح إحدى الطائفتين ولا يتظاهر بأنه من إحداهما دون الأخرى لم يكن مذموماً.

والحديثان يدلان على أن هذا الفعل من الكبائر وأن صاحبه من شر الناس عند الله وأن له النار يوم القيامة إن لم يتب إلى الله ويرعو عما هو عليه من النفاق.

* * *

## التشديد في الكذب

[٣١٧] عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً، وعليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البِر، وإن البِر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليَصْدُقُ ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صِدّيقاً**».

رواه البخاري في الأدب (١٣/١٢١/١٢٢)، ومسلم في البر (١٦/١٥٩/١٦٠)، وأبو داود (٤٩٨٩)، والترمذي في البر (١٨١٦)، والبخاري في الأدب المفرد أيضاً.

«إياكم والكذب» أي: احذروه. «إلى الفجور» اسم جامع للشر. «يهدي»: بفتح الياء، أي: يدل على النار ويوصل إليها. و«يتحرى» أي: يقصد أولي الأمرين. «البر»: بكسر الباء، اسم جامع لكل خير.

[٣١٨] وعن بهز عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ويلٌ للذي يُحدِّثُ فيكذبُ لِيُضحِكَ به القوم، ويلٌ له، ويلٌ له**».

رواه أحمد (٥/٢/٣/٧)، وأبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي في الزهد (٢١٣٦)، والدارمي، والنسائي في الكبرى (٦/٣٢٩) بسند حسن.

[٣١٩] وعن عبدالله بن عامر رضي الله تعالى عنه أنه قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها

رسول الله ﷺ: **«وما أردتِ أن تعطيه؟»** قالت: أعطيه تمراً، فقال رسول الله ﷺ: **«أما إنك لو لم تُعطِه شيئاً كُتِب عليك كَذْبَةٌ»**.

رواه أحمد (٣/٤٤٧)، وأبو داود في الأدب (٤٩٩١) وفي سنده رجل مبهم. وأخرجه أحمد (٢/٤٥٢) عن أبي هريرة بلفظ: **«مَن قال لصبي تعال هاك، ثم لم يعطه شيئاً فهي كذبة»** وسنده صحيح.

«الكذب»: ضد الصدق وهو الإخبار بخلاف الواقع.

وفي هذه الأحاديث التنفير من الكذب والتحذير منه، وأن للكذاب الويل يوم القيامة ولو كان مازحاً، وأن الرجل لا يزال يكذب ويعتاده حتى يكتب عند الله كذاباً فيصبح مع الفجار عياذاً بالله، وقد اتفقوا على أنه من كبار الذنوب.

نعم، الصِّدْقُ خلق كريم يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يقصد الصدق في حديثه ويتحراه ويعتاده حتى يصير صدّيقاً ويكتب مع الصدّيقين، ويا لها من درجة ذكر الله أصحابها مع النبيين والشهداء والصالحين. والمراد بكتابة الكذاب كذاباً والصادق صدّيقاً، إما الحكم عليهما كذلك وإظهارهما للمخلوقات من الملائكة وغيرهم، وإلقاء ذلك في قلوب أهل الأرض كما جاء في المحبوب لله تعالى، وإما أن يكتبهما في كتابين خاصَّين بهما يعرفان بهما يوم القيامة، والله تعالى أعلم.

والحديث الثالث يدل على أن الكذب يأثم عليه صاحبه وإن كان مازحاً كمن يمزح مثلاً مع الأطفال أو مع البهائم، وغير ذلك.

❊ ❊ ❊

## ❊ جواز الكذب لأجل المصلحة

[٣٢٠] عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً»**.



وفي رواية: قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: **«الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها»**.

وفي رواية: ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث، كان رسول الله ﷺ يقول: **«لا أعُدُّه كاذباً، الرجل يُصلح بين الناس يقول القول ولا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها»**.

رواه البخاري في الصلح (٦/٢٢٧/٢٢٨)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٥٧)، وأبو داود في الأدب (٤٩٢)، والترمذي في البر والصلة (١٧٨٥) بتهذيبي باللفظ الأول، والثاني لمسلم، والرواية الثالثة لأبي داود ونحوها عند أحمد (٦/٤٠٤) بسند صحيح.

[٣٢١] وعن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«لا يَحِلُّ الكذب إلا في ثلاث: يُحدِّث الرجل امرأته ليُرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليُصلِح بين الناس»**.

رواه أحمد (٦/٤٥٩/٤٦١)، والترمذي (١٧٨٤) وحسّنه، ولا يضر ما قيل في إرساله.

ووجود شهر بن حوشب فإن ما سبق يقوّيه.

قوله: «ينمي» بفتح الياء وكسر الميم، أي: يبلغ.

الكذب مذموم شرعاً وعادة... وهو محرّم في جميع الشرائع غير أنه رخص فيه لمصالح خاصة كالكذب على الزوجة ليرضيها، وفي الحرب، وفي الإصلاح بين الناس كما هو صريح الحديثين.

قال النووي: قال القاضي: لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور، واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها ما هو، فقالت طائفة: هو على إطلاقه، وأجازوا قول ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة، وقالوا: الكذب المذموم ما فيه مضرّة، واحتجُّوا بقول إبراهيم صلى الله عليه وعلى

نبينا وآله وسلم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ و﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ وقوله: «إنها أختي» وقول منادي يوسف صلّى الله عليه وعلى نبينا وآله وسلّم: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ قالوا: ولا خلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل هو عنده مختفٍ وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو. وقال آخرون منهم الطبري: لا يجوز الكذب في شيء أصلاً قالوا: وما جاء من الإباحة في هذا، المراد به التورية واستعمال المعاريض لا صريح الكذب، إلى آخر ما قال.

وما قالته الطائفة المانعة يخالف ظواهر الأحاديث المبيحة والتأويل لا يصار إليه إلا بحجة.

وكذلك قال النووي رحمه الله تعالى: الظاهر إباحة حقيقة الكذب في الأمور الثلاثة لكن التعريض أولى...

قال الحافظ: واتفقوا على أن المراد بالكذب في حق المرأة والرجل إنما هو فيما لا يسقط حقاً عليه أو عليها أو أخذ ما ليس له أو لها، وكذا في الحرب في غير التامين، واتفقوا على جواز الكذب عند الاضطرار كما لو قصد ظالم قتل رجل وهو مختفٍ عنده فله أن ينفي كونه عنده ويحلف على ذلك ولا يأثم[1].

❊ ❊ ❊

## ❊ تحريم قول الزور وعِظَمُه

[٣٢٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مَن لم يدعْ قول الزور والعمل به والجهل فليس للّه حاجة أن يدع طعامه وشرابه**».

رواه البخاري في الصيام (١٨/٥)، وفي الأدب (٨٤/١٣) وأهل السنن، وتقدم في الصيام.

(١) انظر النووي (١٥٨/١٦)، وفتح الباري (٢٢٨/٦).



[٣٢٣] وعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**ألا أُنبّئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وشهادةُ الزور، أو قولُ الزور**» وكان رسول الله ﷺ متكئاً، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

رواه أحمد (٣٨/٣٧/٣٦/٦)، والبخاري في الاستئذان (٣٠٧/١٣)، ومسلم في الإيمان (٨٢/٨١/٢)، والترمذي في الشهادات (٢١٢٣) بتهذيبي.

«الزور»: هو الكذب، وقد جعله النبي ﷺ معادلاً للإشراك بالله وعقوق الوالدين وأنه يعتبر من أكبر الكبائر وليس بكبيرة فقط فهو جريمة عظمى، وقد اعتادها كثير ممن لا يخافون الله ولا يراقبونه، وعمّت بها البلوى فيمن نصبوا أنفسهم للشهادة على الناس في الأنكحة والمعاملات، وحسبهم أنهم فسّاق وأن صيامهم فاسد غير مقبول ولا يثابون عليه، وكما قرن النبي ﷺ هذا الزور بالإشراك بالله كذلك جاء في القرآن الأمر باجتنابه وقرنه بالرجس من الأوثان كما قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ وهكذا جعل من صفات عباد الرحمٰن أهل الغرف في الجنان أنهم برآء من شهادة الزور، كما قال تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: لا يشهدون الشهادة الباطلة الكاذبة التي تضيع بها حقوق العباد.

❊ ❊ ❊

## ❊ إذاية المسلم ومضاررته

[٣٢٤] عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسُبُّوا الأموات فتؤذوا الأحياء**».

رواه أحمد (٢٥٢/٤)، والترمذي في البر (١٨٢٦)، وابن حبان (١٩٨٧) بسند صحيح.

[٣٢٥] وعن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تؤذوا مسلماً بشتم كافر**».

رواه الحاكم (٣٨٥/١)، والبيهقي (٧٥/٤) كلاهما في الجنائز، وصححه الحاكم، وسكت عليه الذهبي.

إذاية المسلم محرّمة بأي طريق كانت، سواء كانت في نفسه أو ماله أو أهله. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾.

فجعل تعالى إذاية المسلم بهتاناً وإثماً مبيناً، وهذا غاية في الزجر والتنفير منها، وحتى سب الكافر أو الميت إن تأذى به المؤمن لا يجوز كما في الحديثين.

[٣٢٦] وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن أحبّ أن يُزَحزَحَ عن النار ويدخل الجنة فلتأته مَنِيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»**.

رواه مسلم في الإمارة ضمن حديث طويل رقم (١٨٤٤).

الحديث يدل على أن من سلم الناس من إذايته كان من الناجين من النار إذا صحب ذلك الإيمان بالله واليوم الآخر، وهذا عظيم جداً، فليوطن المؤمن نفسه على سلامة الناس من شره، ولا يأتيهم إلا بمثل الذي يجب أن يعاملوه به.

[٣٢٧] وعن أبي صِرْمة صاحب النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«مَن ضارَّ أضرَّ الله به، ومَن شاقَّ شاقَّ اللهُ عليه»**.

رواه أحمد (٤٥٣/٣)، وأبو داود في القضاء (٣٦٣٥)، والترمذي في البر والصلة (١٧٨٦)، وابن ماجه في الأحكام (٢٣٤٢)، والبيهقي (٧٠/٦) وغيرهم، وحسّنه الترمذي ورجاله رجال الشيخين عنده غير لؤلؤة وهي مقبولة، وللحديث شاهد عن أبي سعيد الخدري.

رواه الدارقطني (٥٢٢) وغيره بسند ضعيف، وللجملة الأولى شواهد كثيرة تصحح بها، أما الجملة الثانية فلها شاهد عن عائشة في الإمارة من صحيح مسلم وفيه: **«مَن ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه»**



وتقدم في الإمارة رقم (١٣) فالحديث بجملته صحيح، ولذا صححه بالجملة الأولى جماعة من أهل الحديث، وانظر طرقه عند الزيلعي في نصب الراية (٣٨٥/٤) واستوعب طرقه الشيخ ناصر رحمه الله تعالى في إرواء الغليل رقم (٨٩٦).

وإذا صحّ الحديث ثبت أن مضارة المسلم بأي كانت محرّمة سواء كانت في نفسه أو أهله أو ماله في دينه أو دنياه، وهي من نوع إذايته، وقد جعل الفقهاء رحمهم الله تعالى من أحاديث النهي عن المضاراة قاعدة فقهية عامة، يندرج تحتها كثير من الجزئيات التي فيها ضرر على المسلم.

❊ ❊ ❊

## ❊ تحريم الظن الكاذب والتباغض والتجسس والتحاسد والتدابر والتقاطع

[٣٢٨] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسّسوا، ولا تجسّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا، التقوى ههنا** ـ ويشير إلى صدره ـ **بحسب امرىء من الشر أن يحقِّر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وعِرضُه، وماله، إن الله لا ينظر إلى أحسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**.

رواه مسلم بطوله في البر والصلة (١٢١/١١٨/١٦)، ورواه البخاري في الأدب (٩٥/٩٣/١٣)، وأبو داود (٤٩١٧)، والترمذي في البر (١٧٧٣) مختصراً، وفي رواية **«ولا تناجشوا»** وهي في الصحيح.

[٣٢٩] وعن أنس رضي الله تعالى عنه نحوه مختصراً وزاد: **«ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»**.

رواه البخاري في الأدب (١٣/٩٤/٩٥)، ومسلم في البر (١٦/١١٥)، والترمذي في البر أيضاً (١٧٨١)، وأبو داود (٤٩١٠).

هذان حديثان عظيمان في هذا الباب وخاصة حديث أبي هريرة ففيهما جملة من الأخلاق السافلة التي يجب على المسلم التنزُّه عنها ويحرم عليه أشد التحريم التخلُّق بها وتعاطيها، وزبدة ما في الحديثين هي:

**أولاً**: سوء الظن بالمسلم بلا حجة ظاهرة وهو حرام بل عدّه النبي ﷺ أكذب الحديث، وجاء ذلك عنه بعد التحذير منه بقوله: «**إياكم والظن**»، وهذا الظن قد نهى الله تعالى عنه عباده المؤمنين فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

قال النووي: قال الخطابي: هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس، فإن ذلك لا يملك، ونقل عن عياض أن الظن الذي يأثم به هو ما ظنه وتكلم به فإن لم يتكلم لم يأثم... فإن ظن لا يجوز له التحسُّس على أخيه ليكشف عن حاله وهي **ثانياً وثالثاً**: التحسس والتجسُّس، فالأول بالحاء والثاني بالجيم، قيل: هما بمعنى واحد وهو طلب معرفة أخبار الناس وأحوالهم الغائبة، وقيل: بالحاء الاستماع لحديث القوم، وبالجيم: البحث عن عوراتهم وكلاهما محرّم. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾.

**رابعاً**: التنافس في الدنيا، وهو مذموم شرعاً، وسيأتي حديث في الموضوع في الزهد والرقائق الذي فيه: «**فتنافسوها كما تنافسها من كان قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم**». والتنافس معناه الرغبة في الشيء وحب الانفراد به، وهو مذموم في الدنيا محبوب مرغَّب فيه في شؤون الآخرة.

❋ ❋ ❋

## ❋ تحريم التحاسد

**خامساً**: التحاسد، وهو أن يتبادل المسلمان الحسد فيما بينهما فيحسد كل منهما الآخر. والحسد تمنّي زوال النعمة عن الغير مع إضمار الحقد له وهو محرّم أشد التحريم.



[٣٣٠] وقد قدّمنا حديث: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار**».

رواه البخاري ومسلم والترمذي في البر والصلة (١٧٨٢) بتهذيبي.

فالحسد الجائز هنا، هو الغبطة والتنافس في الخير، أما سواه فلا يجوز، وقد أمرنا الله عزّ وجل أن نستعيذ ونتحصن به من شر الحاسد إذا حسد فقال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ وفي ذلك إشارة إلى عظيم جرم الحسد وأنه مما ينبغي أن يستعاذ بالله من شرّ صاحبه لأنه قد يحمله على المكر بمحسوده وإيصال الشر إليه بجميع أنواعه.

وقد جاء في حديث: «**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**».

رواه أبو داود وفي سنده ضعف، وقد ذمّ الله تعالى اليهود في القرآن كثيراً على حسدهم النبي ﷺ وأنكر عليهم بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فالحسود لا يسود كما يقولون. والكلام فيه يطول.

**سادساً**: التباغض وهو تعاطي أسباب البغض فيصبح المسلم يضمر لأخيه البغضاء فهو أيضاً من مساوىء الأخلاق فلا ينبغي للمسلم أن يتصف به لأنه ينافي الأخوة الإسلامية، وفي هذه والتي قبلها جاء الحديث التالي:

❋ ❋ ❋

## ❋ حالقة الدين

[٣٣١] عن الزُّبير بن العوام رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «**دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا،**

**ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أنبئكم بما يُثبِّت ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم».**

رواه الطيالسي (١٩٣)، وأحمد (١٦٧/١)، والترمذي آخر صفة القيامة (٢٣٢٨). قال المنذري: وسنده جيد وهو صحيح لشواهده.

قوله: «دب» أي: سرى ومشى إليكم خفية. قوله: «داء الأمم» أي: مرضهم، وهو يدل على أن الحسد والبغضاء من أمراض القدامى التي تسربت إلى هذه الأمة. وفي قوله: «ولا تؤمنوا حتى تحابوا» نفي الإيمان عن المتباغضين. وفي قوله: «هي الحالقة» ظاهر في أن الحسد والبغضاء يحلقان الدين كما تحلق الموسى الشعر حتى لا يبقى له أثر عياذاً بالله تعالى.

ولذلك كان إصلاح ذات البَيْن أفضل من درجة التطوع بالصيام والصلاة والصدقة، وقد قال ﷺ: **«فإن فساد ذات البَيْن هي الحالقة»** وقد تقدم في الإصلاح بين الناس وفساد ذات البَيْن يكون منها الحسد والبغضاء وما يتبعهما من التدابر والتقاطع فهي سلسلة من المساوىء.

**سابعاً**: التدابر وهو المقاطعة بحيث يلتقي المسلم مع أخيه فيدبر واحد منهما عن الآخر، وذلك ينشأ عن المعاداة وكل منهما حرام إلا لموجب شرعي، ويأتي موضع خاص لذلك قريباً.

* * *

## ❊ تحريم ظلم المسلم

**ثامناً**: ظلمه والاعتداء عليه في ماله أو نفسه... والظلم من أكبر الكبائر، قال الله تعالى: ﴿وَالظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

**[٣٣٢]** وقال النبي ﷺ: **«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم».**



رواه أحمد (٣٢٣/٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٨٣)، ومسلم في البر والصلة (١٣٤/١٦) من حديث جابر رضي الله تعالى عنه.

**[٣٣٣]** وعن ابن عمر مثله مختصراً بلفظ: **«إن الظلم ظلمات يوم القيامة».**

رواه البخاري في المظالم (٢٥/٦)، ومسلم في البر (١٣٤/١٦) وغيرهما.

قوله: «الظلم» فسّر العلماء الظلم بمعنيين: بوضع الشيء في غير محله، وبالتصرف في مال الغير بغير إذنه، ويشمل عبادة غير الله بالدرجة الأولى، ولذا قال تعالى في غير ما آية: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني: بنسبة الشريك له تعالى والصاحبة والولد... ويشمل الاعتداء على الناس بأخذ أموالهم وهضم حقوقهم والبغي عليهم والجور في محاكماتهم... ويأتي الكلام على باقيه في الرقائق إن شاء الله تعالى.

وقوله: «ظلمات يوم القيامة»، قال العلماء: هو على ظاهره بمعنى أن الظالم يأتي يوم القيامة وقد أحاطت به الظلمات فلا يهتدي سبيلاً، بينما المؤمنون يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، وهذا بالإضافة إلى ما سيلقى من الشدائد والعقوبات والأنكال.

أما قوله في الحديث: «واتقوا الشح... إلخ»، الشح هو البخل بالواجب... والشُّح خلق سافل سيىء لا يحبه الله تعالى، ولذا أمرنا النبي ﷺ بالتحفُّظ منه لأنه أهلك من كان قبلنا فاستحلُّوا بسببه دماءهم ومحارمهم، وقد تقدم شيء من هذا في الزكاة.

* * *

## ❊ نصر المظلوم

**[٣٣٤]** عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«انصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً»** قيل: كيف أنصره ظالماً؟ قال: **«تحجزه عن**

**الظلم فإن ذلك نصره»**، وفي رواية: هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: **«تأخذ فوق يديه»**، وفي رواية: **«يكفُّه عن الظلم فذاك نصره إياه»**.

رواه أحمد (٢٠١/٣)، والبخاري في المظالم (٢٣/٦)، والترمذي في الفتن.

الحديث يدل على وجوب نصر المظلوم بأي طريق أمكن، إما بأخذ حقه من الظالم، وإما بكف ظالمه عنه والأخذ على يديه إن استطاع وذلك من حقوق المسلم على أخيه.

❊ ❊ ❊

## ❊ الإملاء للظالم حتى يأخذه

[٣٣٥] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عز وجل لَيُمْلِي للظالم فإذا أخذه لم يُفْلِته»**، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي في الكبرى، وابن ماجه، وتقدم في التفسير.

«ليملي»: بضم الياء، أي: ليمهل ويؤخر ويطيل له المدة. وقوله: «يفلته» أي: لم يطلقه وينفلت منه.

وفي الآية والحديث تهديد شديد للظالمين المعتدين المتجبرين، وفي ذلك ذكرى لمن كان له قلب... وراجع ما سبق في التفسير.

وسيأتي في الرقائق حديث: **«إني حرّمت الظلم على نفسي...»** إلخ.

❊ ❊ ❊

## ❊ خذلان المؤمن

**تاسعاً**: خِذْلانه، ومعنى خذلانه عدم نصره في موطن يحتاج فيه إلى



من ينصره ويعينه ويدافع عنه، فمن كان في استطاعته نصره ولم ينصره فقد خذله، وهذا داخل فيّ سابقه، ويستأنس له بالحديث التالي على ضعف في سنده.

[٣٣٦] فعن جابر بن عبدالله وابن طلحة بن سهل رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **«ما من امرىء يخذل مسلماً في موطنٍ يُنتقص فيه من عِرضه، ويُنتهك فيه من حرمته إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرىءٍ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»**.

رواه أحمد (٣٠/٤)، وأبو داود في الأدب (٤٨٨٣) وسنده صحيح على مذهب ابن حبان.

فهذا الحديث جمع بين الترغيب والترهيب، فمن نصر أخاه المسلم ودافع عن عرضه وكرامته نصره الله في الدنيا والآخرة، ومَن خذله وتركه تنتهك حرمته ويطعن في عرضه، خذله الله في موطن يكون فيه أحوج إلى من يؤيده ويعينه وينصره ويدافع عنه، وكفى بهذا زجراً لمن يخذل أخاه المسلم.

❊ ❊ ❊

## ❊ احتقار المؤمن

**عاشراً**: قوله: «ولا يحقره» أي: لا يستصغره ويستقله ويجعله في عينيه حقيراً لا قيمة له عنده، فاحتقار الآخرين يدل على التكبُّر والتعاظم وذلك عظيم عند الله كما يأتي.

ولذا جاء في تمام الحديث: **«بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه»**.

ومعناه: احتقاره لأخيه كافيه عن جميع أنواع الشر، وفي هذا زجر بالغ وترهيب شديد أكيد، وفي احتقار الآخرين جاء الحديث التالي:

[٣٣٧] عن جُنْدُب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال رجلٌ: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عزّ وجل: مَن ذا الذي يتألّى عليّ أن لا أغفر لفلان إني قد غفرتُ له وأحبطتُ عملك»**.

رواه مسلم في البر والصلة رقم (٢٦٢١).

قوله: «يتألى» بفتح الياء والتاء والألف مع تشديد اللام، أي: يحلف. وقوله: «وأحبطت عملك» أي: أبطلت ثوابه.

والحديث يدل على أنه لا يجوز احتقار الناس واستصغارهم، ولا سيما إذا صدرت منهم سقطات مما لا ينجو منه بشرٌ حتى يؤدي به الحال أن يعجب بنفسه ويُقنِط غيره من رحمة الله تعالى كما فعل ذلك الرجل، فإن ذلك دخول في شؤون الله عزّ وجل فإنه لا يُدرَى المغفور له من غيره، وقد قدّمنا حديث: **«إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكُهم»**، وسيأتي في الكبر، حديث ابن مسعود وفيه: **«الكبر بطر الحق وغمط الناس»**.

و«غمطهم»: احتقارهم.

وفي هذا المعنى جاءت الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾، لأن السخرية والاستهزاء بالآخرين لا تكون إلا باحتقارهم واستصغارهم، ولذا قال الله عزّ وجل: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾، فالمحتقر قد يكون أحقر عند الله وأسقط، بينما يكون المحتقر بفتح القاف: أرفع درجة ومنزلة.

**حادي عشر**: قوله: **«كُلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه، وعِرضه، وماله»**.

حرمة هذه الأشياء من المسلم من الضروريات فلا يحل سفك دمه وإراقته إلا بحق، ولا يحل عِرضه والكلام فيه وقذفه ونهشه إلا بحق، ولا يحل ماله إلا عن طيب نفسه وطريق شرعي، وقد تقدم كل ذلك في مواضعه.

* * *



## ❋ تحريم هجران المسلم بلا موجب شرعي

[٣٣٨] عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»**.

رواه أحمد (٥/٤١٦/٤٢١/٤٢٢)، ومالك في الجامع (١٧٤٧)، والبخاري في الأدب (١٣/١٠٧)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١١٧)، وأبو داود (٤٩١١)، والترمذي في البر (١٧٧٨).

[٣٣٩] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يَحِلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمَن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار»**.

رواه أبو داود في الأدب (٤٩١٤) بسند صحيح على شرط البخاري ومسلم.

[٣٤٠] وعن أبي خِراشٍ حَدْرَدِ بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«مَن هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»**.

رواه أبو داود أيضاً (٤٩١٥).

وفي الباب عن عائشة عند أبي داود (٤٩١٣)، وعن المسور بن مخرمة عند البخاري (١٣/١٠٩)، وعن ابن عمر عند مسلم (١١/١١٨)، وعن أبي هريرة عنده أيضاً (١٦/١١٨)، وعن أنس وقد تقدم.

الهَجْر هنا: مفارقة المسلم أخاه لأسباب وحظوظ نفسانية، وهي محرّمة بالإجماع فوق ثلاثة أيام كما في هذه الأحاديث.

فمن لقي أخاه بعد الثلاث فأقل شيء أن يسلم عليه وبذلك يخرج من الهجران ويكون خير المتقاطعين، فإن لم يرد عليه وأصرّ على ذلك كان كقتله إن مرت عليه سنة وهو على ذلك، فإن مات دخل النار.

* * *

## ❋ خيبة المتقاطعين

**[٣٤١]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر الله لكل عبد مؤمن لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال: اتركوا أو أَركوا هذين حتى يفيئا، أنظروا هذين حتى يصطلحا ـ ثلاثاً ـ»**.

رواه مالك (١٧٥١)، وأحمد (٧٦٢٧)، ومسلم في البر والصلة (١٢٢/١٦)، وأبو داود في الأدب (٤٩١٦)، والترمذي في البر (١٨٦٦) بتهذيبي.

قوله: «شحناء» أي: بغضاء وعداوة. وقوله: «أَركوا» بفتح الهمزة وسكون الراء، أي: أخّروا. وقوله: «أنظروا» بفتح الهمزة وكسر الظاء بمعنى سابقه.

وفي الحديث فضل يومَيْ الاثنين والخميس وأن لهما بركة خاصة حيث إن الله عزّ وجل يفتح فيهما أبواب الجنة ويتفضل بسبب ذلك على عباده المؤمنين بغفران ذنوبهم إلا المتعادين المتقاطعين المتدابرين لحظوظ نفسانية فإن الله تعالى يقول لملائكته أخّروا هذين واتركوهما فلا تشملهما مغفرتي حتى يصطلحا ويتراجعا عن المدابرة. قال القرطبي: المقصود من الحديث التحذير من الإصرار على العداوة وإدامة الهجر. قال ابن رسلان: ويظهر أنه لو صالح أحدهما الآخر فلم يقبل غفر للمصالح... نقله الزرقاني في شرح الموطأ. قال ابن عبدالبر فيه ـ يعني الحديث ـ أن الشحناء من الذنوب العظام وإن لم تذكر في الكبائر... إلخ.

❋ ❋ ❋

## ❋ الهجر المشروع

**[٣٤٢]** قال البخاري في الأدب من صحيحه (١٠٩/١٣) باب ما يجوز من الهجران لمن عصى. وقال كعب حين تخلّف عن النبي ﷺ ونهى النبي ﷺ المسلمين عن كلامنا وذكر خمسين ليلة...



قال الحافظ على هذا الكلام: أراد بهذه الترجمة بيان الهجران الجائز لأن عموم النهي مخصوص لمن لم يكن لهجره سبب مشروع فبيّن هنا السبب المسوغ للهجر وهو لمن صدرت منه معصية فيسوغ لمن اطلع عليها منه هجره عليها ليكف عنها.

وحديث كعب المشار إليه تقدم في التفسير وفي المغازي من السيرة، وتقدم لنا حديث هجران النبي ﷺ زينب رضي الله تعالى عنها أكثر من شهر لكلامها في صفية رضي الله تعالى عنها، تقدم ذلك في الفضائل. وهجر ﷺ نساءه شعراً تأديباً لهن على ما صدر منهن في حقه كما قدّمنا مقاطعة عائشة رضي الله تعالى عنها ابن الزبير لتكلمه فيها بما لا يتناسب وحرمة النبوة، وقد ورد أن ابن عمر هجر ولداً له لرده سنّة النبي ﷺ.

فالهجر هجران: هجر ممنوع وهو الذي لا موجب له إلا الحظوظ النفسانية فهذا مجمع على تحريمه فوق ثلاثة أيام. نقل الإجماع على ذلك ابن عبدالبر وغيره. وهجر جائز وهذا نوعان:

نوع يجوز بترك بسط الوجه مثلاً وترك تسمية المهجور مع السلام والكلام كما كان يقع من نساء النبي ﷺ معه، فقد كانت الواحدة منهن تهجره اليوم الكامل واليومين، وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول له: لا أهجر إلا اسمك، فمثل هذا مما يقع بين الرجل وزوجته وبين الوالد وولده... لا حرج فيه إن شاء الله.

أما النوع الثاني: فهو هجران الكفار وبالأخص المحاربين واللادينيين وأهل الكبائر من عصاة المسلمين المصرين المجاهرين فلا يُسلَّم عليهم ولا يُوادُّون حتى يتوبوا، نعم لا يهجرون في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ومعاملاتهم مثلاً بدون موالاة ولا مواددة، وممن يجوز هجرهم أهل البدع كالخوارج، والرافضة ونحوهم من الفسقة أو الكفرة بعقائدهم. وهذا الهجر هو هجر في الله تعالى لا حظ فيه للنفوس، وقد قال ﷺ: **«مَن أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، وأنكح لله، فقد استكمل الإيمان»** ومن مقتضى البغض الهجران.

نعم ويجوز الهجران لمصالح شخصية:

قال ابن عبدالبر: أجمعوا على أنه لا يجوز الهجران فوق ثلاث إلا لمن خاف من مكالمته ما يفسد عليه دينه أو يدخل منه على نفسه أو دنياه مضرة، فإن كان كذلك جاز، ورُبّ هجر جميل خير من مخالطة مؤذية.

وهذا الهجر يسمى الهجر الوقائي، فكل من يتأذى به الإنسان فله مجانبته ومهاجرته.

وللعلامة المحدث سيدي عبدالله الصديق رحمه الله تعالى: «القول المسموع في الهجر المشروع» أفاد فيه وأجاد ينبغي الوقوف عليه.

❊ ❊ ❊

## ❊ الخيانة وخلف الوعد والغدر والفجور

[٣٤٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«آيةُ المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»**.

رواه أحمد (٣٥٧/٢)، والبخاري في الإيمان (٩٧/١)، وفي الأدب (١٢٢/١٣)، ومسلم (٤٦/٢)، وأبو عوانة (٢١/٢٠/١)، والنسائي (١٠٢/٨) كلهم في الإيمان.

[٣٤٤] وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: **«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»**.

رواه أحمد (١٨٩/٢)، والبخاري في الإيمان (٩٨/٩٧/١)، ومسلم في الإيمان (٤٦/٢)، وأبو داود في السنة (٤٦٨٨)، والترمذي (٢٤٤٩)، والنسائي (١٠٢/٨) كلاهما في الإيمان.

«آية»: الآية العلامة. «المنافق»: من يبطن الكفر ويتظاهر بالإيمان. قوله: «وإذا خاصم فجر» أي: رمى غيره بالقبائح والشرور.



في الحديثين بيان خصال من مساوىء الأخلاق وهي خمسة: الكذب، وخلف الوعد، والخيانة، والغدر بعد العهد، والفجور عند الخصام، وكلها تقدمت مفرقة في غضون الكتاب بعضها في الإيمان، وبعضها في المعاملات، وبعضها في الجهاد، وكلها محرمة تنافي الإيمان، ولذلك جعلها النبي ﷺ علامة المنافق، وأن من اتصف بها كاملة كان منافقاً خالصاً، غير أنه قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر، ولا هو منافق يخلد في النار، فإن أخوة يوسف صلى الله تعالى عليه وعلى نبينا وآله وسلم جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، قال: وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار: إن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلّق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا لأنه منافق نفاق الكفار المخلّدين في الدرك الأسفل من النار، وقوله ﷺ: **«كان منافقاً خالصاً»** معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال، وقد نقل الإمام أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى معناه عن العلماء مطلقاً فقال: إنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل... وهذا كلام وجيه جداً يحل إشكال الحديث فيكون من اتصف بهذه الصفات منافقاً نفاقاً عملياً لا اعتقادياً كالأصناف الذين أطلق عليهم اسم الكفر وهم مؤمنون.

❊ ❊ ❊

## ❊ تحريم الكبر وأنه يكون في كل شؤون العبد

[٣٤٥] عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف، لو أقسم**

**على الله لأبرّه، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ جوّاظ مستكبر»**. وفي رواية: **«كل ضعيف متضعَّف... جوّاظ جعظري زنيم»**.

رواه أحمد (٣٠٦/٤)، والبخاري في التفسير والنذور، وفي الأدب (١٠١/١٣)، ومسلم في كتاب الجنة (١٨٧/١٧)، والترمذي في أبواب صفة جهنم (٢٤٣٤)، والنسائي في الكبرى (٤٩٧/٦)، وابن ماجه في الزهد (٤١١٦).

قوله: «مُتَضَعَّفٌ» بفتح العين المشددة أي: الذي يتضعفه الناس ويحتقرونه. وقوله: «لأبره» أي: لو حلف على شيء لأجابه الله وصدّقه فيه ولا يحنثه إكراماً له. وقوله: «عتل» بضمتين، الجافي الشديد الخصومة بالباطل، وقيل: الفظ الغليظ. وقوله: «جواظ» بفتح الجيم والواو المشددة، هو الجموع المنوع، وقيل: الكثير اللحم المختال في مشيه. والجعظري بمعناه. والزنيم الدعي: ولد الزنا.

فالحديث جاء لبيان أهل الجنة وأهل النار[1] فكان من جملة صفات أهل النار المتكبرون الذين يحتقرون الضعفاء ويستصغرونهم ويفتخرون على غيرهم ويعجبون بأنفسهم وأموالهم.

فالمتكبر هو الذي يرى نفسه أنه أكبر وأعظم من غيره. قال الغزالي رحمه الله تعالى: الكبر على قسمين، فإن ظهر على الجوارح يقال: تكبر، وإلا قيل: في نفسه كبرٌ، والأصل هو الذي في النفس وهو الاسترواح إلى رؤية النفس، والكبر يستدعي متكبراً عليه يرى نفسه فوقه، ومتكبراً به، وبه ينفصل الكبر عن العجب فمن لم يخلق إلا وحده يتصور أن يكون معجباً لا متكبراً.

والمتكبر من شأنه أن يدفع الحق ولا يقبله إضافة إلى احتقاره الآخرين ولذا كان الكبر ملازماً للكفار والجبابرة والطغاة، وفي ذلك جاء الحديث التالي:

(١) والكلام على جملة الحديث يأتي في الرقائق.



[٣٤٦] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»**، وفي رواية: **«والعزة إزاري»**، وفي رواية: **«العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذّبته»**.

رواه أحمد (٢٤٨/٢/٣٧٦/٤١٤/٤٢٧/٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (١٧٣/١٦)، وأبو داود في الأدب (٤٠٩٠)، وابن ماجه في الزهد (٤١٧٤) بألفاظ متقاربة.

قوله: «الكبرياء ردائي...» إلخ، هما صفتان للّه تعالى، فمذهب السلف إبقاؤهما على ظاهرهما وعدم الخوض في تفسيرهما وتفويض معناهما وكيفيتهما إلى الله عزّ وجل مع تنزيهه تعالى عن صفات المحدثات.

وقال آخرون من الخلف: ذلك مجاز واستعارة حسنة ضرب ذلك مثلاً لكون العز والكبرياء بالله تعالى أحق، وله ألزم، واقتضاهما جلاله.

وقوله: «من ينازعني» أي: من يتخلق بذلك قصمته وألقيته في النار.

وفي الحديث وعيد شديد لمن ينازع الله في كبريائه وعظمته وجلاله، فمن تكبر على عباد الله وتعاظم عليهم عذّبه الله تعالى، لأنه نازع الله في صفة من صفاته فتخلّق بالكبرياء الذي هو من صفات الربوبية، وفي هذا زجر بالغ للمتكبرين.

[٣٤٧] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كِبْر»** قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: **«إن الله جميل يحب الجمال، الكِبْرُ بطر الحق، وغمط الناس»**.

رواه مسلم في الإيمان (٩٠/٨٩/٢) مع النووي، وأبو داود (٤٠٩١)، والترمذي في البر والصلة (١٨٤٣)، وابن ماجه في الزهد (٤١٧٣) وغيرهم.

في الحديث أن حب الإنسان لبس الثوب الحسن أو الحذاء الحسن

ونحو ذلك، ليس من الكبر إن لم يرد بذلك التفاخر والتعاظم على الغير، وإنما الكبر هو بطر الحق أي: دفعه وعدم قبوله، وغمط الناس وغمصهم أي: احتقارهم وازدراؤهم والتعاظم عليهم، كما فيه أن الله يحب الجمال في كل شيء لأنه تعالى جميل ولا أجمل منه إطلاقاً.

وفي الحديث وعيد شديد وتهديد أكيد للمتكبرين، فمَن مات على كبريائه حرم دخول الجنة مع السابقين أو اللاحقين إن كان كافراً أو مؤمناً استحلّ ذلك ولو كان كبره ضئيلاً عياذاً بالله تعالى.

وقد ذمّ الله المتكبرين والمختالين في غير ما آية من القرآن الكريم.

**[٣٤٨]** وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: يقولون - لي في التيه - وقد ركبتُ الحمار، ولبستُ الشملة، وقد حلبتُ الشاة، وقد قال لي رسول الله ﷺ: **«مَن فعل هذا، فليس فيه من الكِبْرِ شيء»**.

رواه الترمذي في البر والصلة (١٨٤٥) بسند صحيح رجاله رجال مسلم غير علي بن عيسى بن يزيد البغدادي، وهو ثقة.

قوله: «التيه» أي: يصفونه بالكبر.

وفي الحديث بيان أن من زاول هذه الأشياء من ركوب الحمار، ولبس الشملة، وحلب الشاة كان خالياً من الكبر، لأن ما ذكر يتحاشى عنه المتكبرون المتعاظمون.

**[٣٤٩]** وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كلوا واشربوا وتصدّقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة»**.

رواه ابن ماجه (٣٦٠٥) بسند حسن أو صحيح، وعلّقه البخاري في اللباس من صحيحه مجزوماً به، ونحوه عن ابن عباس رواه ابن أبي شيبة (١٧/٥) بسند صحيح وهو أيضاً عند البخاري معلقاً.

وهما يدلان على أن للإنسان أن يتمتع بكل ما شاء من مأكول ومشروب وملبوس إذا خلا ذلك عن الإسراف والتبذير ومجاوزة الحد، والكبرياء لأن المخيلة هي التكبُّر والخيلاء، وذلك قد يكون في الألبسة



والمركوبات والمآكل والمشارب كما يكون في غيرها، وقد تقدمت أحاديث في اللباس تتحدث عن الخيلاء ووعيد المتكبرين.

* * *

## ❊ عظم جرم تعذيب الناس والحيوان

**[٣٥٠]** عن خالد بن حَكِيم بن حزام قال: تناول أبو عُبيدة رجلاً بشيء فنهاه خالد بن الوليد فقال: أغضبتَ الأمير، فأتاه فقال: إني لم أرد أن أُغْضِبك ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة، أشد الناس عذاباً للناس في الدنيا»**.

رواه أحمد (٩٠/٤)، والحميدي في مسنده (٥٦٢) بسند صحيح.

قوله: «أشد الناس» هو على حذف من، لأن أشد الناس عذاباً هو الكافر.

وعلى أيٍّ، فهو وعيد شديد وتهديد أكيد للذين يعذّبون عباد الله ولا سيما إذا كانوا مظلومين كما يقع ممن يتولون ذلك من شرط الظلمة والكفرة فإنهم يعذبون الناس بأنواع من العذاب لم يُسمع بمثلها ليرغموهم على الاعتراف بحق أو باطل فهؤلاء سيلقون جزاءهم من الله الجزاء الأوفى، يوم لا يُعذِّب عذابه أحد ولا يوثِق وثاقه أحد.

**[٣٥١]** وعن هشام بن حكيم بن حزام أنه مرّ على أناس من الأنباط بالشام قد أُقيموا في الشمس، وفي رواية: وصبّ على رؤوسهم الزيت فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا في الجزية، وفي رواية: يعذبون في الخراج، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»**، قال: وأمير الناس يومئذ عُمَيْر بن سعد على فلسطين، قال: فدخل عليه فحدثه فخلى سبيلهم.

رواه أحمد (٤٦٨/٤٠٣/٣)، ومسلم في البر والصلة (١٦٨/١٦٧/١٦)، وأبو داود في الجهاد (٣٠٤).

قوله: «الأنباط» هم فلاحو العجم، وفي رواية: من أهل الذمة. كان هؤلاء الكفار قد فرضت عليهم الجزية ولعلهم لم يجدوا ما يؤدون به فحُبِسوا وعُذِّبوا، فأنكر ذلك هشام بن حكيم وحدّث عن رسول الله ﷺ بهذا الحديث.

ففيه تحريم تعذيب عباد الله تعالى ولو كانوا كفاراً إذا كان ذلك ناشئاً عن ظلم وباطل. وإذا كان تعذيب الكفار لا يجوز فكيف بتعذيب المسلمين ولا سيما الأبرياء أو المتهمين، إن ذلك عند الله لعظيم.

وهذا لا ينافي تعذيبهم بحق كتعزير مثلاً وتأديب، فأحرى القصاص والحدود.

**[٣٥٢]** وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«عُذِّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»**.

رواه مسلم في البر والصلة (١٦/١٧٢) وهو في الصحيحين بنحوه عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما وقد تقدما في الأنبياء، (رقم ٥٩٨).

ففي الحديث تحريم تعذيب الحيوان ولا سيما المأذون فيه فلا يجوز تعذيبه ولا ترك تغذيته وإن حبس وجب الإحسان إليه. وقد تقدم تحريم قتل الحيوان فليرجع إليه.

* * *

## ❊ النهي عن الغضب وما قيل فيه

**[٣٥٣]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوْصِني، قال: **«لا تغضب»** فردّد مراراً، قال: **«لا تغضب»**، وفي رواية: علّمني شيئاً ولا تكثر علي لعلي أعيه، قال: **«لا تغضب...»** إلخ.



رواه أحمد (٢/١٧٥/٣٦٢) وفي مواضع، والبخاري في الأدب (١٣/١٣٤/١٣٥)، والترمذي في البر والصلة (١٨٦٣).

في الحديث النهي عن تعاطي أسباب الغضب والتعرض لما يثيره، والمذموم منه هو العمل بمقتضاه من العداوة والمقاطعة والسب والشتم وما إلى ذلك مما ينشأ عنه، لأن الغضب طبيعي في الإنسان. قال الخطابي: معنى قوله: «لا تغضب» اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه، وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة. قال العلماء: لأنه من تكليف المحال، فالمراد بالحديث ما كان من قبيل ما يكتسب بالرياضة. واتفقوا على أن هذا في الغضب لغير الله، أما ما كان لانتهاك حرمة من حرمات الله فهو واجب من شعب الإيمان ومقتضياته، وهذا كان خلق النبي ﷺ كما قدّمنا في الشمائل وغيرها.

* * *

## ❊ مجاهدة النفس على العمل بمقتضى الغضب

**[٣٥٤]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملِك نفسه عند الغضب»**.

رواه البخاري في الأدب (١٣/١٣٤)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٦٢).

«الصرعة»: بضم الصاد وفتح الراء والعين هو الذي يكثر منه صرع الناس عند المصارعة.

**[٣٥٥]** وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما تعدُّون الرَّقوب فيكم؟»** قال: قلنا: الذي لا يولد له، قال: **«ليس ذلك بالرقوب، ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئاً»** قال: **«فما تعُدُّون الصُّرعة فيكم؟»** قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: **«ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب»**.

رواه مسلم في البر والصلة (١٦/١٦١).

«الرقوب»: بفتح الراء المشددة وضم القاف، هو عند العرب من لا يولد له أصلاً أو لا يعيش له ولد، لكن النبي ﷺ بيّن لهم أن الرقوب الحقيقي هو الذي لم يقدم للآخرة من أولاده شيئاً.

وفي الحديثين بيان فضل من يجاهد نفسه عند الغضب فيكظم غيظه ولا يعمل بمقتضى غضبه فيخاصم وينازع ويشتم ويضرب.

فهذا هو الشديد الحقيقي والقوي شرعاً لأنه جاهد نفسه فانتصر عليها وهزمها ولم يطعها في العمل بمقتضى غضبها.

وقد قدّمنا سابقاً فضل كظم الغظيم فليرجع إليه فإن له تعلُّقاً بهذا.

❊ ❊ ❊

## ❊ دواء الغضب

[٣٥٦] عن سليمان بن صُرَد رضي الله تعالى عنه قال: استبّ رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه، وفي رواية: فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه، فنظر إليه النبي ﷺ فقال: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»، فقام إلى الرجل رجلٌ ممن سمع النبي ﷺ فقال: أتدري ما قال رسول الله ﷺ آنفاً؟ قال: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» فقال له الرجل: أمجنوناً تراني، وفي رواية: إني لست بمجنون.

رواه أحمد (٦/٣٩٤)، والبخاري في الأدب (١٣/١٣٤)، ومسلم (١٦/١٦٣/١٦٤)، وأبو داود في الأدب (٤٧٨١).

[٣٥٧] وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**».

رواه أحمد (٥/١٥٢)، وأبو داود (٤٧٨٢) وسنده صحيح.



قوله: «استبّ رجلان» أي: تشاتما.

وقول ذلك الرجل: «أمجنوناً تراني؟» فيه سوء أدب مع الحضرة النبوية، ولعله كان من أجلاف العرب أو من المنافقين، لأن المؤمن الصادق لا يصدر منه مثل هذا الكلام الساقط.

وفي هذين الحديثين بيان لعلاج الغضب ودواء من صدر منه، وهو أمران اثنان:

**أحدهما**: أن يستعيذ بالله من الشيطان لأن الغضب في غير ما يتعلق بالله... هو من نزغات الشيطان وهو الحامل عليه فكان من الواجب الالتجاء إلى التحصن منه بالله عزّ وجل لئلا يسترسل به فيخرج بسببه عن اعتدال طبيعته فيتكلم بالباطل ويأتي بالقبائح المترتبة عليه.

**وثانيهما**: إذا أحسّ بالغضب وفورانه وكان قائماً فعليه أن يقعد، فإن سكن وذهب عنه وإلا فعليه أن يضطجع، فإنه لا شك سيذهب عنه لأن النبي ﷺ لا ينطق بخلاف الواقع ولا ندري الحكمة في القعود والاضطجاع هنا، فالله أعلم بمراد نبيه ﷺ بذلك.

❊ ❊ ❊

## ❊ نَتْنُ دعوى الجاهلية

[٣٥٨] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: «**ما بالُ دعوى الجاهلية؟**» قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار، فقال النبي ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**» فسمع ذلك عبدالله بن أبي بنُ سلول فقال: أوَقد فعلوها؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذل. فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»، وفي رواية: فقال له ابنه

عبدالله بن عبدالله: والله لا تنقلب حتى تُقر أنك الذليل، ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل.

رواه أحمد (٣/٣٩٢/٣٣٨)، والبخاري في التفسير (١٠/٢٧٤/٢٧٥)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٣٧/١٣٨/١٣٩)، والترمذي (٣٠٩٧) بتهذيبي.

قوله: «كسع» بفتحتين: أي: ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه أو سيف أو نحو ذلك. وقوله: «دعوها» يعني دعوى الجاهلية وهي الاستغاثة للانتصار، وهي قولهم هنا: يا للمهاجرين، يا للأنصار. وقوله: «فإنها منتنة» أي: هذه الكلمة قذرة خبيثة لأنها تؤدي إلى سفك الدماء وإفساد ذات البَيْن.

وفي الحديث ذم دعوى الجاهلية والاستنصار بالعشائر للتقاتل على طريقة ما كان عليه الكفار العرب قبل الإسلام حمية وعصبية، وذلك حرام أشد التحريم لا يجوز في الإسلام.

وفي الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من الإغضاء عما كان يصدر من المنافقين تنازلاً عن حقه ﷺ وسلوكاً منه طريق الحكمة والسياسة، ولذلك لم يأذن لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في قتل ابن أبي المنافق مع أنه سبّ النبي ﷺ وحطّ من قدره بحيث لو صدر ذلك اليوم من أحد لحكم بارتداده ووجب إعدامه.

**[٣٥٩]** وعن أُبَي بن كعب رضي الله تعالى عنه أنه سمع رجلاً قال: يا لَفُلان، فقال له: اعْضُضْ بِهَن أبيك، ولم يَكْن، فقال له: يا أبا المنذر ما كنت فحّاشاً، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَن تعزَّى بعزاء الجاهلية فأعِضُّوه بهن أبيه ولا تَكْنُوا»**.

رواه أحمد (٦/١٣٦)، وابنه في زيادته (٥/١٣٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٣٦) وسندهما صحيح.

قوله: «اعضض» أي: عض بأسنانك ذكر والدك، يصرح له بذَكَرِ أبيه



صراحة رداً لما أتى به من عزاء الجاهلية. و«الْهَن»: هو الفرج وما يُستقبح ذكره. وقوله: «تَعَزَّى» أي: انتمى وانتسب كقوله: يا لفلان يا لبني فلان، فهذا عزاء الجاهلية وذلك محرّم مذموم، ولذلك كان من اللائق أن يُفحش على من تعزّى بذلك دون عزاء الإسلام وهو قولهم: يا للمسلمين، أو التصبُّر عند المصيبة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

* * *

## ❊ ذم الافتخار بالآباء والأنساب

[٣٦٠] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عزّ وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليَدَعَنّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجِعْلان التي تدفع بأنفها النتن»**، وفي رواية: **«والناس بنو آدم وآدم من تراب»**.

رواه أحمد (٢/٣٦١/٣٦٦/٥٢٣)، وأبو داود في الأدب (٥١١٦)، والترمذي في المناقب (٣٧١٦) وهو آخر حديث فيه، وحسّنه وصححه.

وللحديث شواهد بعضها حسنة وصحيحة أشرت إليها في تهذيب الترمذي.

«عبية»: بضم العين وكسرها ثم باء مكسورة مشددة وياء مفتوحة مشددة، هي نخوها وفخرها وكبرياؤها. قوله: «الجعلان» بكسر الجيم، وفي رواية «الجعل» بضم الجيم وفتح العين، هي دويبة سوداء تعتاد تكوير العذرة والنتن ودفعها بأنفها.

وفي الحديث ذم التفاخر بالأنساب ولا سيما إذا كان الآباء كفرة أو فجرة، فالإنسان بإيمانه وطاعته لربه وتقواه وليس بافتخاره وتطاوله على غيره بحسبه ونسبه وماله وجاهه، فالناس كلهم سواء أصالة أبوهم آدم وآدم خلق من تراب، ثم هم متفاوتون فإنهم إما مؤمن بَرٌّ تقي كريم على الله، وإما

فاجر شقي هيّن على الله، ففيمَ التفاخر إذاً وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

[٣٦١] وعن عياض بن حمار رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحدٌ على أحد، ولا يفخر أحدٌ على أحد»**.

رواه مسلم في صفة القيامة (١٧/٢٠٠)، وابن ماجه (٤١٧٩) وله شاهد عن أنس رواه ابن ماجه (٤٢١٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٣٦) وحسّنه البوصيري في الزوائد.

قوله: «لا يبغي» البغي: هو الظلم والتطاول على الغير والاعتداء عليه، والفخر: التباهي والتمدُّح بالمناقب والمكارم حقاً كانت أم باطلة.

ففي الحديث النهي عن التفاخر والبغي على الغير وكلاهما محرّم.

❊ ❊ ❊

## ❊ الطعن في الأنساب

[٣٦٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اثنان في الناس هما بهم كفر: الطَّعن في النسب، والنياحة على الميت»**.

رواه أحمد (٢/٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (٢/٥٧) بالنووي.

الطعن في الأنساب عظيم يعتبر قذفاً يطالب الطاعن بشهادته العادلة على ما قال، وإلا جلد حد القذف. ولذلك جعله النبي ﷺ كفراً، وهو وإن لم يرد به الكفر المخرج من الملة إذا لم يعتقد حلية ذلك فذلك عظيم لأنه ليس من أخلاق أهل الإسلام.

وقد جاء في هذا المعنى غير ما حديث.

❊ ❊ ❊



## ❊ النهي عن إدخال الحزن على المسلم

[٣٦٣] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يُحزنه»**.

رواه أحمد (١/٤٦٠/٤٦٢)، والبخاري في الأدب (١٣/٣٢٥/٣٢٦)، ومسلم في آخر السلام (١٤/١٦٨)، وأبو داود في الأدب (٤٨٥١)، والترمذي (٢٦٣٦)، وابن ماجه (٣٧٧٥).

«المناجاة»: المسارة.

قال النووي رحمه الله تعالى: وفي هذه الأحاديث النهي عن تناجي اثنين بحضرة ثالث وكذا ثلاثة وأكثر بحضرة واحد، وهو نهي تحريم فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا أن يأذن، ثم ذكر أن النهي عام في كل الأزمان عند جماهير العلماء غير أن هذا ما لم يختلطوا بالناس ولم يبقَ الواحد منفرداً.

والحكمة في النهي عن ذلك وتحريمه أنه يحزن الثالث وذلك يؤذيه، وإذاية المسلم محرّمة. وانظر الفتح (١٣/٣٢٥) للمزيد.

❊ ❊ ❊

## ❊ المتشدق في الكلام مبغوض للّه تعالى

[٣٦٤] عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عزّ وجل يُبغض البليغ من الرجال الذي يتخلّل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها»**.

رواه أحمد (٢/١٦٥/١٨٧)، وأبو داود في الأدب (٥٠٠٥)، والترمذي في الاستئذان (٢٦٦٢)، وحسّنه الترمذي، وهو كما قال.

«يتخلل» أي: يدير لسانه حول أسنانه ويتشدق في الكلام.

وفي الحديث ذم البليغ الذي يتظاهر بالفصاحة والبيان ويكثر الثرثرة في كلامه، فإن ذلك أكثره إن لم يكن كله نفاق ورياء وتصنُّع، وذلك إشراك ككثير من الخطباء والمحاضرين والمعجبين بأنفسهم وكلامهم.

وقد يكونون داخلين في الحديث التالي وهو:

[٣٦٥] عن عمر بن سعد - يعني ابن أبي وقاص - قال: كانت لي حاجة إلى أبي سعد فقدمت بين يدَي حاجتي كلاماً مما يحدث الناس يوصلون لم يكن يسمعه، فلما فرغ قال: يا بني قد فرغت من كلامك؟ قال: نعم، قال: ما كنت من حاجتك أبعد ولا كنت فيك أزهد مني منذ سمعت كلامك هذا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يكون قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقرة من الأرض**».

رواه أحمد (١/١٧٥/١٧٦/١٨٤) من طرق هو بها حسن.

فهذا الحديث يشير إلى أنه سيكون أقوام يتمعشون بألسنتهم بما أوتوا من فصاحة وبيان، وقد يكون مشيراً إلى من يأكل بالتجسُّس على المسلمين.

[٣٦٦] وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**الحياء والعِيُّ شُعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شُعبتان من النفاق**».

رواه أحمد (٥/٢٦٩) والترمذي في البر والصلة (١٨٧٠) وحسّنه، والحاكم (١/٥٢) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي. وسنده صحيح رجاله عند الترمذي رجال الصحيح.

قال الترمذي: والعِيُّ قلة الكلام، والبذاء هو الفحش في الكلام، والبيان هو كثرة الكلام مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيتوسعون في الكلام ويتفصّحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي الله.

فالحديث يدل على أن العي بكسر العين وهو قلة الكلام وعدم المبالغة في البيان من خصال الإيمان، بينما البيان والتفصُّح خصلة من النفاق.

* * *



## ❊ ذم الوقاحة وذهاب الحياء

[٣٦٧] عن أبي مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستحِ فافعل ما شئت**» وفي رواية: «**فاصنع ما شئت**».

رواه البخاري في الأنبياء وفي الأدب (١٣/١٣٩)، وأبو داود (٤٧٩٧)، وابن ماجه (٤١٨٣).

[٣٦٨] وعن حذيفة بلفظ: «**إن آخر ما تعلق به أهل الجاهلية من كلام النبوة: إذا لم تستحِ فافعل ما شئت**».

رواه أحمد (٥/٤٠٥) بسند صحيح.

في الحديثين أن الحياء محمود في جميع الشرائع وعند كل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وعلى نبينا وآله، وأنه كان من كلامهم: إذا لم تستحِ... إلخ.

وقد اختلف العلماء في توجيه قوله: «**إذا لم تستحِ فافعل ما شئت**» فقيل: هو أمر تهديد ومعناه إذا نزع منك الحياء فافعلْ ما شئت فإن الله مجازيك عليه، وقيل: هو أمر بمعنى الخبر، أي: مَن لا يستحي يصنع ما أراد. وقال الخطابي: الحكمة في التعبير بلفظ الأمر دون الخبر أن الذي يكف الإنسان عن مواقعة الشر هو الحياء، فإذا تركه صار كالمأمور طبعاً بارتكاب كل شر.

وقال النووي في الأربعين: الأمر فيه للإباحة، أي: إذا أردت فعل شيء فإن كان مما لا تستحي إذا فعلته من الله ولا من الناس فافعله وإلا فلا.

وعلى أيٍّ، فالحياء محمود وهو من الإيمان كما تقدم أول الكتاب من الجزء الأول، وفي حديث أبي أمامة السابق قريباً.

وفقدانه من النفاق، فمَن لا حياء له لا إيمان له، لأن الوقاحة وصفاقة الوجه تتطلب مزاولة كل شر وترك كل خير، والواقع أكبر شاهد على ذلك، والموضوع يحتاج إلى بسط أكثر.

❊ ❊ ❊

## ❊ ذم المدح في الوجه

**[٣٦٩]** عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يُثْني على رجلٍ ويُطريه في المِدحة فقال: **«أهلكتُم - أو قطعتُم - ظهر الرجل»**.

رواه البخاري في الأدب (٨٧/١٣)، ومسلم في الزهد (١٢٧/١٨) وغيرهما.

**[٣٧٠]** وعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: مدح رجلٌ رجلاً عند النبي ﷺ قال: فقال: **«ويحك قطعتَ عُنُقَ صاحبك مراراً، إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسبُ فلاناً والله حَسِيبُهُ، ولا أزكي على الله أحداً، أحسبه إن كان يعلم ذلك كذا وكذا»**، وفي رواية: **«إنه كان يُرى أنه كذلك»**.

رواه البخاري (٨٧/١٣)، ومسلم (١٢٧/١٢٦/١٨)، وأبو داود في الأدب (٤٨٠٥) وجاء في حديث عند ابن ماجه (٣٧٤٣) بلفظ: **«إياكم والتمادح فإنه الذبح»** وسنده حسن.

قوله: «يطريه» بضم الياء، أي: قد جاوز الحد في المدح. وقوله: «قطعتم ظهر الرجل» وهو معنى قطعت عنق صاحبك وذلك عبارة عن الهلاك. وقوله: «يُرى» بضم الياء، أي: يظن.

ظاهر الحديثين يدل على منع المدح في الوجه لأن ذلك قد يؤدي بالممدوح إلى الإعجاب والتكبر والفخر... وفي ذلك هلاك دينه ولذلك شبّه النبي ﷺ ذلك بقطع عنقه أو ظهره، وأرشدنا ﷺ إلى الطريق الأسلم



وهو أن لا نجزم بما نقول من المدح إذا كنا مادحين ولا بد فنقول: نحسب كذا وكذا ولا نزكي أحداً بعينه لأنه قد يكون له هنات غيبية لا نعرفها.

**[٣٧١]** وعن أبي معمر قال: قام رجل يثني على أمير من الأمراء فجعل المقداد يَحْثِي عليه التراب وقال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المدّاحين التراب.

رواه مسلم في الزهد (١٢٨/١٢٧/١٨)، وأحمد (٥/٦).

**[٣٧٢]** وعن همام بن الحارث أن رجلاً جعل يمدح عثمان فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلاً ضخماً فجعل يحثو في وجهه الحصباء فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: **«إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب»**.

رواه أحمد (٥/٦)، ومسلم (١٢٨/١٨)، وأبو داود (٤٨٠٤)، وابن ماجه (٣٧٤٢).

وفي هذين الحديثين إرشاد من النبي ﷺ بأن نقابل مادحنا بحثي وجهه بالتراب، وقد حمله المقداد على ظاهره وهو راوي الحديثين، وقد فعل ذلك مرتين وعمله هذا يرد قول من أول الحديث بما لا يتفق وظاهره.

نعم جاءت أحاديث أخرى كثيرة في الصحيحين وغيرهما فيها المدح من النبي ﷺ ومن غيره. وهي تعارض أحاديث الباب.

قال النووي رحمه الله تعالى: قال العلماء: وطريق الجمع بينها أن النهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف أو على من يُخاف عليه فتنةٌ من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يُخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير والازدياد منه أو الدوام عليه أو الاقتداء به، كان مستحباً.

وقد أطال الحافظ القول في الموضوع فانظره (ج١٣/٨٨) من كتاب الأدب.

❊ ❊ ❊

## ❊ ذم الجدال والمراء بالباطل

**[٣٧٣]** عن أبي أُمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضلّ قومٌ بعد هُدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجَدَل**»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.

رواه أحمد (٢٥٦/٢٥٢/٥)، والترمذي (٣٠٣٩) بتهذيبي، وابن ماجه (٤٨)، والحاكم (٤٤٧/٢) وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم.

«الجدل»: بفتحتين، الخصومة بالباطل.

والحديث يدل على أن من أراد الله به الضلال صرفه إلى كثرة الجدال وكفى بذلك زجراً للمغرمين بالجدال، بل قد يكونون أبغض خلق الله كما في الحديث التالي:

**[٣٧٤]** وعن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أبغضُ الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِمُ**».

رواه أحمد (٢٠٥/٦٣/٥٥/٦)، والبخاري في التفسير (٢٥٤/٩) وغيره، ومسلم في العلم (٢١٩/١٦)، والترمذي في التفسير (٣٧٨٥)، والنسائي في الكبرى (٣٠١/٦).

«الألد الخصم»: بفتح الخاء وكسر الصاد، وهو الكثير الخصام الشديد في ذلك الذي يغلب غيره في الخصام. فليتباعد المسلم عن كثرة الجدال والخصام خشية أن يصيبه غضب الله تعالى.

هذا ما أردنا ذكره من الآداب والمكارم والمساوىء، بيد أن هناك بعض أحاديث فاتتنا أفردناها عقبه في باب ملحق.

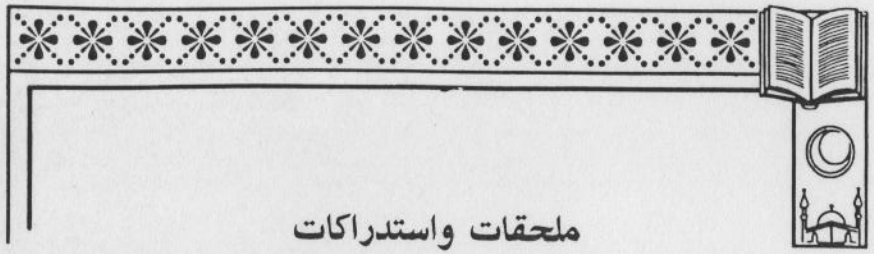

# ملحقات واستدراكات

## ❊ رفع درجة الوالدين باستغفار ولدهما

**[٣٧٥]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنّ الرجلَ لتُرفعُ درجتُه في الجنة فيقول: أنّى هذا، فيقال: باستغفار ولدك لك**».

رواه ابن ماجه (٣٦٦٠) بإسناد صحيح كما قال البوصيري في الزوائد في الحديث فضل من خلف بعده ولداً صالحاً يدعو معه ويستغفر له، وأن الله عزّ وجل يرفع له الدرجات بسبب ذلك، ويكون ذلك من جملة أعماله التي خلفها بعده كما تقدم في حديث مسلم: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...**» فذكر منهم ولداً صالحاً يدعو له.

❊ ❊ ❊

## ❊ التنابز بالألقاب

**[٣٧٦]** عن أبي جَبِيرَةَ بن الضحاك رضي الله تعالى عنه قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره، قال: ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، وفي رواية: وليس أحد منا إلا له لقب أو لقبان، قال: فكان إذا دعي بلقبه قلنا: يا رسول الله إن هذا يكره هذا.

رواه أحمد (٦٩/٤) و(٣٨٠/٥)، وأبو داود (٤٩٦٢)، والنسائي في

الكبرى (٤٦٦/٦) وكذا البخاري في الأدب المفرد (٣٣٠)، وابن حبان بالموارد (١٧٦) ، والحاكم (٤٦٣/٢ و٢٨٢/٢٨١/٤) وحسّنه الترمذي وصححه، ورواه ابن ماجه في الأدب (٣٧٤١) بلفظ قال: فينا نزلت معشر الأنصار: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، قدم علينا رسول الله ﷺ والرجل منا له الاسمان والثلاثة، فكان النبي ﷺ ربما دعاهم ببعض تلك الأسماء فيقال: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.

«التنابز بالألقاب»: التنادي بالأسماء المكروهة للإنسان وذلك محرّم وفسوق بنص الآية الكريمة والنبز هو اللقب بما فيه ذم.

فإذا كان للمسلم لقب يكرهه لا يجوز نداؤه به لأن ذلك يسوءه ويتأذى به.

❊ ❊ ❊

## ❊ اللعب بالحمام

[٣٧٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً يتبع حمامة فقال: «**شيطان يتبع شيطانة**».

رواه أبو داود في الأدب (٤٩٤٠)، وابن ماجه (٣٧٦٥) بسند حسن وهو صحيح لشاهدين له، عن عائشة عند ابن ماجه (٣٧٦٤) بسند صحيح، وعن عثمان عنده أيضاً (٣٧٦٦) ورجاله ثقات ولا يضر انقطاعه.

قوله: «شيطان» سمّى ﷺ كلاً منهما شيطاناً لأن الرجل اللاعب بها غافل بعيد عن الحق مشتغل بما لا يعنيه، أما الحمامة: فلأنها أغفلت الرجل عن الله وشغلته عما يهمه من صلاح دينه ودنياه.

ثم إن الاشتغال باللعب بالحمام ونحوها من اللهو ومن فعل أهل البطالة وكل ما كان من هذا القبيل فهو من وحي الشيطان، وإن كان مباحاً لكنه دناءة وقلة مروءة وقطع الوقت في الباطل.

❊ ❊ ❊



## ❊ عِظَمُ جُرْم الشيخ الزاني والملك الكذاب والعائل المستكبر

[٣٧٨] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**».

رواه مسلم في الإيمان (١١٥/٢)، والنسائي في الكبرى (٢٦٩/٤).

العائل: الفقير.

تخصيص النبي ﷺ هؤلاء الثلاثة بهذا الوعيد لبُعدهم عن هذه المعاصي وضعف دواعيها عندهم وإن كان ذلك محرّماً على كل الناس، فإن الزنا فاحشة عظيمة منكرة لكنها من الشيخ الذي ضعفت لديه دواعيه أعظم وأفحش، والكذب محرّم أشد التحريم على كل الناس لكنه من ذي السلطة أقبح لأن دواعيه فيه مفقودة، والتكبُّر جريمة نكراء لكنه من الفقير أنكر وأشنع لأنه ليس لديه ما يدعوه إلى التكبُّر.

فترتُّب ذلك الوعيد العظيم على هذه الجرائم لأن تعاطيها من هؤلاء فيه نوع من الاستخفاف بحق الله تعالى حفظنا الله عزّ وجل مما يوجب سخطه وغضبه.

❊ ❊ ❊

## ❊ من الجوامع

[٣٧٩] عن جابر بن سليم قال: رأيت رجلاً يَصْدُرُ الناس عن رأيه لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه. قلت: مَن هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ، قلت: عليك السلام يا رسول الله، مرتين، قال: «**لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحيةُ الميت، قل السلام عليك**» قال: قلت: أنت رسول الله ﷺ؟ قال: «**أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضُرٌّ فدعوتَه كشفه عنك، وإن أصابك عامُ سنةٍ فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو**

**فلاةٍ فضلّتْ راحلتُك فدعوته ردّها عليك»** قلت: اعهد إليّ، قال: **«لا تسُبَّنَّ أحداً»** قال: فما سَبَبْتُ بعده حراً، ولا عبداً، ولا بعيراً، ولا شاةً، قال: **«ولا تحقّرن شيئاً من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيّرك بما يعلم فيك فلا تعيّره بما تعلم فيه فإنما وبال ذلك عليه»**.

رواه أبو داود في اللباس (٤٠٨٤)، والترمذي في الاستئذان (٢٥٣٦) وحسّنه وصححه، ورواه أبو داود في الاستئذان (٥٢٠٩)، والنسائي في الكبرى (٨٨/٦) وغيرهما من طريق أبي تميمة الهجيمي.

في هذا الحديث عدة إرشادات ووصايا نبوية هامة.

ففيه أدب من آداب السلام وهو أن لا يبدأ الإنسان السلام على الغير بلفظ منكر: «سلام عليك» بل يأتي به معرّفاً: «السلام عليكم» وقد تقدم هذا في السلام.

وفيه تذكير بأن الله عزّ وجل هو ربنا ومالكنا والقائم بشؤوننا، فهو الذي يكشف ضرّنا، وهو الذي يرزقنا، وهو الذي يفرّج علينا كرباتنا.

وفيه أن المسلم لا ينبغي له أن يستصغر شيئاً من الخير، ومنه لقاء المسلم بانبساط وابتسامة فإن ذلك من جملة المعروف الذي يحتقره الناس.

وفيه أدب من آداب اللباس وهو أن لا يسبل ثيابه إلى ما تحت الكعبين، فإن ذلك من التكبُّر والمخيلة والله لا يحب المختالين، وقد تقدم هذا أيضاً في اللباس.

وفيه الصفح عن الجهلة والإعراض عن سفههم وعدم مقابلتهم بالمثل وأن يتركوا يبوؤون بوبال ما قالوا.

* * *



## ❊ كراهة نوم الرجل فوق سطح ليس بمحجور

**[٣٨٠]** عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن ينام الرجل على سطح ليس بمحجور»، وفي رواية: **«مَن بات على ظهر بيت ليس له حِجَارٌ فقدْ بَرِئَتْ منه الذِّمَّةُ»**.

رواه الترمذي في الاستئذان (٢٦٦٥) بتهذيبي، وهو حديث صحيح لشاهد له عن رجل من الصحابة، رواه أحمد (٢٧١/٧٩/٤) بسند صحيح، وعن علي بن شيبان، رواه أبو داود في الأدب (٥٠٤١) بسند لا بأس به في الشواهد.

قوله: «بمحجور» أي: ليس عليه حِجَارٌ وهو ما يُحاطُ عليه من جدار يمنع وقوع الناس منه.

وفي الحديث كراهة نوم الإنسان على سطح ليس له جدار وستر يمنع من السقوط، وظاهر قوله نهى، وبرئت منه الذمة: تحريم ذلك ولم أرَ مَن صرّح بالتحريم.

* * *

## ❊ لا تكونوا إمّعة

**[٣٨١]** عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تكونوا إمّعةً، تقولون إن أحسن الناس أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تُحسِنوا، وإن أساؤوا فلا تَظْلِموا»**.

رواه الترمذي في البر والصلة (١٨٥١)، وابن ماجه (١٤٤٣)، وابن حبان (٧١٢).

والحديث حسن لطرقه ولشاهد له عن أنس رواه البزار وأبو يعلى. قال الحافظ المنذري رحمه الله تعالى في الترغيب بإسناد جيد.

«إمّعة»: بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة، هو الذي يتبع كل ناعق ويقلد كل أحد بدون روية ولا برهان. ففي الحديث ذم التقليد الأعمى في الخير والشر، وذلك من شأن ضعاف العقول، وما ضلّ من ضلّ إلا بالتقليد.

* * *

## ❊ ما جاء في لعن النبي ﷺ غيره وأن ذلك زكاة وأجر وقربة للملعون

[٣٨٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تُخْلِفَنِيهِ، فإنما أنا بشر فأي المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة، وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة»، وفي رواية: «اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك...» إلخ، وفي رواية: «أن يكون ذلك له زكاةً وأجراً».

رواه البخاري في الدعوات (ج١٣/٤٢٥/٤٢٦)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٥١/١٥٢/١٥٣).

[٣٨٣] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ رجلان فكلماه بشيء لا أدري ما هو؟ فأغضباه، فلعنهما وسبّهما، فلما خرجا قلت: يا رسول الله من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان، قال: «وما ذاك؟» قالت: قلت: لعنتهما وسببتهما، قال: «أوَما علمتِ ما شارطت عليه ربي؟» قلت: «اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاةً وأجراً».

رواه مسلم (١٦/١٥٠).

[٣٨٤] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كانت عند أم سُلَيم يتيمة وهي أم أنس، فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة فقال: «آنتِ هِيَهْ لقد كَبِرْتِ لا كبر سِنُّكِ» فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لكِ



يا بُنَيَّةُ؟ قالت الجارية: دعا عليّ رسول الله ﷺ أن لا يكبر سني فالآن لا يكبُرُ سني أبداً - أو قالت: قرني - فخرجت أم سليم مستعجلة تَلوثُ خِمارها حتى لقيت رسول الله ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ: «ما لكِ يا أم سليم؟» فقالت: يا نبي الله أدعوتَ على يتيمتي؟ قال: «وما ذاك يا أم سليم؟» قالت: زعمتْ أنك دعوتَ أن لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها، قال: فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «يا أم سليم أما تعلمين أن شرطي على ربي أني اشترطت على ربي فقلت: إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل، أن يجعلها له طهوراً وزكاةً وقربة يقربه بها منه يوم القيامة».

رواه أيضاً مسلم (١٦/١٥٤/١٥٥) وعنده نحوه أيضاً عن جابر بن عبدالله.

في هذه الأحاديث فوائد نجملها في الآتي:

**أولاً**: أن النبي ﷺ كان بشراً من جملة البشر تطرأ عليه جميع الأعراض البشرية وصفاتها، فكان يفرح ويحزن ويضحك ويبكي ويغضب ويرضى ويشتهي النساء ويعجبه حسنهن ويتزوج ويمرض وتصيبه آلام الحياة وأهوالها... حتى توفي وخرجت روحه الطاهرة من جسمه الشريف كما تخرج من سائر البشر.

**ثانياً**: كان إذا غضب سبّ أو لعن مَن أغضبه، يدل عليه حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ولم يكن هذا منه عادة، بل وقع نادراً لأنه لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، واللعن والشتم فحش.

**ثالثاً**: فيها أن من لعنه وكان أهلاً لها كانت وبالاً عليه، فإذا لعن شخصاً حسب ما يوجب ذلك منه ظاهراً وكان في الواقع غير مستحق للعن ولا للسب، جعل الله ذلك له أجراً وبركة ورحمة وقربة يقربه الله بها إليه يوم القيامة، وقد جاء في مسند أحمد (٣/١٤١) من حديث أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ دفع إلى حفصة رجلاً لتحفظه ففرّ وهي غافلة فقال لها النبي ﷺ: «قطع الله يدك»، فرفعت يديها فدخل عليها فقال: «ما

**شأنك؟»** فقالت: قلت: قبل لي: كذا وكذا، فقال لها: **«ضعي يديك فإني سألت الله عزّ وجل أيما إنسان من أمتي دعوت الله عزّ وجل عليه أن يجعلها له مغفرة»**. وسنده صحيح على شرط مسلم، وما قيل في حسين بن واقد لا يضر هنا.

**رابعاً**: كان ﷺ قد اتخذ من الله عهداً بذلك والله لا يخلف الميعاد، وهذا من رحمته ﷺ بأمته وشفقته عليهم.

**خامساً**: هذا الشرط والعهد الذي أخذه على الله هو خاص بالمؤمنين، أما الكفار والمنافقون فخارجون عن ذلك، ولذلك صحّ عنه الدعاء عليهم ولعنه إياهم، وهكذا كل من يستحق اللعنة من الطغاة والظالمين المعتدين والفاسقين المنهمكين.

❊ ❊ ❊

## ❊ الأرواح جنود مجنّدة

**[٣٨٥]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**.

رواه أحمد (٢/٢٩٥/٥٢٧/٥٣٩)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٨٥)، وأبو داود في الأدب (٤٨٣٤).

وعن عائشة مثله، رواه البخاري.

قوله: «جنود مجنّدة» أي: جموع مجتمعة. قوله: «فما تعارف» أي: عرف بعضهم بعضاً. وقوله: «وما تناكر» هو ضد سابقه. وقوله: «ائتلف» الائتلاف هو التوافق والاختلاف ضده.

ومعنى الحديث: أن أرواح بني آدم بعد خلقها كانت جموعاً مجتمعة في عالم الأرواح منها حزب الله ومنها حزب الشيطان فما تعرف بعضها من بعض قبل حلولها في أجسامها حصل بينهما الألفة والتوافق حال اجتماعهما



بالأجساد في الدنيا، وما وقع بينهما التناكر في عالم الأرواح اختلفا ولم يتوافقا في عالم الأجساد والأشباح.

فما يوجد في هذا العالم من التوافق والائتلاف والتناكر والاختلاف فتجد الطيب الكريم الصالح يميل إلى جنسه ويتفق معه بينما الخبيث السيئ الأخلاق المنحرف لا تراه يصاحب إلا مثيله وجنسه ولا يكاد يأتلف مع الصالح، كل ذلك تابع لما حصل في عالم الأرواح مما سبق به علمُ الله وقضاؤه وقدره لا إله إلا هو يفعل ما يشاء لا يُسأل عما يفعل.

❊ ❊ ❊

## ❊ الولد قرّة العين

**[٣٨٦]** عن جُبَير بن نُفَير قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً فمرّ به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت، فاسْتُغضِبَ، فجعلت أعجب، ما قال إلا خيراً، ثم أقبل عليه فقال:

ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيّبه الله عنه؟ لا يدري لو شهده كيف يكون فيه؟ والله لقد حضر رسولَ الله ﷺ أقوامٌ كبّهم الله على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه ولم يصدقوه، أو لا تحمدون الله عزّ وجل إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم، فتصدقون بما جاء به نبيكم ﷺ؟ قد كُفيتُم البلاء بغيركم، والله لقد بُعِث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها نبي قط في فترة وجاهلية، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل، وفرق به بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى والده أو ولده كافراً، وقد فتح الله قُفْلَ قلبه بالإيمان ويعلم أنه إن هلك دخل النار فلا تقرّ عينُه، وهو يعلم أن حبيبه في النار وأنها لَلتي قال الله عزّ وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٧)، وأحمد (٣/٢/٦)، وابن حبان (١٦٨٤) مع الموارد، وسنده صحيح.

في هذا الأثر عبرة وبشرى لمن ولد في الإسلام لا يعرف ولا يعبد رباً غير الله عزّ وجل، وليحمد الله عزّ وجل ليل نهار على أن خلقه مسلماً وجعل أبويه وأولاده مسلمين تقر بهم عيناه، ولم يجعلهم كفاراً من أهل النار، فالحمد لله على ذلك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى.

❊ ❊ ❊

## ❊ من حقوق الجار

[٣٨٧] عن عبدالله بن المُسَاور قال: سمعت ابن عباس يخبر ابن الزبير يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ليس المؤمن الذي يَشْبَعُ وجاره جائع**».

رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، والحاكم (١٦٧/٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الحافظان المنذري والهيثمي في المجمع (١٦٧/٨)، رواه الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات، والحديث صحيح لشواهد له ذكر بعضها المنذري وغيره.

هذا من حقوق الجار وهو أن لا يشبع الإنسان وجاره إلى جانبه جائع لا يجد ما يسد به رمقه، فمن واجب المؤمن أن يتفقد جيرانه ويسأل عن أحوالهم ويواسيهم إذا كانوا محتاجين ضائعين، وفّقنا الله والمسلمين للعمل بذلك.

❊ ❊ ❊

## ❊ وعيد مؤذي جاره

[٣٨٨] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدق، وتؤذي جيرانها



بلسانها، فقال رسول الله ﷺ: «**لا خير فيها، هي من أهل النار**»، قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأثوار، ولا تؤذي أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «**هي من أهل الجنة**».

رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٩)، وأحمد (٤٤٠/٢)، وابن حبان (٢٠٥٤)، والحاكم (١٦٦/٤) وسنده صحيح.

في الحديث دليل على أن إذاية الجار وخاصة إذا كان باللسان توجب لصاحبها النار، وإن صلّى وصام وقام الليل وتصدّق مما يدل على أن ذلك عند الله عظيم وإن ظنّه الغافلون والجاهلون هيّناً يتساهلون فيه.

كما أن مَن اقتصر على أداء واجبه من الصلاة وغيرها وتصدّق ولو بشيء ضئيل وكان الناس في أمن من إذايته كان من أهل الجنة بفضل الله تعالى.

[٣٨٩] وعن أبي جحيفة رضي الله تعالى عنه قال: شكا رجل إلى النبي ﷺ جاره فقال: «**احمل متاعك فضعه على الطريق فمَن مرّ به يلعنه**» فجعل كل من مرّ به يلعنه، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: ما لقيتُ من الناس؟ فقال: «**إن لعنة الله فوق لعنتهم**» ثم قال للذي شكا: «**كُفيتَ**».

رواه البخاري في الأدب المفرد (١٢٥) بسند حسن صحيح.

هذا وعيد آخر لمؤذي جاره وهو نزول لعنة الله تعالى عليه، فمَن أوذي من طرف جاره فليعالج ذلك بهذا الدواء النبوي الذي أرشد ذلك الصحابي إليه وهو إخراج متاعه إلى الشارع وإخباره المارّة بما فعله معه جاره.

❊ ❊ ❊

## ❊ تحريم ضرب الوجه

[٣٩٠] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا تقل قبّح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته**».

رواه أحمد (٢/٢٥١/٤٣٤)، والبخاري في كتاب العتق (٦/١٠٨) من صحيحه، وفي الأدب المفرد (١٧٣)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٦٥/١٦٦)، واللفظ لأحمد وباقيهم رووه مختصراً.

في الحديث تحريم ضرب الوجه لأنه مجمع المحاسن فأقل شيء يشينه، كما أن فيه تحريم السباب بهذه الألفاظ: قبّح الله وجهك... إلخ، فالله تعالى خلق الإنسان في أفضل صورة وأحسن تقويم فكيف تدعو على أخيك بتقبيح وجهه ووجه من أشبه وجهه، فإن هذا السب يشمل حتى وجه أبينا آدم لأنه مخلوق على هذه الصورة الموجودة في بنيه، ولذا ختم الحديث بقوله: «**فإن الله تعالى خلق آدم على صورته**» أي: صورة آدم، فالضمير يعود على آدم، وقد قدّمنا الكلام على هذا في الأبواب السابقة.

❊ ❊ ❊

## ❊ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته

[٣٩١] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، وعبد الرجل** ـ وفي رواية: والخادم ـ **راع على مال سيده، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته، ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته**».

رواه البخاري في كتاب الجمعة (٣/٣١/٣٢)، ومسلم في الإمارة (١٢/٢١٣)، وأبو داود في الخراج (٢٩٢٨)، والترمذي في الجهاد (١٥٦٤) بتهذيبي.

قال النووي رحمه الله تعالى: قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته.



فالحديث يدل على أن هؤلاء كلهم رعاة، والراعي يجب عليه حفظ ما استرعاه سواء كان رئيس دولة، أو زوجاً ذا أسرة، أو امرأة ذات بعل، أو خادماً لبيت ونحوه، أو ولداً مكلّفاً بمال والده... فالكل راع وهو مسؤول يوم القيامة عن رعيته هل حفظها أم ضيّعها.

وهكذا الإنسان من حيث هو راع على جوارحه التي كلف بحفظها عما حرّم الله تعالى عليه، وسيسأل عنها جارحة جارحة، اللهم عفواً وغفراً.

❊ ❊ ❊

## ❊ ما لا يجوز من المزاح

[٣٩٢] عن يزيد بن سعيد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه لاعباً ولا جاداً، فإذا أخذ أحدكم عصا صاحبه فليَرُدّها إليه**».

رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٤١)، وأبو داود في الأدب (٥٠٠٣)، والترمذي في الفتن (١٩٩١) بسند صحيح على شرط مسلم عند الترمذي.

[٣٩٣] وعن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يَحِلُّ لمسلم أن يُرَوِّعَ مسلماً**».

رواه أبو داود في الأدب (٥٠٠٤)، وأحمد (٥/٣٦٢) بسند حسن صحيح.

«روّع» أي: أفزعه وأزعجه.

[٣٩٤] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أشار على أخيه بحديدة لعنته الملائكة**»، وفي رواية: «**وإن كان أخاه لأبيه وأمه**».

رواه مسلم في البر والصلة (١٦٩/١٦)، والترمذي في الفتن (١٩٩٢).

وفي الحديث الآخر: «**لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار**».

رواه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧) كلاهما عن أبي هريرة عنه ﷺ.

في هذه الأحاديث منع الممازحة التي تؤدي إلى إذاية المسلم وإزعاجه كعادة كثير من الناس في مزاحهم مع الآخرين حتى يُدخلوا عليهم الحزن ويتسببوا في إذايتهم، فقد يكونون ملعونين بلعنة الله من حيث لا يشعرون.

❊ ❊ ❊

## ❊ طيب النفس

[٣٩٥] عن عُبَيْد الجهني رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وعليه أثر غُسْل وهو طيِّبُ النفس، فظننا أنه ألمّ بأهله، فقلنا: يا رسول الله نراك طيب النفس؟ قال: «**أجل والحمد لله**» ثم ذكر الغنى، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه لا بأس بالغِنى لمن اتقى، والصحة لمن اتقى خيرٌ من الغنى، وطيب النفس من النَّعَم**».

رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٠١)، وابن ماجه في التجارات (٢١٤١) بسند صحيح، كما قال البوصيري في الزوائد.

في الحديث أن الثراء وكثرة المال مع تقوى الله وأداء حقوقه ليس بممنوع ولا بمذموم، فقد قال ﷺ لعمرو بن العاص: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»، لكن هناك ما هو خير من الثراء وهو الصحة والعافية مع تقوى الله تعالى وهو يشير بذلك إلى أن الفقر مع العافية والاستقامة خير للإنسان وأسلم له.

وفيه أن طيب النفس وفرحها وطمأنينتها من نِعَم الله تعالى على



الإنسان، وهذا مما لا يرتاب فيه، بل ذلك من أعظم نِعَم الله علينا والحمد لله.

❊ ❊ ❊

## ❊ من صفات المؤمن والفاجر

[٣٩٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن غِرٌّ كريم، والفاجر خَبٌّ لئيم**».

رواه البخاري في الأدب المفرد (٤١٨)، وأبو داود في الأدب (٤٧٩٠)، والترمذي في البر والصلة (١٨١٠)، وأبو يعلى (٦٠٠٧)، والحاكم (٤٣/١)، وكذا أحمد (٣٩٤/٢) وهو حديث حسن لطريقين له ولذا حسّنه جماعة.

قوله: «غر» بكسر الغين، و«خب» بفتح الخاء وكسرها، ومعناه أن المؤمن من شأنه وأخلاقه الكريمة الاغترار بظواهر الناس وتغاضيه عن الشرور لصفاء باطنه وطهارته، أما الفاجر فهو بخلافه خدّاع ماكر بحّاث عن الشرور مفسِد في الأرض، باطنه خبيث قذر موصوف باللؤم والنذالة.

❊ ❊ ❊

## ❊ من سعادة الإنسان

[٣٩٧] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعٌ من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء**».

رواه ابن حبان (١٢٣٢) مع الموارد بسند صحيح، ورواه أحمد (١٦٨/١) بنحوه، والطبراني والبزار والحاكم كما قال المنذري.

ورواه البخاري في الأدب المفرد (٤٥٧) عن نافع بن عبدالوارث مختصراً.

قوله: «من سعادة» و«من شقاوة» يعني: في الدنيا.

فسعادة الإنسان في هذه الحياة أن تكون له زوجة صالحة تعينه على دينه ودنياه... ومسكن واسع يسعه وأهله وضيفه... وجار صالح يساعده على الخير ويأمن من شره... ومركب هنيء يركبه ويحمل أثقاله إلى حيث شاء بدون عناء ولا إزعاج. أما شقاوة المرء في هذه الدنيا فبالعكس مما ذكرنا بما هو مذكور في الحديث.

❊ ❊ ❊

## ❊ من الكبر والتعاظم

[٣٩٨] عن عبدالله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبّة سيجَان مزرورةٌ بالديباج، فقال: **«ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس»** قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس، ويرفع كل راع ابن راع، قال: فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جبّته وقال: **«ألا أرى عليك لباس من لا يعقل؟»** ثم قال: **«إن نبي الله نوحاً ـ صلّى الله عليه وعلى نبينا وآله وسلّم ـ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصٌّ عليك الوصية: آمرُك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع، لو وضعت في كفّة، ووضعت لا إله إلا الله في كفّة لرجحت بهن، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كُنّ حلقةً مُبهمةً لقصمتهُنَّ لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاةُ كل شيء، وبها يُرزق كل شيء، وأنهاك عن الشرك والكبر»** فقلت: أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ هو أن يكون لأحدنا حلّة يلبسها؟ قال: «لا»، قال: فهو أن يكون لأحدنا نعلان حسنان لهما شراكان حسنان؟ قال: «لا»، قال: فهو أن يكون



لأحدنا دابة يركبها؟ قال: «لا»، قال: فهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: «لا»، قال: يا رسول الله فما الكبر؟ قال: **«سَفَهُ الحق وغَمْصُ الناس»**.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٨)، وأحمد (٢/١٦٩/١٧٠/٢٢٥) وسنده صحيح، وأورده الهيثمي في المجمع (٤/٢٢٠) برواية أحمد والطبراني بنحوه، قال: وزاد في رواية: **«وأوصيك بالتسبيح فإنها عبادة الخلق وبالتكبير»**، ورواه البزار من حديث ابن عمر ورجال أحمد ثقات.

قوله: «مبهمة» أي: مغلقة. قوله: «قصمتهن» أي: كسرتهن. قوله: «سفه الحق» بفتح السين والفاء، أي: جهله وعدم قبوله. وقوله: «غمص الناس» بفتح العين وسكون الميم آخره صاد، وفي رواية مسلم غمط بالطاء، والمراد بذلك احتقار الناس والاستخفاف فيهم والتكبُّر عليهم.

**وفي هذا الحديث فوائد:**

منها: مشروعية الوصية عند الوفاة وخاصة للأولاد وهي مؤكدة أو واجبة في شرعنا كما قدّمنا في الوصايا.

ومنها: فضل الذكر وبالأخص بالتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير، بل هذا أفضل الأذكار إطلاقاً بعد القرآن الكريم.

ومنها: وجود الميزان يوم القيامة وأنه حق ثابت له كفّتان وهو مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة ومَن لفّ لفهم من أهل البدع والعقلانيين.

ومنها: أن الأرضين سبعٌ كالسماوات في الخلق والعدد والطبقات وهذا ظاهر القرآن فلا ندعه لنظريات الغربيين وأذنابهم.

ومنها: وهي بيت القصيد أن الكبر هو دفع الحق وعدم قبوله مع احتقار الناس والتعاظم والتكبُّر عليهم. وليس من الكبر التجمُّل بالألبسة الجميلة المباحة أو ركوب السيارات ونحوها أو اتخاذ الأصحاب يجلسون إليه يأنس بهم... فكل هذه الأشياء ليست من الكبر إذا لم يكن فيها تفاخر أو إعجاب أو إسراف وإلا كانت محرّمة تحريماً عارضاً.

[٣٩٩] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: **«مَن تعظَّمَ في نفسه، أو اختال في مِشيَتِه، لقي الله عزّ وجل وهو عليه غضبان»**.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٩)، وأحمد (١١٨/٢)، والحاكم (٦٠/١) وسنده صحيح على شرط البخاري، وأورده المنذري في الترغيب، وعزاه لكبير الطبراني وقال: رواته محتج بهم في الصحيح.

وقوله: «تعظم» بفتحات مع تشديد الظاء، أي: تكبّر ورأى نفسه عظيماً فوق الناس. وقوله: «اختال في مشيته» أي: مشى مشية المتكبرين، فالاختيال والخيلاء: الكبر والإعجاب بالنفس.

وفي الحديث زجر بالغ لأولئك المتعاظمين المتكبرين الذين يتعاظمون في أنفسهم ويحتقرون غيرهم وأنهم إن ماتوا بدون توبة من ذلك لقوا الله وهو غاضب عليهم وكفاهم بذلك خسارة.

❊ ❊ ❊

## ❊ مَن برىء من الكِبْر

[٤٠٠] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما استكبر من أكل معه خادمه، وركب الحمار بالأسواق، واعتقل الشاةَ فحلبها»**.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٥٠) بسند حسن صحيح.

هذه الخصال لا يتصف بها ويزاولها إلا الطبقة الفقيرة أو القريبة منها، فمَن اتصف بها كان بريئاً من الكبر وذلك أنه لا يتصور من المتكبر الأناني أن يجالس خادمه حتى يأكل معه، ومن المستحيل عادة أن يركب الحمار أو أي مركوب عصري سافل كالدراجة مثلاً أو سيارة قديمة أو رخيصة أو كانت من نوع لا يقتنيه إلا عامة الناس، وهكذا الحال في حلب الشاة، فالمتكبر يستنكف من تعاون أهل الدار ومن يتبعهم من الخدم والرعاء.

❊ ❊ ❊



## ❊ ثلاث لا تُرَد

[٤٠١] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثٌ لا تُرد: الوسائد، والدُّهن، واللَّبَن»**.

رواه الترمذي في الاستئذان رقم (٢٦٠١)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٩٩/١)، والطبراني في الكبير، وسنده حسن.

فيه أن هذه الثلاث إذا عرضت على الإنسان لا يردها وهي: الوسائد، والدهن وهو الطيب واللبن وهو الحليب.

[٤٠٢] وقد جاء في صحيح البخاري وغيره عن أنس قال: إن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب.

[٤٠٣] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن عُرِض عليه طيبٌ فلا يَرُدَّه فإنه خفيف المحمل طيب الرائحة»**.

رواه مسلم في الأدب (٩/١٤)، وأحمد (٣٢٠/٢)، والنسائي في الكبرى (٤٢٨/٥) إلا أن مسلماً قال: **«ريحان»** بدل **«طيب»**.

والريحان في اللغة كل نبت مشموم طيب الريح، والطيب كل ما له ريح طيبة من أنواع العطورات.

وفي هذا الحديث كسابقَيْه استحباب قبول الطيب وعدم رده لأنه لا كلفة فيه ولا منّة، وهو مع ذلك طيب الرائحة محبوبٌ للنفوس، ولذلك جاء الإسلام بسنيّة استعماله في المجامع العامة كالجُمَع والأعياد والحج... وكان النبي ﷺ يحبه ويُكثر من استعماله.

❊ ❊ ❊

## ❊ من خصال الخير

[٤٠٤] عن ابن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

**«أربع إذا كُنّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صِدْقُ الحديث، وحِفْظُ الأمانة، وحُسْنُ الخُلُقِ، وعِفَّةُ مَطْعَمٍ».**

رواه أحمد (١٧٧/٢)، والحاكم (٤/٤/٤)، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (٣٢١/٤) وسنده صحيح، وابن لهيعة روى عنه هنا عبدالله بن وهب وحديثه عنه صحيح كباقي العبادلة.

وفي الحديث الترغيب في التخلُّق بهذه الأخلاق المذكورة إذ هي من المكارم وأخلاق الإسلام العامة.

وإلى هنا انتهى بنا الكلام على الآداب والأخلاق وقد تقدم الكثير منها في غضون الكتاب ضمن كتبٍ وأبواب سابقة، وستأتي أخلاق أخرى في الزهد والرقائق إن شاء الله تعالى.

والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وذريته وزوجاته وأصحابه أبد الآبدين.

في هذه الكتب الثلاثة: الآداب، والأخلاق، والبر والصلة، من الأحاديث الصحيحة الزائدة على الصحيحين نحوٌ من مائة وستين حديثاً.

**ويليه كتاب الزهد والرقائق**

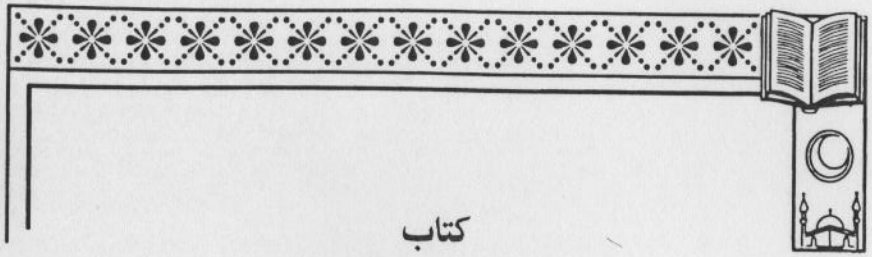

# كتاب
# الزهد والرقائق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ،

**وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه**

الحمد للّه ذي العزة والجبروت، والملك والملكوت، خالق الخلائق ومقدّر آجالهم وأرزاقهم، المحيي المميت، الواحد في الذات والأفعال والصفات، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، أول بلا بداية، وآخِر بلا نهاية، هو الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون، كل شيء هالك إلا وجهه.

وصلّ اللهم وسلّم وبارك على أفضل خلقك، وأكرم رسلك، سيدنا محمد القائل: **«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»** وعلى آله الطيبين الطاهرين، وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى صحابته وخاصة المهاجرين منهم والأنصار والأكرمين ومن تبعهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

وبعد، فهذا هو قسم الزهد والرقائق جعلناه من خواتم الكتاب اقتداءً بأئمتنا الذين حفظوا لنا السنّة المطهرة وجمعوها لنا في دواوين مرتّبة على الكتب والأبواب، فإنهم غالباً ما يذكرون الزهد والرقائق أواخر كتبهم مقرونتين بالفتن وأشراط الساعة كما فعل مسلم في صحيحه، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي في سننهم، ليكون ذلك تفاؤلاً بحُسن خاتمة العمر والرجوع إلى الله تعالى والتأهُّب للقاء الله عزّ وجل، ختم الله لنا بالسعادة

والشهادة، آمين.

❊ ❊ ❊

## ❊ ما هو الزهد

اتفقت كلمة أهل اللغة العربية على أن الزهد هو الإعراض عن الشيء وتركه.

وهو في الإسلام ترك الدنيا والإعراض عن زينتها وزخارفها والاشتغال بالله تعالى وما يقرب إليه من خير وعمل.

وإذا رجعنا إلى سيرة نبينا ﷺ وشمائله وسيرة أصحابه وجدناهم على ما ذكرنا من الإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما أقبل عليه مَن جاء بعدهم من لذة، ومال، وجاه... وكان هذا عاماً في الصحابة والسلف الصالح.

غير أن ذلك لا يعني ترك الدنيا مطلقاً، بل لا بد من تعاطي أسباب العيش وتعمير الأرض واستثمارها مع عدم الإخلاد إلى الدنيا والرضاء بها والاطمئنان إليها، بل الهدف والمقصود هو التعلُّق بالله عزّ وجل وعبادته وإخراج من القلب ما سواه من الكائنات.

ولذلك قال بعض الأكابر: اجعل الدنيا في يدك، ولا تجعلها في قلبك فإنها لا تضرك.

وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال لعمرو بن العاص: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**».

بمعنى أنه يأخذه من حقه وينفقه فيما جُعل له ولا يُعلّق قلبَه به ولا يُمسِكُه.

وهذه كانت طريقة السلف رضي الله تعالى عنهم. وسيمر بك ما يؤيد هذا من السنة المطهرة وعمل الصحابة...



أما علماؤنا الربانيون رضي الله تعالى عنهم، فقد تكلموا في الزهد ومعناه ومراتبه وذكروا فيه أقوالاً وأفاضوا في ذلك بما لا مزيد عليه، وأشهر من تكلم على ذلك وأفاض أبو حامد الغزالي، وابن الجوزي، وابن قدامة، والإمام القشيري، والسهروردي، وابن القيم رحمهم الله تعالى.

وجعلوا للزهد مراتب، فيه ما هو واجب كالزهد في المحرمات وبعض الشبهات، وما هو مستحب كالزهد فيما زاد على الضروريات من مشتهيات الحياة وفضولها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومركب... والله المستعان على ذلك فإننا ضعفاء.

❊ ❊ ❊

## ❊ ما هي الرقائق

الرقائق ويقال: رقاق جمع رقيقة وهي كل ما يُحدث في القلب رقة من خشية ووجل وخوف من عذاب الله وسخطه وغضبه، ورجاء رحمته وفضله وإحسانه... وما يحمل على الرجوع إلى الله والتوبة إليه والزهد في الدنيا والعمل للآخرة وما يؤول إلى ذلك.

فمَن قرأ الرقائق ونظر فيها رقّ قلبه ودمعت عيناه، ومَن أعرض عنها وغفل عن النظر فيها أو سماعها قسا قلبه وغلظ واشتد وغطاه الران، فبعُد عن الله عزّ وجل ومات خاسراً عائذاً بالله تعالى.

❊ ❊ ❊

## ❊ لا عيش في الحقيقة إلا عيش الآخرة

[١] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيدٌ يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النَّصَب والجوع قال: «**اللهم إن العيش**

عيشُ الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة»، فقالوا مجيبين: نحن اللذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً.

وفي رواية: «**اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة**»، وفي رواية: «**فأصلِح الأنصار**»، وفي أخرى: «**فأكرِم**»... إلخ.

رواه أحمد (٢٧٦/٢٧٢/٣)، والبخاري في المناقب (١١٩/٨)، وفي المغازي (٣٩٨/٨)، وفي الرقاق (١٤/٥)، ومسلم في الجهاد (١٧٣/١٧٢/١٢) وغيرهم، وجاء أيضاً من حديث سهل بن سعد بنحو ذلك، فقوله ﷺ: «**لا عيش إلا عيش الآخرة**» تزهيد منه في هذه الحياة وترغيب لهم في العمل للآخرة، وأن الحياة الحقيقية التي لا حياة فوقها ولا نهاية لها هي حياة الدار الآخرة وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

أي: لهي الحياة الحقيقية التي لا موت فيها ولا تنغيص، أما الدنيا فقال فيها أول الآية: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ أي: ما هي إلا غرور ينقضي سريعاً ويزول كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون.

وقال تعالى: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، وقال: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾، وقال لنبيه ﷺ محذراً له من فتنة الحياة وزخارفها: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾.

ومعنى الآية الكريمة: لا تنظر يا نبيي إلى ما متّعنا به أصنافاً من الكفار من نعيم الدنيا وبهرجها الخادع وزينتها لنبتليهم في ذلك.

فمن القطعيات البديهية التي لا يجادل فيها من في قلبه نور الإيمان، أن الحياة إنما هي حياة الآخرة وأن الدنيا ما هي إلا كما قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، وقال عز وجل: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾، وقال: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

فالعاقل هو الذي يؤثر حياة الآخرة وطيبها على الحياة الدنيا ورغد



عيشها، لكن الإنسان يفتتن بزهرتها ونضارتها فيركن إليها ويذهل عن الآخرة لما طبع عليه من حب الشهوات كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى ردع عباده عن الاسترسال في شهوات هذه الحياة وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم فأكثر من ذم الدنيا وعيبها وشرح حالها وسرعة زوالها والمقارنة بينها وبين الآخرة.

❋ ❋ ❋

## ❋ المحافظة على الوقت واغتنام العمر

**[٢]** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**نِعْمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ**».

رواه أحمد (٢٨٥/٣٤٤/١)، والبخاري في الرقاق (٤/٣/١٤)، والترمذي (٢١٢٦)، وابن ماجه (٤١٧٠) كلاهما في الزهد.

«مغبون»: الغبن بفتح الغين وسكون الباء، المخادعة في البيع ونقص ثمن السلعة.

فالصحة والفراغ نعمتان عظيمتان من الله عزّ وجل سيُسأل عنهما العبد يوم القيامة مع سائر النِعَم الأخرى التي تتوارد عليه طول حياته، فإن قام بحق الله فيهما وشكره عليهما ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله والطاعة والاستقامة كان من الفائزين السعداء، وإن قصر في ذلك ولم يقم بحق الله فيها كان خاسراً مغبوناً ومخدوعاً في تجارته. وما أكثر هذا الصنف من البشر فإن أغلبهم لا ينتفعون بصحتهم وفراغهم فهم مغبونون خاسرون وسيأتون كذلك يوم التغابن.

**[٣]** وعن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكِبَيّ فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»،

وفي رواية: «**وعد نفسك من أهل القبور**» وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك.

رواه أحمد (٢/٢٤/٤١)، والبخاري في الرقاق (١٤/٨/٩)، والترمذي (٢١٥٣) وابن ماجه (٤١٤٤) كلاهما في الزهد، والرواية الثانية وهي: «**وعد نفسك من أهل القبور**» لم يروها البخاري.

فهذه وصية من النبي ﷺ لابن عمر ثم لسائر مسلمي الأمة حيث أوصاه بالإعراض عن الحياة والإقبال على ما يهمه من أمور الآخرة، وأن لا يركن إلى زخارف الدنيا ونضارتها وبهجتها، وأن يكون في حالته كالغريب المستوحش من الناس الذي لا يكاد يستأنس بأحد، أو كعابر سبيل يريد بلداً شاسعاً فهو لا يقيم بمكان، ولا يحمل معه من الزاد سوى ما يحتاجه في عبوره.

وقد علّق النووي رحمه الله تعالى على هذا الحديث بكلام موجز جامع فقال: لا تركن إلى الدنيا، ولا تتخذها وطناً، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها والتعلّق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى نقلاً عن ابن بطال رحمه الله تعالى: وفي ذلك إشارة إلى إيثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره، فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل.

ومعنى كلام ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: اقصر أملك عن طول الحياة، فإذا جاءك الليل فاجتهد فيه واعمل عمل من لا يرجو البقاء إلى الصباح، وإذا أقبل الصباح فكن في يومك كأنك ستموت قبل أن تمسي، وانتهز الفُرَص، واعمل لآخرتك في جميع أحوال حياتك. وكلامه هذا مقتضب من الحديث التالي وهو:

**[٤]** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «**اغتنِم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل**



**سُقْمِك، وفراغك قبل شُغْلك، وشبابك قبل هرمك، وغِناك قبل فقرك**».

رواه الحاكم (٤/٣٠٦) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

ورواه أحمد وابن المبارك كلاهما في الزهد، والخطيب في اقتضاء العلم العمل (١٧٠) عن عمرو بن ميمون مرسلاً وسنده حسن لوجود جعفر بن برقان، وهو صدوق يهم كما في التقريب للحافظ.

قوله: «وهو يعظه» أي: يذكره بما يرقق قلبه.

فهذه إرشادات نبوية ذكّرنا بها النبي ﷺ بواسطة ذلك الرجل فأمرنا أن نجتهد ونجعل اكتساب الأعمال الصالحة في هذه الحياة غنيمة ندخرها لآخرتنا، وذلك بمراعاة مجموعة من النِعَم الإمدادية التي تتوارد على الإنسان، وتتعاقب عليه ما دام في هذه الحياة، لا تنفك عنه بحال، وهي: الحياة، والصحة، والفراغ، والشباب، والغنى، ويقابلها أضدادها الخمس وهي من طوارىء الحياة وبلاياها اللازمة للإنسان، وهي: الموت، والسقم، والشغل، والهرم، فالعاقل الكيِّسُ هو الذي يغتنم التقرُّب إلى الله بأنواع الخير والبر في الخمس الأولى قبل فواتها وهجوم الخمس الثانية عليه، فإنها إذا نزلت به لا يستطيع معها أي عمل ينفعه في آخرته... لكن الإنسان لا يعرف مزايا هذه النِعَم الخمس وخيرها وفضلها حتى يفقدها وتحل محلها أضدادها.

وقد كان المسلمون الأولون على جانب عظيم من المحافظة على أوقاتهم والضن بها. ومن رجع إلى تراجم أعلام الأمة وعلمائها وعبادها رأى من ذلك العجب، وفي هذا ورد عنهم حِكَم وأقوال كقول الإمام علي عليه السلام: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل».

ذكره البخاري في الرقاق (١٤/١٠/١١) معلّقاً بصيغة الجزم وهو قطعة من حديث جاء عنه مرفوعاً وموقوفاً رواه ابن أبي الدنيا في الزهد، وأبو نعيم في الحلية.

وكتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهما: يا أخي اغتنم صحتك وفراغك من قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا يستطيع أحد من الناس رده عليك.

ذكره الخطيب بسنده في «اقتضاء العلم العمل».

وذلك لأن كل يوم يمضي، وكل ساعة تنقضي، وكل لحظة تمر ليس في مقدور أحد استعادتها والعمل فيها بحال، فأحرى أن تصرف ما ينزل بك من البلاء...

وجاء عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال: **ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي مناد يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزوّد مني، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة.** وقال: **أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم.**

وكان السلف يقولون: من علامة المقت إضاعة الوقت. ويقولون: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك. وقال بعضهم: مَن كان يومه كأمسه فهو مغبون، ومَن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون.

وقال أحمد بن أيوب أحد شيوخ البخاري رحمهما الله تعالى:

اغتنِمْ في الفراغِ فضلَ ركوعٍ ... فعسى أنْ يكونَ موتُكَ بَغْتَهْ
كمْ صحيحٍ رأيتَ من غيرِ سُقْمٍ ... ذَهَبَتْ نفسُه الصحيحة فَلْتَهْ

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ورضي عنه:

إنّ لِلّهِ عباداً فُطَنَا ... طَلَّقوا الدنيا وخافوا الفِتَنَا
نظروا فيها فلمّا عَلِمُوا ... أنّها ليست لِحَيٍّ وطَنَا
جعلوها لُجَّةً واتخذوا ... صالحَ الأعمال فيها سُفُنَا

وكلامهم في هذا كثير جداً، والمقصود أن الخاسر المغبون في آخرته هو الذي له فضل فراغ وصحة جسم وما يكفيه من قوت ولم يداهمه هرمٌ ولا خرفٌ، ثم لا يقدم لنفسه ما ينفعُه في آخرته بل يقتل وقته الغالي في



السفاسف والفضول، ويضيع حياته الذهبية في اللغو واللهو وقيل وقال، وقد أجاد العارف ابن عطاء الله رحمه الله تعالى ورضي عنه في حكمه حيث قال: «الخِذلانُ كُلُّ الخِذلانِ أن تتفرَّغَ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه» يعني الله تعالى، فحياتك أيها الإنسان نعمة من الله تعالى عليك وتسخير منه لك كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

* * *

## نعمة طول العمر

[٥] عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: **«مَن طال عمره وحسُن عمله»**، قال: أي الناس شر؟ قال: **«مَن طال عمره وساء عمله»**.

رواه أحمد (٥/٤٣/٤٤)، والترمذي (٢١٥٠) بتهذيبي، والدارمي (٢٧٤٥/٢٧٤٦)، والحاكم (١/٣٣٩) وغيرهم، وحسّنه الترمذي وصححه وابن جدعان. روى عنه شعبة قبل الاختلاط ويؤيده حديث عبدالله بن بسر عند أحمد (٤/١٨٨/١٩٠)، والترمذي (٢١٤٩) بسند حسن بالشطر الأول.

فطول العمر من نِعَم الله العظيمة على العبد، إذ بطول العمر يزداد أجراً بازدياد الطاعات... فيكون خير الناس من طال عمره وحسن عمله فيصبح من الأكياس الأبرار، فإذا عكس فأفنى عمره في الآثام والشهوات... كان من المفلسين الأشرار، وعليه فلا معنى لاستعجال الموت وطلبه بسبب ما يطرأ على الإنسان من مصائب الحياة وبلايا الدنيا، ولذلك نهى النبي ﷺ عن تمنّي الموت.

[٦] فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله يزداد، وإما مُسيئاً فلعله يَسْتَعْتِب»**.

رواه أحمد (٢/٢٦٣/٣٠٩)، والبخاري في الطب والمرض (١٢/٢٣٤/٢٣٥)، وفي التمنّي (٣٤٩/٣٥٠).

«يستعتب» أي: يطلب من الله رفع العتاب وذلك يكون بالتوبة.

وفي رواية: **«لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً»**.

رواه أحمد (٢/٣١٦/٣٥٠)، ومسلم.

**[٧]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدكم الموت لِضُرٍّ نزل به، فإن كان لا بد متمنّياً فليقل: اللهم أحْيِني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي»**.

رواه أحمد (٣/٢٤٧)، والبخاري في الطب والمرض (١٢/٢٣٢)، وفي الدعوات (١٣/٤٠١)، ومسلم في الذكر والدعاء (١٧/٧/٨)، وأبو داود (٣١٠٨/٣١٠٩) والترمذي (٨٦٥) والنسائي (٤/٣) في الجنائز.

فحياة المسلم لها خير كبير، فمَن وُفّق لطاعة الله وصالح الأعمال كانت حياته زاخرة بالقربات وأجورها وخاصة الأعمال العظيمة في الإسلام التي لها أهمية عظمى كالصلاة مثلاً، والصيام، والصدقة، والحج والعمرة، والجهاد في سبيل الله، وبِر الوالدين، وتلاوة القرآن، وذكر الله عزّ وجل المتوالي ليل نهار، والصلاة على النبي ﷺ التي لا يخلو منها وقت، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله بجميع وسائلها، وتعليم المسلمين ما يهمهم من العلوم الدينية النافعة ابتغاء مرضاة الله عزّ وجل، وتحفيظ القرآن الأطفال، والسعي في مصالح المسلمين وقضاء حوائجهم، والتفريج عن المكروبين، ونصر المظلومين، وإدخال السرور على المحزونين، إلى غير ذلك من الأعمال العظيمة التي يتعاطاها المؤمن في حياته، بل مجرد الحياة مع الإيمان وحده لا يعد لها شيء إذ هو أفضل الأعمال فكيف إذا أضيف إليه غيره من أنواع القربات، فحياة المؤمن والحمد لله كلها خير. ولذا جاء في حديث: **«ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يُعَمَّر في الإسلام لتسبيحه وتهليله»**.



رواه أحمد (١/١٦٣) عن عبدالله بن شداد مرسلاً بسند صحيح.

فكيف مع هذا الخير العظيم يتمنى المسلم الموت ويستعجله، نعم، له أن يدعو به مع التفويض كما في حديث أنس: **«وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي»**، وكما جاء في حديث: **«وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»**.

رواه أحمد والترمذي والحاكم بسند صحيح وتقدم في تفسير سورة ص مطولاً.

قال النووي على حديث أنس: فيه التصريح بكراهة تمنّي الموت لضر نزل به من مرض، أو فاقة، أو محنة من عدو، أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما إذا خاف ضرراً في دينه أو فتنة فيه فلا كراهة فيه لمفهوم هذا الحديث وغيره، وقد فعل هذا الثاني خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم، قال: وفيه أنه إن خالف ولم يصبر على حاله في بلواه بالمرض ونحوه فليقل: اللهم أحيِني إن كانت الحياة خيراً لي... إلخ، والأفضل الصبر والسكون للقضاء.

شرح مسلم (١٧/٧/٨).

* * *

## ❊ الإنسان والأمل وحب الحياة

**[٨]** عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خطّ النبي ﷺ خطوطاً فقال: **«هذا الأمل وهذا أجله فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب»**، وفي رواية: **«هذا ابن آدم وهذا أجله»** فوضع يده عند قفاه ثم بسطها، فقال: **«وثَمَّ أجلُه وثَمَّ أجلُه»**.

رواه البخاري في الرقاق (١٤/١٣) باللفظ الأول، أما الرواية الثانية فأخرجها أحمد (٣/٢٥٧)، والترمذي (٢١٥٤)، وابن ماجه (٤٢٣٢) كلاهما في الزهد، وابن حبان (٢٥٥٤) بالموارد وسنده صحيح، وحسّنه الترمذي وصححه.

[٩] وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: خطّ النبي ﷺ خطًا مُربّعاً، وخطّ خطًا في الوسط خارجاً، وخطّ خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط فقال: **«هذا الإنسانُ، وهذا أجلُه محيط به ـ أو قد أحاط به ـ وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطوط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»**.

رواه البخاري في الرقاق (١٤/١١/١٢)، والترمذي في القيامة (٢٢٧٥) بتهذيبي، وابن ماجه في الزهد (٤٢٣١).

قوله: «الأعراض» يعني هنا كل ما يعرض للإنسان من حوادث وأمراض تنهشه. وقوله: «نَهَشه» أي: أصابه، وأصل النهش لدغ كل ذي سم، وعبّر بذلك مبالغة في الإهلاك.

ومعنى هذا الحديث وسابقه أن أجل الإنسان أقرب إليه من الآمال التي يتمناها ويدبّر أمرها ليل نهار رغم ما يطرأ عليه من الآفات وينهشه من الأعراض وبرسم هذا المثال المذكور يتضح معنى الحديث وما قبله جلياً وهو:

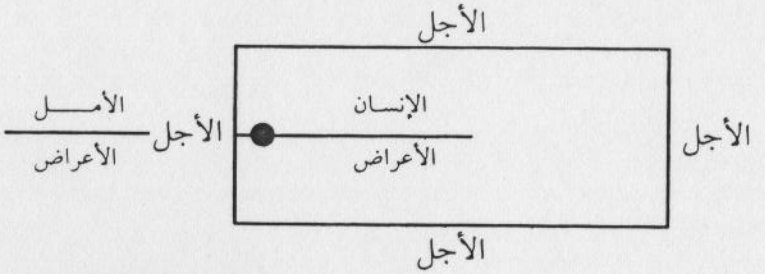


فقوله في الحديث: «هذا الإنسان» يشير إلى النقطة الداخلة عند الخط الداخلي. وبقوله: «وهذا أجلُه محيطٌ به» يشير إلى الخط المربّع المستوي الزوايا. وبقوله: «وهذا الذي هو خارج أملُه» يشير إلى الخط الخارجي عن المربع. وبقوله: «وهذه الخطوط الصغار» يشير بها إلى ما خطّ تحت الخط الطويل الداخلي والخارجي.

فهذا مثل ضربه النبي ﷺ للإنسان وأجله وأمله والآفات والأعراض



الطارئة عليه في حياته، فإنه إن سلم من هذا لم يسلم من ذاك، وإن سلم من الجميع ولم تصبه آفة من مرض، أو فقد مال أو أهل أو أي بلية... بغتَه أجله أو وقع في الهرم ثم وافاه الموت.

[١٠] كما قال ﷺ: **«مُثّلَ ابنُ آدم وإلى جنبه تسعةٌ وتسعون مَنِيّة، إن أخطأته المنايا وقع في الهَرَم حتى يموت»**.

رواه الترمذي في القدر (١٩٨٢)، وفي أبواب القيامة والزهد (٢٢٧٧) وحسّنه هنا وصحّحه.

قوله: «منية» بفتح الميم وكسر النون ثم ياء مشددة مفتوحة هي البلية المهلكة، وبذلك سمي الموت. وقوله «إن أخطأته المنايا» أي: جاوزته أسباب الموت من مرض، وجوع، وغرق، وحرق، وحرب... ولم يُصَب بإحدى ذلك وقع في الكِبَر والشيخوخة والهرم حتى يوافيه أجله المحتوم.

فالإنسان في هذه الحياة لا يخلو من البلايا والمهالك وأسباب الموت وهي المعبَّر عنها بالمنايا، فإن نجا منها في حياته الطويلة وذلك نادر وقع في الداء الذي لا دواء له وهو نهاية الكبر من الهرم والخَرف والضعف، ثم يأتي بعده الموت وهو الداء الذي أعيا الإنسان من يوم خلقه الله تعالى.

[١١] كما قال ﷺ: **«تداووا عباد الله، فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواءً غيرَ داءٍ واحد، إلا الموت والهرم»**.

رواه أحمد (٣٧٨/٤)، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (١٨٨١)، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه (٣٤٣٦) وحسّنه الترمذي وصححه، وهو عند بعضهم بالاقتصار على الهرم وهو من حديث أسامة بن شريك.

والمقصود أن المثالين السابقين فيهما إرشاد إلى قصر الأمل، وهو أن يكون المسلم دائم النظر إلى قرب أجله، وأن لا يكون حريصاً على طول الحياة والبقاء فيها والشغف بالأماني الباطلة وكثرة التدبير فيما لا يكون غالباً، فإن ذلك من موجبات الغفلة وأسباب الحسرات، وليحذر أن يكون

ممن يشملهم قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾.

ومع كون طول الأمل مذموماً شرعاً فالإنسان من طبيعته كلما تقدم به السّن ازداد أملاً وحباً للمال وحرصاً على الحياة إلا مَن شاء الله، وهذا ما جاء في الحديث التالي:

**[١٢]** فعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَهرم ابنُ آدم ويشِبُّ معه اثنان: الحرص على العمر، والحرص على المال**»، وفي رواية: «**يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان: حب المال وطول العمر**».

رواه أحمد (٣/١٩٢/٢٥٦/٢٧٥)، والبخاري في الرقاق (١٤/١٥/١٦)، ومسلم في الزكاة (٧/١٣٨)، والترمذي في الزهد (٢١٥٩)، وفي صفة جهنم (٢٢٧٦)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٣٤).

**[١٣]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى أن رسول الله ﷺ قال: «**قلب الشيخ شابٌّ على حب اثنتين: طول الحياة، وحب المال**».

وفي رواية: «**لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل**».

رواه البخاري في الرقاق باللفظ الثاني (١٤/١٥)، ومسلم في الزكاة (٧/١٣٨)، والترمذي (٢١٥٨) في الزهد بالرواية الأولى، ورواه ابن ماجه في الزهد أيضاً (٤٢٣٣)، والحاكم (٤/٣٢٨) وجعله البوصيري من الزوائد، والحاكم من المستدركات وليس كذلك.

قوله: «يَهرمُ» أي: يكبر ويضعف كما في الرواية الثانية. وقوله: «ويشب» بفتح الياء وكسر الشين، أي: يقوى ويعظم. وقوله: «شابٌّ» على صيغة اسم الفاعل أي: قويٌّ نَشِط. و«الحرص» بكسر الحاء وسكون الراء: الرغبة في الشيء مع محبته.

فابن آدم مفطور ومجبول على حب طول العمر والبقاء مع حب المال والرغبة فيه حتى إنه لشدة حرصه على المال والحياة لا يزيده تقدم السن



وكثرة المال إلا طمعاً في زيادة أكثر، ويود لو يعمر ألوفاً من السنين، وأن تكون له أودية من الذهب...

وهذا الحرص على طول العمر... مذموم إذا كان بقصد قضاء الشهوات والاسترسال في اتباع الملذات المحرمات، أما إذا كان بقصد الزيادة في البر والخير والرجوع إلى الله تعالى فلا يذم، وكذا إذا كان من العالم المتعدي نفعه فقد قال ابن الجوزي: الأمل مذموم للناس إلا للعلماء، فلولا أملهم لما صنفوا ولا ألّفوا.

**[١٤]** وعن ابن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: مرّ عليّ رسول الله ﷺ ونحن نعالج خُصّاً لنا، فقال: «**ما هذا؟**» فقلنا: وَهَى فنحن نصْلِحُه، فقال: «**ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك**».

وفي رواية: مرّ بي رسول الله ﷺ وأنا أُطَيِّنُ حائطاً لي أنا وأمي فقال: «**ما هذا يا عبدالله؟**» فقلت: يا رسول الله شيء أُصْلِحُه، فقال: «**الأمر أسرع من ذلك**».

رواه أحمد (٢/١٦١)، وأبو داود (٥٢٣٥/٥٢٣٦) في الأدب، والترمذي (٢١٥٥)، وابن ماجه (٤١٦٠) كلاهما في الزهد، وابن حبان بالموارد (٢٥٥٥/٢٥٥٦)، والروايتان لأبي داود، وحسّنه الترمذي وصححه.

قوله: «نعالج» أي: نزاول. وقوله «خصًا لنا» هو بضم الخاء: البيت من قصب. وقوله: «وهى» بفتح الهاء وكسرها، أي: بلي وضعف أو تخرّق. وقوله: «الأمر أسرع أو أعجل من ذلك» ومعناه: ما أظن نزول الموت بكم إلا أسرع من خراب هذا البيت فكيف تعمل في إصلاحه وقد يفاجئك الأجل قبل ذلك فلأن تسعى في إصلاح عملك أوْلى وأجدر من إصلاح بيتك. ففيه الحض على قصر الأمل، والتزهيد في طول البقاء، وهذا لا يعني ترك تعاطي أسباب الحياة من مسكن ومأكل ومشرب وملبس، بل ذلك منه ﷺ تذكير فقط، وإيقاظ الغافلين.

* * *

## ❊ لا عذر لأبناء الستين فما فوق

[١٥] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: **«أعْذَرَ اللّهُ إلى امرىء أخّر أجله حتى بلغ ستين سنة»**، وفي رواية: **«لقد أعذر الله إلى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه»**.

رواه أحمد (٢/٢٧٥/٣٢٠/٤١٧)، والبخاري في الرقاق (١٤/١٤).

«أعذر الله»: الإعذار إزالة العذر، والمعنى أنه لم يبقَ له اعتذار كأن يقول: لو مدّ لي في الأجل لفعلت ما أمرت به، يقال: أعذر إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكّنه منه، وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية. أفاده الحافظ في الفتح. وقوله: «أخّر أجله» أي: أطاله.

فمَن بلغ إلى هذا السن من العمر وهي الستون سنة لم يترك الله تعالى للعبد سبباً في الاعتذار، لأن هذا السن هو معترك المنايا غالباً وسن الإنابة والرجوع إلى الله عزّ وجل وترقُّب الموت، فلا ينبغي له حينئذ إلا التوجه إلى الله بكليته والإقبال عليه والمبادرة إلى كل ما يقرب إليه والإكثار من تلاوة القرآن الكريم والاستغفار وذكر الله ودعائه والصلاة على حبيبه ﷺ.

فما بقي له بعد هذا السن إلا انتظار الموت ولقاء الله عزّ وجل كما دلّ عليه الحديث التالي:

❊ ❊ ❊

## ❊ أعمار هذه الأمة ما بين الستين والسبعين

[١٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك»**.

رواه الترمذي في الزهد (٢١٥١)، وفي الدعوات (٣٣١٧)، وابن ماجه في الزهد أيضاً (٤٢٣٦) وسنده صحيح وله شاهد عن أنس.



رواه أبو يعلى بسند صحيح.

الحديث يفيد أن أعمار هذه الأمة تنقضي في هذا العقد وهو ما بين الستين والسبعين، وهذا من باب الغالب فإنه هناك من يعمر فيجاوز الثمانين والتسعين إلى المائة فما وراءها لكن ذلك قلة. متّعنا الله بحياتنا في طاعته، آمين.

فالمسلم الذي متّعه الله تعالى بمجاوزة الستين والسبعين ينبغي له أن يزداد تيقُّظاً واستعداداً للموت.

وقد ذكر غير واحد من المؤرخين أنه كان ببغداد عالِم يدرس اثنتي عشرة مادة من مختلف الفنون العلمية، فخرج يوماً لشأن له فسمع شاعراً ماجناً يقول:

إذَا العِشرونَ من شعبان ولّتْ ... فواصِلْ شُرْبَ ليلِكَ بالنهارِ
ولا تشرَبْ بأقداحٍ صغارٍ ... فقدْ ضاقَ الزّمانُ عن الصغارِ

فخرج هائماً على وجهه إلى مكة المكرمة، فلم يزل بها يتعبّد الله تعالى حتى وافاه أجله. لقد أيقظه ذلك الماجن الذي ضاق وقته عن الشرب من صغار الأواني بقدوم رمضان.

فهكذا من تقدم سنُّه وأشرف على الرحيل لم يبقَ له وقت يدرس فيه العلوم الإضافية أو يكتب فيها وما أكثرها، بل ينبغي له أن يشتغل بما هو أهم من ذلك ويجاهد نفسه في الإخلاص للّه عزّ وجل فإن أكثر المشتغلين بالعلم لا إخلاص عندهم.

❊ ❊ ❊

## ❊ الدنيا سجن المؤمن

[١٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر»**.

رواه أحمد (٢/٣٢٣/٣٨٩/٤٨٥)، ومسلم (١٨/٩٣)، والترمذي (٢١٤٤)، وابن ماجه (٤١١٣)، كلهم في الزهد، وابن حبان بالموارد (٢٤٨٨).

قوله: «الدنيا» مأخوذ من الدنو وهو القرب لقربها من الآخرة، أو من الدناءة والخِسّة وسقوط القيمة لما يحدث فيها من الشرك والكفر بالله والفسوق والفجور، فكانت لذلك دنيئة.

وكانت الدنيا سجن المؤمن لأن المسجون يكون فاقد الحرية، والمؤمن في الدنيا مأمور بالتكاليف والأوامر والنواهي الشرعية، فهي تحد من حريته الطبيعية، فحيثما اتجه وجد القيود التي تمنعه من تعاطي ما تشتهيه نفسه من المحرمات أو ترك الواجبات، فحياته منظّمة محدودة مع رقابة عليه، فكان بهذا الاعتبار كالمسجون وسط هذه الدائرة، وهذا بخلاف الكافر، فحبله على غاربه يرتع في الملذات والشهوات دون قيد ولا حدود، يفعل ما يريد ويترك ما يشاء فيوشك أن يصير إلى سجن القبر، فسجن البرزخ فسجن الجحيم حيث تتضاءل دونه كل السجون.

أما المؤمن فسوف يطلق سراحه ويستريح من هَم الدنيا وبلاياها، ويُكافأ على ما كان فيه من سجن بفضاء فسيح ونعيم وسعادة.

❊ ❊ ❊

## ❊ طرق الجنة والنار

[١٨] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«حُفَّت الجنةُ بالمكاره، وحُفَّت النارُ بالشهوات»**، وفي رواية **«حُجِبَت»**.

رواه أحمد (٢/٣٨٠)، والبخاري في الرقاق (١٤/١٠٢)، ومسلم في أول كتاب الجنة (١٧/١٦٥)، والترمذي في الزهد (٢٣٧٦)، والدارمي في الرقاق (٢٨٤٦).

قوله: «حُفَّت» هو معنى حُجِبَتْ، أي: أُحيطت.



يعني أن كلاً من الجنة والنار محاط ومحفوف بما يناسبه، فالجنة محاطة بالتكاليف والمشاق التي تكرهها النفس فلا يوصل إليها إلا باقتحام المكاره بالمحافظة على العبادات والمواظبة عليها والوقوف مع ما شرعه الله تعالى مع الصبر على مشاق ذلك، وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة، والإحسان إلى المسيء والصبر عن الشهوات التي حرّمها الله عزّ وجل وعلى المصائب والبلايا والتسليم لأوامر الله تعالى ونحو ذلك.

وهكذا النار محجوبة ومحفوفة بالشهوات التي حرّم الله مقارفتها وذلك كالقتل مثلاً والزنا، وشرب الخمر، والكذب، والخيانة، والدياثة، والظلم، والربا، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، والغيبة، والنميمة، والمكس، والنظر إلى المحرمات... ونحو ذلك من الشهوات المحظورة.

ولهذا الحديث سبب يتضح بالحديث التالي:

[١٩] فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل عليه السلام إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، فجاء فنظر إليها وإلى ما أعدّ الله لأهلها فيها، فرجع إليه فقال: وعِزّتك لا يسمعُ بها أحدٌ إلا دخلها، فأمر بها فحُجِبَتْ بالمكاره، قال: ارجع إليها فانظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فرجع إليها وإذا هي قد حُجبتْ بالمكاره فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحدٌ، قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه فقال: فوَعزتك لقد خشيت أن لا يسمع بها أحدٌ فيدخلها، فأمر بها فحُفّت بالشهوات فقال: ارجع إليها، فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحدٌ إلا دخلها»**.

رواه أحمد (٢/٣٣٢/٣٣٣)، وأبو داود في كتاب السنة (٤٧٤٤)، والنسائي في الأيمان والنذور (٧/٣/٤)، والترمذي في أبواب صفة الجنة (٢٣٧٧)، والحاكم (١/٣٧)، وحسّنه الترمذي وصححه.

قوله: «يَركبُ بعضُها» أي: يعلو بعضها بعضاً لشدة اندلاعها واشتعالها.

فالنجاة النجاة عباد الله فعلينا بالوقوف عند الأمر والنهي، والصبر على المكاره، وعن الشهوات والتقلل من الدنيا والرغبة فيما عند الله عزّ وجل.

❊ ❊ ❊

## ❊ هوان الدنيا على اللّه تعالى

[٣٠] عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق فمرّ بجدي أسكَّ ميّتٍ فتناوله فأخذ بأذنيه، ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً، لأنه أسكُّ، فكيف وهو ميت، فقال: «**والله لَلدُّنيا أهونُ على الله من هذا عليكم**».

رواه أحمد (٣/٣٦٥)، ومسلم في الزهد (١٨/٩٣).

قوله: «أسَكّ» أي: صغير الأذنين.

[٣١] وعن المستورد بن شداد رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السَّخْلةِ الميتة، فقال رسول الله ﷺ: «**تَرَوْنَ هذه هانت على أهلها حين ألْقَوها**» قالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله، قال: «**الدنيا أهونُ على الله من هذه على أهلها**».

رواه أحمد (٤/٢٢٩)، والترمذي (٢١٤١)، وابن ماجه (٤١١١)، كلاهما في الزهد بسند حسن وهو صحيح لغيره، ورواه أحمد والدارمي في الرقاق (٣٧٤٠).

قوله: «السخلة» بفتح السين وسكون الخاء، ولد المعز أو الضأن.
قوله: «أهون» أي: أذل وأحقر.



أفاد الحديثان أن الدنيا بلغت من الحقارة عند الله والهوان عليه أعظم من هوان ودناءة ذلك الجدي الناقص الميت القذر عند أهله.

[٣٢] وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدُّنيا تَعدِلُ عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**».

رواه الترمذي (٢١٤٠) وابن ماجه (٤/١٠) كلاهما في الزهد، وحسّنه الترمذي وصححه.

«البعوضة»: صغار البق كما في النهاية.

وهذا نهاية ما يكون من دناءة الدنيا وخستها، فالحياة التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة كيف يكون لها قيمة، فلو كانت لها قيمة لما متّع بها الكفرة واللادينيين وعبدة غيره تعالى، ولما سقاهم منها ولو جرعة ماء، ومع ذلك ترى الناس مفتونين ومغرمين بها بل قد سمّى النبي ﷺ المشغوفين بها عبّدة لها كما يأتي لاحقاً.

❊ ❊ ❊

## ❊ الدنيا ملعونة إلا ما كان منها للّه تعالى

[٣٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، أو عالماً أو متعلماً**».

رواه الترمذي (٢١٤٢)، وابن ماجه (٤١١٢) كلاهما في الزهد وسنده حسن.

واللعنة: الإبعاد فإذا وردت في الكافر فمعناها الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، وإذا وردت في المؤمن الفاسق فالمراد بها الإبعاد عن منازل الأبرار وهي هنا مطلق الإبعاد. فهي وما فيها من متاع بعيدة من الله

إلا ما كان منها له تعالى كالإيمان به وطاعته وعبادته وما يؤول إلى ذلك مما يستعان به عليه كالسعي في الحصول على المعيشة للاستعانة بها على العبادة، وكالعلماء بالله تعالى وبأحكامه والمتعلمين العلوم الإسلامية النافعة وذكر الله عزّ وجل وما والاه...

❊ ❊ ❊

## ❊ مثل الدنيا كما صورها النبي ﷺ

[٢٤] عن المستورد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما الدنيا في الآخرة إلا مَثَلُ ما يجعلُ أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بماذا ترجع»**.

رواه أحمد (٤/٢٢٨/٢٢٩/٢٣٠)، ومسلم (١٨/١٩٢)، والترمذي (٢١٤٣)، وابن ماجه (٤١٠٨) كلهم في الزهد.

و«اليم»: البحر.

فهذا مثَل ضربه النبي ﷺ للدنيا، وبيّن أن كل متاعها وملذاتها... بالنسبة لمتاع الآخرة كالذي يعلق بالأصبع من الماء إذا أدخل البحر فذلك لا شيء بالنسبة لماء البحر.

[٢٥] وعن أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلاً، فانظر ما يخرج من ابن آدم وإن قزّحَه وملَحَه قد علم إلى ما يصير»**.

رواه عبدالله بن أحمد في زوائد مسند أبيه (٥/١٣٦)، وابن حبان بالموارد (٢٤٨٩) بسند صحيح.

قوله: «قزّحه» بتشديد الزاي أي: جعل فيه التوابل والأبازر. قوله: «وملحه» بفتحات مع تخفيف اللام: أي ألقى فيه الملح.

وهذا أيضاً مثل آخر رائع ضرب لخساسة الدنيا فمثلها في الدناءة ثم



اضمحلالها وذهابها كالطعام الذي يصنعه الإنسان ويهيئه ويتناوله سائغاً شهياً هنيئاً مريئاً ثم ينقلب ويخرج منه عذرة قذرة منتنة فهذا مثل الدنيا فهل من مذكر.

ويزيد هذا وضوحاً:

[٢٦] حديث سلمان رضي الله تعالى عنه قال: جاء قوم إلى رسول الله ﷺ فقال: **«ألكم طعام؟»** قالوا: نعم، قال: **«فلكم شراب؟»** قالوا: نعم، قال: **«فتُصَفُّونَه»** قالوا: نعم، قال: **«وتبرّدُونَه»**، قالوا: نعم، قال: **«فإن معادهما كمعاد الدنيا يقوم أحدكم إلى خلف بيته فيمسك على أنفه من نتنه»**.

رواه الطبراني: قال نور الدين (١٠/٢٨٨): رجاله رجال الصحيح.

[٢٧] وعن الضحاك بن سفيان أن رسول الله ﷺ قال: **«يا ضحّاك ما طعامك؟»** قال: يا رسول الله اللحم واللبن، قال: **«ثم يصير إلى ماذا؟»**، قال: إلى ما قد علمت، قال: **«فإن الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا»**.

رواه أحمد (٣/٤٥٢)، والطبراني في الكبير (٨١٣٨) وهو حسن صحيح.

فهذه هي الدنيا في واقعها كما صوّرها لنا نبينا ﷺ.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات ضرب الله فيها مثلاً لهذه الحياة الزائفة تحذيراً من الركون إليها وتزهيداً في الاطمئنان إليها فمن ذلك:

قوله تعالى في سورة يونس آية (٢٤): ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

ومعنى الآية: إنما صفة الحياة الدنيا وحالها العجيبة في فنائها وزوالها وذهاب نعيمها واغترار الناس وخداعهم بنضارتها وملذاتها كمثل مطر نزل من السماء فنبت به أنواع من النبات مختلط بعضه ببعض من جملة ما يأكله

الناس من الحبوب والثمار والبقول والفواكه وما يأكله الإبل والبقر والغنم من الكلأ والتبن والشعير، حتى إذا أخذت الأرض حُسنها وبهجتها وتزخرفت وتزيّنت بالأزهار والحبوب والثمار وظنّ أصحابها الفلاحون والمزارعون أنهم متمكنون من الانتفاع بها محصلون لثمارها وغلتها جاءها قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات إما ليلاً وإما نهاراً فصيّرناها محصودة مقطوعة لا شيء فيها كأنها لم تكن عامرة قائمة قبل ذلك. فمثل الدنيا مع أصحابها كمثل الزرّاع مع مزروعاتهم إذا أشرفوا على تحصيلها جاءتهم ريح عاصفة، أو سيول عارمة فحصدت مزارعهم حصداً.

ومنها قوله عزّ وجل في سورة الكهف آية (٤٥): ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾.

ومعناه: بيّن يا نبيي للناس مثل هذه الحياة في فنائها واضمحلالها بماء نزل من السماء فخرج به النبات وافياً وغزيراً وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه، فأصبح ذلك النبات وصار بعد بهرجه الخادع متفتتاً تسفه الرياح يميناً وشمالاً فالدنيا مثل ذلك تماماً.

ومن ذلك قوله عزّ وجل في سورة الحديد آية (٢٠): ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾.

ومعنى الآية: اعلموا يا معشر السامعين أن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا لعب يُتعبُ الناس فيها أنفسهم كإتعاب الصبيان أنفسهم باللعب وشغل للإنسان بشغله عن الآخرة وطاعة الله وزينة يتزين بها الجهلاء كالملابس الحسنة الفارهة، والمنازل الرفيعة العالية المزخرفة، والمراكب البهية الغالية، ومباهاة وافتخار بالأحساب والأنساب والمال والولد كما قال القائل:

أترى أهل القصور إذا أُميتُوا ... بنَوْا فوقَ المقابر بالصخورِ
أبَوْا إلا مباهاة وفخراً ... على الفقراء حتى في القُبُورِ



وذلك كمثل مطر غزير أصاب أرضاً فأعجب الزرّاع نباته لخضرته بكثرة الأمطار ثم ييبس بعد خضرته ونضرته فتراه مصفر اللون بعد أن كان زاهياً ناضراً ثم يتحطم ويتكسر بعد يبسه وجفافه فيصبح هشيماً متكسراً تذروه الرياح، فكذلك حال الدنيا. وستأتي آيات في التزهيد في الدنيا والتحذير من الاغترار بها لاحقاً إن شاء الله تعالى، وقد أفاض أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى ورضي عنه في الإحياء في الكلام على الدنيا وصورها في أبشع صورة وضرب لها أمثالاً مؤثرة كما يعلم من مراجعة ربع المهلكات من الإحياء.

* * *

## ❊ التزهيد في الدنيا

**[٢٨]** عن عبدالله بن الشخّير رضي الله تعالى عنه أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو يقول: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال: «**يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك من مالك إلا ما تصدَّقْتَ فأمْضَيتَ، أو أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ**».

رواه أحمد (٤/٦٤/٦٥)، ومسلم (١٨/٩٤)، والترمذي (٢١٦١) كلاهما في الزهد، ورواه النسائي في الكبرى (٦/٥٢١)، والترمذي في التفسير أيضاً (٣١٣٦).

إن أمر الإنسان لعجيب، فهو حريص على الدنيا والاستكثار منها والتفاخر بها، وليس له من ذلك إلا ما يتصدق به وينفقه منها في أبواب الخير فيدخره لآخرته أو ما ينفقه على نفسه في حياته مما يقيم به بنيته، أما ما عدا ذلك مما هو شحيح به وحريص على كنزه وإدخاره فلا حظ له فيه بل سيذهب ويتركه وراءه لورثته ثم يحاسَب عليه.

**[٢٩]** فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:

**«يقولُ العبد: مالي، مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتاركُه للناس».**

رواه مسلم في الزهد (٩٤/١٨).

قوله: «فاقتنى» أي: ادخره لآخرته.

**[٣٠]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يتبَعُ الميتَ ثلاثةٌ، فيرجع اثنان ويبقى واحدٌ، يتبعه أهله، وماله، وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله».**

رواه البخاري في الرقاق (١٥٣/١٤)، ومسلم (٩٥/١٨)، والترمذي (٢١٩٧) كلاهما في الزهد، فالعاقل هو الذي يعمل جاهداً لإنقاذ مُهْجَتِهِ، ويدأب على تقديم أنواع القرب ويتوسع في الإكثار من العمل الصالح فإن هذا هو الذي سيبقى معه ويصاحبه في قبره.

**[٣١]** وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما ذِئبانِ جائعانِ أُرسلا في غنمٍ بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه».**

رواه أحمد (٤٦٠/٣)، والترمذي في الزهد (٢١٩٤)، والدارمي في الرقاق (٢٧٣٣) وابن حبان بالموارد (٢٤٧٢)، وسنده صحيح.

ففي الحديث ذم الحرص على المال، والجاه، والرئاسة، والمراكز الشرفية، فإن ذلك أخطر شيء على دين المسلم وأشد إفساداً من إرسال ذئبين جائعين لقطيع من الغنم. وهذا الحديث أفرده بالشرح ابن رجب وهو مطبوع ضمن الرسائل المنيرية.

**[٣٢]** وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك، وإن تمسك شرٌّ لك، ولا تُلامُ على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى».**

رواه أحمد (٢٦٢/٥)، ومسلم في الزكاة (١٢٦/٧)، والترمذي في الزهد (٢١٦٣).



«أن تبذل»: ضبطه النووي بفتح الهمزة. و«الفضل»: هو الزائد على حاجتك وحاجة عيالك. و«الكفاف»: القوت الذي يكفي الإنسان عن الناس ويغنيه عنهم.

ومعنى الحديث أن إعطاء ما يفضل عن حاجة الإنسان وحاجة أهله وذويه مما تجب عليه نفقتهم خير له عند الله عزّ وجل لبقاء ثوابه، وإن أمسكه وكنزه كان شراً له لأنه إن أمسك ذلك عن واجب استحق العقاب عليه وإن أمسك عن المستحب فقد فوّت مصلحة نفسه في آخرته ونقص ثوابه وذلك كله شر، نعم لا يُلام الإنسان على تحصيل وكسب وإدخار ما يكفيه عن الناس من الضروريات.

وقوله: «وابدأ بمن تعول» معناه: ابدأ بالإنفاق على من تلزمك نفقته من نفسك وأهلك وعيالك.

**[٣٣]** وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تتَّخِذُوا الضَّيعةَ فترغبوا في الدُّنيا».**

رواه أحمد (٤٤٣/٤٢٦/٣٧٧/١)، والترمذي في الزهد (٢١٤٨)، وابن حبان (٢٤٧١)، والحاكم (٣٣٢/٤) وسنده حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

«الضيعة»: بفتح الضاد وسكون الياء، المزرعة والبستان وما يكون منه معاش الإنسان ولو من تجارة وصناعة وأكثر ما تطلق على العقار والأرض المغلة، والمراد بالنهي عن اتخاذ الضيعة هو التوغل في الاشتغال بالدنيا والإخلاد إليها والانهماك في طلبها مع الذهول والغفلة عن الآخرة، أما ما كان في غير ذلك من طلب المعاش الضروري فمحبوب ومطلوب.

* * *

## ❊ فضل الكفاف والقناعة

**[٣٤]** عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«قد أفلحَ مَن أسلمَ، ورُزِقَ كفافاً وقنَّعَهُ الله بما آتاه».**

رواه أحمد (٢/١٦٨/١٧٢/١٧٣)، ومسلم في الزكاة (٧/١٤٥)، والترمذي (٢١٦٩)، وابن ماجه (٤١٣٨) كلاهما في الزهد.

[٣٥] وعن فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«طوبى لمن هُدِي للإسلام وكان عيشُه كفافاً وقَنِع»**.

رواه أحمد (٦/١٩)، والترمذي في الزهد (٢١٧٠)، وابن حبان بالموارد (٢٥٤١)، والحاكم في الإيمان (١/٣٤/٣٥) وسنده صحيح، وصححه الترمذي والحاكم، ووافقه الذهبي.

الحديثان يدلان على أن سعادة الإنسان هو أن يوفقه الله عزّ وجل ويهديه للإيمان به وطاعته ويعطيه من العيش ما يكفيه فلا مال له زائد يطغيه ولا عنده فقر مدقع ينسيه ثم يُتم عليه النعمة فيجعله قانعاً راضياً بما أعطاه ربه تعالى.

[٣٦] وعن عبيدالله بن مِحْصَنٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن أصبح منكم آمناً في سِرْبِهِ، معافى في جسمه، عنده قوتُ يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»**.

رواه الترمذي (٢١٦٦)، وابن ماجه (٤١٤١) كلاهما في الزهد، والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٠) وحسّنه الترمذي لشاهد له عن أبي الدرداء.

رواه ابن حبان (٢٥٠٣).

«سربه»: ضبط بكسر السين وسكون الراء، أي: آمناً في نفسه أو أهله وعياله، وبفتح السين أي: في مسلكه وطريقه وبفتحتين أي: في بيته.

وعلى أيٍّ، فمن أوتي هذه الثلاث: الأمن على النفس والأهل والمال، والمعافاة في الجسم، وقوت اليوم كان كمن أعطي الدنيا بأتمها فينبغي له أن لا يتطلع لشيء آخر.

[٣٧] وعن عثمان رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس



**لابن آدم حقٌّ في سوى هذه الخصال: بيتٌ يسكنه، وثوبٌ يواري عورته، وجلف الخبز والماء»**.

رواه أحمد (١/٦٢)، والترمذي في الزهد (٢١٦١)، والحاكم في الرقاق (٤/٣١٢)، وصححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي، وكذا صححه العراقي في المغني.

«الجلف»: بكسر الجيم هو الخبز ليس معه إدام.

والحديث يفيد أنه لا حاجة للإنسان تدعوه إلى تحصيل غير هذه الأشياء الأربعة الضرورية لأن بها قوام بنيته فما زاد عليها فهو فضول.

واختلفوا في المراد بالحق في الحديث فقيل: هو ما وجب للإنسان من الله تعالى من غير تبعة في الآخرة ولا سؤال، فمَن اكتفى بذلك لم يسأل عنه لأنه من الحقوق التي لا بد للنفس منها أما ما عداها مما فيه حظوظ النفس فسيُسأل عنها.

وقيل: المراد بالحق هو ما يستحقه الإنسان من الله عزّ وجل لافتقاره إليه وتوقف معيشته عليه وهو قريب من الأول.

والمقصود: هو فضل القناعة وترك ما زاد على الضروريات من المسكن، والملبس، والمأكل، والمشرب، والمركب، وإن كان ذلك مباحاً لأن الإكثار منه قد يؤدي إلى فساد النفس وطغيانها ووقوعها في المحرمات.

[٣٨] وعن أبي وائل رحمه الله تعالى قال: جاء معاوية إلى أبي هاشم بن عتبة وهو مريض يعوده فقال: يا خال، ما يبكيك؟ أوجعٌ يشتكه؟ أو حرص على الدنيا؟ قال: كلٌّ لا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً لم آخذ به، قال: **«إنما يكفيك من جمع المال خادمٌ ومركبٌ في سبيل الله، وأجدني اليوم قد جمعتُ»**.

رواه أحمد (٣/٤٤٣/٤٤٤) (ج٥/٢٩٠)، والترمذي (٢١٤٧)، وابن ماجه (٤١٠٣) كلاهما في الزهد، وابن حبان بالموارد (٢٤٧٨) وسنده

صحيح وله شواهد عن أنس وخباب، انظر تهذيبي لجامع الترمذي (٢١٤٧).

«يشئزك»: بضم الياء وكسر الهمزة أي: يقلقك وزناً ومعنى. وقوله: «عهد إليّ» أي: أوصاني.

عهد إليه النبي ﷺ أن يكتفي من جمع المال بخادم ومركب في سبيل الله، وهكذا نرى النبي ﷺ يرشد أصحابه وينصحهم ويزهدهم في الحياة وأن لا يأخذوا منها إلا مثل زاد الراكب.

[٣٩] وعن أبي عبدالرحمٰن الحُبُلي قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص وسأله رجلٌ فقال: ألستَ من فقراء المهاجرين؟ قال: نعم، فقال له عبدالله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك.

رواه مسلم في الزهد (١٨/١٠٩/١١٠) هكذا موقوفاً.

فانظر أيها المسلم إلى همّة هذا الصحابي وإلى ما كان يعتقده في هذه الحياة وأن من كانت له زوجة ومسكن عنده من الأغنياء، فمن زاد على ذلك خادماً كان من الملوك. فهذا نهاية ما يكون من الزهد، وهذا ما تعلمه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من مدرسة الحبيب المصطفى ﷺ.

* * *

## ❊ الغنى غنى النفس

[٤٠] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، ولكن الغِنَى غِنى النفس»**.

رواه أحمد (٢/٢٤٣) وفي مواضع، والبخاري في الرقاق (١٤/٤٩)، ومسلم في الزكاة (٧/١٤٠)، والترمذي (٢١٩١)، وابن ماجه (٤١٣٧) كلاهما في الزهد.



«العرض»: بفتحتين، متاع الدنيا، ومعناه: أن الغنى ليس بالثراء واقتناء الأموال وكثرة متاع الدنيا وحطامها، وإنما الغنى في الحقيقة هو القناعة ورضا النفس بما تيسّر مع طمأنينة القلب، فمَن أوتي هذا فهو الغنى حقاً، وإن كان أفقر البشرية مالاً، وعكسه هو الفقير مهما كانت ثرواته وأمواله وأملاكه فهو دائماً يتطلع إلى المزيد من الثراء وذلك يجعله فقير القلب مدى حياته حتى يفاجئه الموت كما يدل لذلك الحديث التالي:

[٤١] فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لو أن لابن آدم مثل وادٍ مالاً لأحبّ أنّ له إليه مثله، ولا يملأ عينَ ابن آدم إلا التراب، ويتوبُ الله على من تاب»**.

قال ابن عباس: فلا أدري من القرآن هو أم لا؟

رواه البخاري في الرقاق (١٤/٣٠/٣١)، ومسلم في الزكاة (٧/١٣٩).

[٤٢] ونحوه عن أنس رضي الله تعالى عنه بلفظ: **«لو كان لابن آدم واديان من مال** - وفي رواية: **من ذهب - لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب...»**.

رواه البخاري ومسلم والترمذي في الزهد (٢١٥٧).

وفي الباب عن ابن الزبير في البخاري (١٤/٣٢)، وعن أبي هريرة عند ابن ماجه في الزهد (٤٢٣٥) بسند صحيح.

[٤٣] وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها: **«لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»**.

رواه مسلم في الزكاة (٧/١٤٠).

قوله: «لابتغى» أي: طلب.

ففي هذا الحديث بيان ما جبل عليه ابن آدم من الحرص على الازدياد من المال وأن الإكثار منه لا يزيده إلا حرصاً وشرهاً ورغبة في كنزه وجمعه، وأنه لا يملأ قلبه إلا الموت ومواراته في التراب.

وفي قول ابن عباس: فلا أدري من القرآن هو أم لا، يعني: «**لو كان لابن آدم...**» إلخ.

وقد صرّح أبو موسى في حديثه بأنه حفظ ذلك من جملة القرآن ومما كان قد أنسيه كما جاء في صحيح البخاري عن أُبي بن كعب أيضاً قال: كنا نُرى هذا من القرآن حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾.

فذلك كله يدل على أن لفظ هذا الحديث كان قرآناً ثم نُسخ لفظه وبقي معناه... وقد علّق الحافظ على ما في الباب نقلاً عن ابن بطال بقوله: وفي أحاديث الباب ذم الحرص والشره، ومن ثم آثر أكثر السلف التقلل والقناعة باليسير، والرضا بالكفاف، ووجه ظنهم أن الحديث المذكور من القرآن ما تضمنه من ذم الحرص على الاستكثار من جمع المال والتقريع بالموت الذي يقطع ذلك، ولا بد لكل أحد منه، فلما نزلت هذه السورة وتضمنت معنى ذلك مع الزيادة عليه علموا أن الأول من كلام النبي ﷺ وقد شرحه بعضهم على أنه كان قرآناً ونسخت تلاوته لما نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ فاستمرت تلاوتها فكانت ناسخة لتلاوة ذلك، وأما الحكم فيه والمعنى فلم ينسخ، إذ نسخ التلاوة لا يستلزم المعارضة بين الناسخ والمنسوخ كنسخ الحكم، والأول أولى وليس ذلك من النسخ في شيء. قال الحافظ: قلت: يؤيد ما ورد ما أخرجه الترمذي من طريق زر بن حُبَيْش عن أُبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال له: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقرأ عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾** قال: وقرأ فيها: **إن الدين عند الله الحنيفية السمحة**» وفيه: وقرأ عليه: «**لو أن لابن آدم وادياً من مال...**» الحديث، وفيه: «**ويتوب الله على من تاب**» وسنده جيد... إلخ.

* * *



## ❋ هلاك المنهمكين في الدنيا وذلتهم

**[٤٤]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعِسَ عبدُ الدينار، وعبدُ الدرهم، وعبدُ الخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**».

رواه البخاري في الجهاد، وفي الرقاق (٢٩/١٤)، وابن ماجه في الزهد (٤١٣٦).

«تعس»: بكسر العين وتفتح، عثر وانكبّ على وجهه. «الخميصة»: ثوب من خز أو صوف معلّم أو من ثوب أسود. «انتكس» أي: انقلب على رأسه. «وإذا شيك» أي: أصيب بشوكة فلا تزال بالمنقاش.

وقوله: «تعس عبد الدينار...» إلخ، فيه ذم بالغ لمن همّه المال والتهافت على حطام الدنيا حتى كأنه عبد له لأن العبودية هي غاية تقديس الشيء ومحبته وإيثاره والتذلل له، فمَن أخلد إلى الدنيا وآثرها على الآخرة كان ولا شك عبداً لها، فإذا أُعطي رضي وإن لم يُعط سخط، ولهذا دعا النبي ﷺ على من هذا وصفه بالتعاسة والخيبة والهلاك والانكباب على الوجه وأنه إذا أصيب بشوكة لا أخرجها الله منه ولا عافاه منها ولا أوجد له من يخرجها منه بالمنقاش، لأن من كان كذلك أصيب بالبطر والطغيان ونسيان الآخرة فخسر دنياه وآخرته.

وفي قوله ﷺ: «**تعس وانتكس**» نقل الحافظ عن الطيبي أنه قال: فيه الترقي في الدعاء عليه لأنه إذا تعس انكبّ على وجهه فإذا انتكس انقلب على رأسه.

**[٤٥]** وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال: ورأى سكة وشيئاً من آلة الحرث سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذلّ**».

رواه البخاري أول المزارعة (٤٠٢/٥).

وقوله: «سكة» بكسر السين، هي الآلة التي يحرث بها.

وظاهر الحديث يدل على ذم الحراثة مطلقاً وأن من اشتغل بذلك أذلّه الله تعالى، والأمر على خلاف ذلك، بل المراد بذلك والله أعلم ما أشار إليه البخاري في الترجمة بقوله: «باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع، أو مجاوزة الحد الذي أمر به» فيكون المذموم من ذلك ما يؤدي إلى ترك الحقوق الواجبة أو مجاوزة الحد في الاشتغال بالزراعة حتى تترك الواجبات الأولية، ومنها الجهاد في سبيل الله والاستعداد للعدو فإن أي أمة أو قوم أهملوا هذا الجانب واشتغلوا بالحياء أذلّهم الله بتسلُّط عدوهم عليهم.

ويزيد هذا وضوحاً الحديث التالي وهو:

**[٤٦]** عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا تبايعتم بالعِينَة، وأخذتُم أذنابَ البقر، ورضيتُم بالزرع، وتركتُم الجهادَ، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»**.

رواه أحمد (٤٢/٢٨/٢)، وأبو داود (٣٤٦٢)، والبيهقي (٣١٦/٤) من طرق هو بها صحيح.

«العِينة»: بكسر العين، نوع من البيوعات الفاسدة، وصورته: أن يبيع الرجل سلعته إلى أجل، ثم يبيعها المشتري لبائعها الأول بثمن أقل معجلاً. وهو من أقبح طرق أكل أموال الناس بالباطل.

فالحديث واضح في أن لزوم الكسب والحراثة والزراعة المؤدي إلى إهمال باب الجهاد والإعراض عن القيام بشؤون الدين ومهامه من أسباب الذل، وأن كل قوم كان هذا سبيلهم وشأنهم كانوا أغرق في الخزي والذل كما هو واقع المسلمين اليوم فلا يرفع عنهم هذا الذل المخيّم عليهم إلا بالرجوع إلى دينهم، وهيهات هيهات.

* * *



## ❊ ذم الإكثار من الدنيا ممن لا يجود بها

**[٤٧]** عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو في ظل الكعبة وهو يقول: **«هم الأخسرون ورب الكعبة، هم الأخسرون ورب الكعبة»** قال: فقلت: مَن هم بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: **«هم الأكثرون أموالاً إلا من قال: هكذا وهكذا وهكذا»**.

وفي رواية: **«إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه، وقليل ما هم»**، وفي رواية: **«الأكثرون هم الأسفلون يوم القيامة، إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وكسبه من طيب»**.

رواه أحمد (١٥٨/١٥٢/٥)، والبخاري في الأيمان والنذور (٣٣٢/١٤) وفي الزكاة، ومسلم (٧٦/٧٥/٧)، والترمذي (٥٤٩)، والنسائي (٨/٥) كلهم في الزكاة.

والرواية الثانية: رواها البخاري في الرقاق (٤٢/٣٨/١٤).

والثالثة: رواها ابن ماجه في الزهد (٤١٣٠) بسند صحيح، ومثله عنده (٤١٣١) عن أبي هريرة بسند صحيح أيضاً كما قال البوصيري.

وقوله: «الأكثرون...» إلخ، ولو كان من الحلال. وقوله: «هم الأخسرون» و«الأسفلون» ذلك يدل على أن الأغنياء وذوي الثروات هالكون خاسرون سافلون في جهنم إلا من أدّى حق الله في أمواله وتوسّع في الإنفاق في أبواب الخير فهذا ماله نِعم المعين له على دينه كما في الحديث التالي:

**[٤٨]** فعن عمرو بن العاص قال: بعث إليّ النبيُّ ﷺ فأمرني أن آخذ على ثيابي وسلاحي ثم آتيه، ففعلت، فأتيته وهو يتوضأ فصعَّد إليّ البصر ثم طأطأ ثم قال: **«يا عمرو إني أريد أن أبعثك على جيش فيُغنِمك الله وأزْعَبُ لك زعبة من المال صالحة»**، قلت: إني لم أُسْلِم رغبة في المال، إنما أسلمتُ رغبةً في الإسلام فأكون مع رسول الله ﷺ، فقال: **«يا عَمْرو نِعم المال الصالح للمرء الصالح»**.

رواه أحمد (٤/٢٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)، والحاكم بسند صحيح.

قوله: «وأزْعَبُ» بفتح العين، أي: أقطع لك قطعة من المال. قوله: «نِعم المال» أي: نعم المال الحلال الطيب مطية وعوناً للرجل الصالح صاحب الروح الطيبة، فالأكثرون أموالاً هم الأقلون ثواباً والأخسرون مالاً والأسفلون يوم القيامة فإن ثروات الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب فالمكثرون على خطر يوم القيامة على كل الأحوال والصالحون فيهم قليل.

❊ ❊ ❊

## ❊ التحذير من فتنة المال والدنيا

[٤٩] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنّ الدنيا حلوةٌ خَضِرَةٌ، وإن الله مُستخلفُكُم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**».

رواه أحمد (٣/١٩/٢٢/٨٤/٤٦)، ومسلم في الرقاق (١٧/٥٥).

قوله: «فاتقوا» أي: تحفظوا من فتنتهن وغوائلهن وتجنّبوا ذلك ما استطعتم.

إن مظاهر الدنيا بهيجة حلوةٌ خَضِرةٌ تحبها النفوس وتميل إليها بالطبع كما تميل للفاكهة الخضراء الحلوة فيجب الحذر منها فإن ظاهرها حلو أخضر وباطنها خبيث قذر.

وقد جعلها الله عزّ وجل للإنسان مظاهر للابتلاء واستخلفه فيها لينظر تعالى ماذا يكون أمره فيها هل يطيعه فيتحفظ منها أم يعصيه فيتبع شهواتها وينخدع بنضارتها وملذاتها.

ولخطورتها أمرنا النبي ﷺ أن نتحفظ منها ونتجنب غوائلها ومصايدها



وقرنها بالنساء لأنهما شقيقتان في الفتنة والخطورة، بل فتنة النساء أشد وأخطر على الرجل كما قال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرُّ على الرجال من النساء**».

رواه الشيخان، ويأتي في الفتن.

وقدّمنا حديث مسلم: «**إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان، وإذا أدبرت أدبرت في صورة شيطان**»، فماذا يكون الأمر إذاً مع هذا الجنس الخطير الذي جعله النبي ﷺ يُقبل ويُدبر في صورة شيطان.

وإنما قرن النبي ﷺ النساء بالدنيا لأنهن من جملة الدنيا التي يتمتع بها كما قال ﷺ: «**الدنيا متاعٌ، وخيرُ متاعها الزوجة الصالحة**».

رواه أحمد ومسلم وغيرهما، وقد تقدم.

[٥٠] وعن خَوْلة بنت قيس وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا المال خَضِرةٌ حلوةٌ مَن أصابه بحقه بورك له فيه، ورُبَّ مُتَخَوّض فيما شاءت به نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار**».

رواه عبدالرزاق (٦٩٦٢)، والحميدي (٣٥٣)، وأحمد (٦/٣٦٤/٣٧٨/٤١٠)، والترمذي في الزهد (٢١٩٢)، وابن حبان (٤٥١٢) وغيرهم، وحسّنه الترمذي وصححه، وأصله في الخمس من صحيح البخاري (ج٧/٢٧) بلفظ: «**إن رجالاً يتخوّضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة**».

قوله: «متخوض» أي: متصرف وهو معنى رواية البخاري «يتخوضون» أي: يتصرفون.

وفي الحديث التحذير من غوائل الدنيا والتصرف فيها بغير ما شرعه الله تعالى، وأن من أخذ المال من طريقه المشروع، وأنفقه في مصارفه المأمور بها بارك الله له في ماله، وإلا كان مآله النار لأنه خاض في مال الله ورسوله بالباطل وتصرف فيه بالتشهّي. ويزيد هذا وضوحاً وتفصيلاً الحديث التالي:

[٥١] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أكثر ما أخاف عليكم ما يُخرجُ الله لكم من بركات الأرض»** قيل: وما بركات الأرض؟ قال: **«زهرةُ الدنيا»** فقال رجل: هل يأتي الخيرُ بالشر؟ فصمت النبي ﷺ حتى ظننتُ أنه ينزل عليه، ثم جعل يمسح عن جبينه فقال: **«أين السائل؟»** قال: أنا، قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع لذلك، قال: **«لا يأتي الخير إلا بالخير، إن هذا المال خَضِرةٌ حُلْوةٌ، وإن كل ما أنبتَ الربيعُ يقتلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ إلا آكلة الخَضِرة، أكلتْ حتى إذا امتدّت خاصرتاها استقبلت الشمسَ اجْتَرَّتْ وثلطَتْ وبالت، ثم عادتْ فأكلت، وإن هذا المالَ حلوةٌ، من أخذه بحقه ووضعه في حقه، فنِعْمَ المعونة هو، وإن أخذه بغير حق كان كالذي يأكل ولا يشبع»**.

رواه أحمد (٣/٩١)، والبخاري في الرقاق (١٤/٢٠/٢٢) وفي الزكاة وفي الجهاد، والنسائي في الزكاة، وابن ماجه في الفتن (٣٩٩٥).

قوله: «زهرة الدنيا» أي: زينتها وبهجتها ومتاعها من العين، والثياب، والزروع، والمراكب، وغير ذلك مما يفتخر الناس بحسنه. وقوله: «حَبَطاً» بفتحتين، والحبط بالحاء انتفاخ البطن من كثرة الأكل. وقوله: «أو يُلِمُّ» بضم الياء، أي: يقرب من الهلاك. وقوله: «إلا آكلة الخضرة» بفتح الخاء وكسر الضاد، وهو ضرب من الكلأ يعجب الماشية. وقوله: «خاصرتاها» تثنية خاصرة وهما جانبا البطن من الحيوان. وقوله: «اجترّت» أي: أخرجت ما أكلته من بطنها وأعادت مضغه. قوله: «وثلطت» بفتحات، أي: ألقت ما في بطنها رقيقاً.

ومعنى ذلك أنها إذا شبعت فثقل عليها ما أكلت أخرجته من بطنها واجترّت فازداد نعومة ثم تستقبل الشمس فتحمى بها فيسهل خروجه، فإذا خرج زال الانتفاخ فسلمت، أما من لم تتمكن من ذلك، فإن الانتفاخ يقتلها سريعاً.

ونستفيد من هذا الحديث الشريف أن النبي ﷺ علم بإعلام من الله عزّ وجل أن أخطر شيء يخافه على أمته هو بسط الدنيا عليهم واتساع



خيراتها وبركاتها وأن ذلك وإن كان خيراً، والخير لا يأتي إلا بالخير، لكن الخير قد يعرض له الشر فإخراج بركات الأرض وزهرتها وبهجتها ونضارتها هو خير بلا شك لمن أحسن التصرف فيه، لكنه قد ينقلب شراً على من يخوض فيه بغير حق فيجعله هالكاً خاسراً، ولذلك ضرب النبي ﷺ مثلين لذلك، أحدهما: للمسرف المُفرط في جمع الدنيا المانع من إنفاقها في وجهها والخائض فيها بلا حدود ولا قيود، ومثل لهذا الصنف بالدابة التي تأكل وتبالغ في ذلك ولا تحتاط لنفسها فيقتلها انتفاخ بطنها بما أفرطت فيه من المرعى. ثانيهما: المقتصد في الكسب والجمع وانتفاعه بذلك وصرفه في وجوهه ومهامه، ومثل لهذا بالدابة التي ترعى الخضرة فإذا امتلأت خاصرتاها احتاطت لنفسها فجلست في الشمس فاجترّت ومضغت ما رعته مرة ثانية فرقّ في بطنها فألقته فنجت وسلمت.

وبذلك تبين للسائل أن الخير قد ينقلب شراً، فزهرة الدنيا خير، أي: خير لمن اتقى الله، لكنه قد يصير لصاحبه شراً قاتلاً.

ولذلك ختم النبي ﷺ ضرب المثلين بقوله: **«وإن هذا المال حلوة خَضِرةٌ مَن أخذه بحقه ووضعه في حقه فنِعْم المعونة هو، وإن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع»** ومثل هذا ما جاء في حديث حكيم بن حزام التالي وهو:

[٥٢] عن حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه قال: سألت النبي ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: **«إن هذا المال خضرة حلوة، فمَن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومَن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع»**.

رواه أحمد (٣/٤٣٤)، ومسلم في الزكاة (٧/١٢٦)، وكذا البخاري.

«بإشراف نفس» أي: مع تطلُّع وشره، فكل من كان فيه شره وحرص على المال وتطلع إليه بأي طريق ولم يقتصد في ذلك كان كالذي يكون به داء لا يشبع بسببه وإن ملأ بطنه.

قال النووي رحمه الله تعالى: وفي هذا الحديث وما قبله وما بعده

الحث على التعفُّف والقناعة والرضا بما تيسر في عفاف وإن كان قليلاً، والإجمال في الكسب وأنه لا يغتر الإنسان بكثرة ما يحصل له بإشراف ونحوه فإنه لا يبارك له فيه...

ولينظر للتوسع في شرح حديث أبي سعيد «الفتح» ففيه فوائد هامة.

**[٥٣]** وعن عَمْرو بن عوف وكان شهد بدراً مع رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين فسمعت الأنصار بقدومه، فوافقت صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف تعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم وقال: «**أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء؟**» قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «**فأبشِروا وأمّلوا ما يَسُرُّكم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتُهلككم كما أهلكتهم**» وفي رواية: «**فتلهيكم كما ألهتهم**».

رواه أحمد (٤/١٣٧/٣٢٧)، والبخاري في الجزية وفي المناقب وفي الرقاق (١٤/١٩/٢٠)، ومسلم في الزهد (١٨/٩٥)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٨٣)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٩٧).

التنافس في الشيء: الرغبة فيه مع حب الانفراد به والصراع من أجله.

والحديث يدل على أن بسط الدنيا سبب في التنافس عليها وذلك من أسباب هلاك الدين وأن الأقدمين كان من أسباب هلاكهم التنافس في الدنيا وذلك الذي خشيه النبي ﷺ على الأمة وهذا بخلاف الفقر وقلة ذات اليد، فإن ذلك مأمون لأن مثله لا يقع عليه التنافس والتحاسد والتقاتل والتقاطع، ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث بقوله: «باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها» فبسط الحياة فتنة أي فتنة كما في الحديث التالي:

**[٥٤]** عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن لكلِّ أمّةٍ فتنة، وفتنةُ أمّتي المال**».



رواه الترمذي في الزهد (٢١٥٦)، وحسّنه وصححه وابن حبان (٢٤٧٠)، والحاكم (٤/٤١٨) وصححه ووافقه الذهبي.

وإنما كان المال فتنة لأن النفوس مفطورة على حبه وإيثاره والضن به، والتقاتل والمعاداة من أجله.

فالعاقل من جنّبه الله تعالى فتنة الدنيا ولم يغتر بمظاهرها وبهجتها اعتماداً على قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لا تخدعنكم بحلوتها وخضرتها وزينتها وملذاتها، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، فيا خسارة من نسي الآخرة ورضي بالحياة الدنيا واطمأن بها... وغفل عما يراد منه فكان ممن قال الله عزّ وجل فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾.

وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾.

* * *

## ❊ ذم كثرة الأكل والمبالغة في الترف والتنعُّم

**[٥٥]** عن المقدام بن معد يكرب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما ملأ آدميٌ وعاء شرًا من بطنه، بحَسْب ابن آدم أكلات يُقمن صُلبَه، فإن كان لا محالة، فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفَسِه**».

رواه أحمد (٤/١٣٢)، والترمذي في الزهد (٢١٩٨)، وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٤٩)، والحاكم في الرقاق (٤/٣٣١)، وحسنه الترمذي وصححه كما صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

«وعاء»: آنية. «بحسب» أي: كافيه. «أُكُلات»: بضم الهمزة والكاف، أي: لقيمات كما في رواية لابن ماجه وغيره. «صلبه» بضم الصاد أي: ظهره.

ومعناه: أن شر ما يملأه الإنسان من الأواني بطنه لأن ذلك سبيل إلى فساد الجسم والروح معاً، فالجسم يظهر فيه كثرة الأمراض الناشئة عن دوام البطنة والتخم والروح تضعف نورانيته، وبذلك يقسو القلب ويبدو على الجسم الكسل والفتور ولهذا أرشدنا نبينا ﷺ إلى ما فيه صلاحنا في ذلك فوجهنا إبقاء على قلوبنا... أنه إذا كان ولا بد من تجاوز المفروض في الأكل فلتكن القسمة ثلاثية ثلث الأحشاء للطعام، وثلث للشراب، والثلث الباقي للنَّفَس.

على أن كثرة الشبع والإفراط في التنعُّم والترفه من أسباب البُعد عن الله عزّ وجل، بل المتصف بذلك من شرار الخلق كما جاء في الحديث التالي:

[٥٦] فعن فاطمة بنت الحسين عليهما السلام أن رسول الله ﷺ قال: **«إنّ من شرار أمّتي الذين غُذُّوا بالنعيم الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب، يتشدّقون بالكلام»**.

رواه الإمام أحمد في الزهد رقم (٤٠٠) هكذا مرسلاً بسند حسن، ورواه ابن المبارك في الزهد أيضاً رقم (٢٦٢) عن عروة بن رويم مرسلاً بسند صحيح بلفظ: **«شرار أمتي الذين وُلدوا في النعيم وغُذُّوا بالنعيم، هِمَتهُم ألوان الطعام»**.

فالحديث حسن بطريقيه.

[٥٧] وجاء عن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في رسالة بعثها إلى عتبة بن فرقد أحد عماله قال له فيها: «وإياكم والتنعُّم، وزي أهل الشرك، ولبوس الحرير»، وفي رواية: «وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل، وإياكم والتنعُّم وزي العجم».

رواه أحمد (١٦/١)، والبخاري (٤٠١/٤٠٠/١٢)، ومسلم (٤٦/١٤) والسياق له، والرواية الثانية أخرجها الإسماعيلي في صحيحه كما في الفتح.

فالمبالغة في التنعُّم والبذخ ومجاوزة الحد مذمومة شرعاً وعقلاً، ولخطورة ذلك كان النبي ﷺ يحذّر من ذلك كثيراً، وأخبر أصحابه بما سيرونه من ذلك في مستقبلهم بعد فقرهم وحاجتهم.



[٥٨] فعن طلحة النضري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حديث: **«ولكن عسى أن تُدركوا زماناً - أو من أدركه منكم - يُغدى ويُراح عليكم بالجِفان، وتَلْبَسون مثل أستار الكعبة»**.

رواه أحمد (٤٨٧/٣)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٤٩/٥٤٨/٤) وصححه ووافقه الذهبي.

[٥٩] ويشهد له أيضاً حديث الإمام علي عليه السلام عنه ﷺ قال: **«كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة، وراح في حلة، ووُضعت بين يديه صَحْفَةٌ، ورُفعت أخرى، وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة»** قالوا: يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونُكْفى المؤونةَ، فقال رسول الله ﷺ: **«لا أنتم اليوم خير منكم يومئذ»**.

رواه الترمذي (٢٢٩٧) في صفة القيامة، وحسّنه، وهذا القدر صحيح بسابقه.

وقد صدق الواقعُ هذا الحديثَ وما قبله منذ القرون الأولى فأصبح الناس ولا يزالون في نعيم وترف وتوسُّع زائد في المآكل والمشارب والملابس... ولم يبقَ الأمر مقصوراً على ما أخبر به ﷺ بل تفاقم الشأن وجاوز الحد لا في الأكل ولا في الألبسة... فمن الناس من له أكثر من عشرة ملابس... وفي طبقات من الناس من توضعُ بين يديه في كل وَجْبَةٍ عدّةُ أواني، في كل آنية صنفٌ من الأطعمة، وهذا بالإضافة إلى أواني المشتهيات وأنواع الفواكه.

حقاً إننا أصبحنا فراعنة جبابرة يوشك أن يخسف الله بنا لأننا تجاوزنا الحدود. غفرانك يا ربنا.

[٦٠] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: تَجَشَّأ رجلٌ عند النبي ﷺ فقال: **«كُفَّ عنا جُشاءك، فإن أكثرهم شِبَعاً في الدنيا أطولُهم جوعاً يوم القيامة»**.

رواه الترمذي (٢٠٩٩) في الزهد، وابن ماجه في الفتن (٣٣٥٠)، وهو وإن كان سنده ضعيفاً فإن له شواهد يحسن بها. وانظر تهذيبي للجامع في الرقم السابق.

«الجشاء»: بضم الجيم، صوت مع ريح يخرج صاعداً من المعدة بعد امتلائها، وهو يدل على أن الشبع والإفراط في الأكل المذمومَيْن هو أن يصير الشبع والتنعُّم عادة للإنسان والإكثار من ذلك، أما الشبع المرة بعد المرة والإقلال من ذلك فلا يدخل في هذا الذم لقوله ﷺ: «**فإن أكثرهم شبعاً**... إلخ».

* * *

## ❊ ذم البناء فوق الحاجة

[٦١] عن قيس بن أبي حازم رحمه الله تعالى قال: دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات، فقال: إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا، وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب، ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به، قال: ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبني حائطاً له، فقال: إن المسلم لَيُؤْجَرُ في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب.

رواه البخاري في المرضى (١٢/٢٣٣)، وفي الأدب المفرد (٤٥٤)، ومسلم في الذكر والدعاء باب تمنّي الموت (ج١٧/٨)، ورواه الترمذي (٢٣٠٣)، وابن ماجه (٤١٦٣) كلاهما في الزهد عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يؤجر الرجلُ في نفقته كلها إلا في التراب**»، وفي رواية: «**في البناء**» وحسّنه الترمذي وصححه.

وظاهر هذا الحديث يقتضي ذم البناء على الإطلاق، وأنه لا يثاب عليه صاحبه، لكن هذا محمول على ما لا تمس إليه الحاجة مما لا بد منه لاتقاء الحر والبرد والتحفُّظ من اللصوص أو كان طلباً للعيش أو بناء المساجد



والمدارس الإسلامية، والمستشفيات ونحو ذلك مما فيه مصلحة خاصة أو عامة فإن كل ذلك يؤجَر عليه المسلم.

[٦٢] وقد جاء عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: «**أمّا إنّ كل بناء وبالٌ على صاحبه إلا ما لا، إلا ما لا**».

رواه أبو داود في الأدب (٥٢٣٧) ورجاله ثقات غير رجل وله شاهد عن واثلة عند الطبراني، أي: إلا ما لا بد منه فإنه لا يكون وبالاً على صاحبه بل يكون مأجوراً عليه حسب نيته.

وقد كان السلف يتحاشون عن تتبُّع البناء ورفعه والإكثار منه تورعاً، وتركاً له رغبة فيما هو أفضل واتباعاً لرسول الله ﷺ في زهده، وورعه، ورغبته عن الدنيا.

[٦٣] فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: رأيتني مع النبي ﷺ بنيتُ بيدي بيتاً يُكنُّني عن المطر، ويُظِلُّني من الشمس، ما أعانني عليه أحدٌ من خلق الله.

رواه البخاري في الاستئذان (١٣/٣٣٦/٣٣٧).

[٦٤] وعنه قال: والله ما وضعت لبنة على لبنة، ولا غرستُ نخلةً منذ قبض النبي ﷺ.

رواه البخاري أيضاً (١٣/٣٣٧).

وهذا كله محمول على الزهد وترك المباح وما زاد على الحاجة. نعم البناء الذي اعتاده الناس، وخاصة ما فشى في هذه العصور مما تفنن فيه الناس هو من المنكرات العظيمة ومن التبذير والإسراف المقيت الذي يُبغضه الله ولا يرضاه. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾، وقال: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

* * *

[٦٥] عن محمود بن لبيد رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: **«اثنتان يكرههما ابن آدم، يكره الموت والموت خيرٌ للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال وقلةُ المال أقل للحساب»**.

رواه أحمد (٤٢٧/٥) من طريقين وسندهما صحيح.

في الحديث فضل قلة المال والقناعة باليسير رغم أن الإنسان ولو كان مؤمناً يكره الفقر والفاقة وذلك خير له من الثراء لأن القليل حسابه يسير.

[٦٦] وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما طلعت شمسٌ قط إلا بجنبتيها ملكان يناديان إنهما لَيُسْمِعان مَن على وجه الأرض غير الثقلين، يا أيها الناس هلمُّوا إلى ربكم فإن ما قلّ وكفى خيرٌ مما كثُر وألْهى، ولا آبت شمس قط إلا بُعث بجنبتيها ملكان يناديان: اللهم أعْطِ مُنفِقاً خَلَفاً، وأعطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»**.

رواه أحمد (١٩٧/٥) بسند صحيح وآخره في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

ففي هذا الحديث فضل قلة ذات اليد الكافي وأن ذلك خير من الكثرة التي تلهي المسلم عما يهمه من شؤون دينه.

[٦٧] وعن محمود بن لبيد أيضاً أن النبي ﷺ قال: **«إن الله لَيَحمي عبده الدنيا وهو يُحبُّه، كما تَحْمُون مرضاكم الطعام والشراب تخافون عليه»**.

رواه أحمد (٤٢٨/٤٢٧/٥) وسنده صحيح.

ورواه الترمذي في أول الطب (١٨٨٠)، وابن حبان (٢٤٧٤)، والحاكم (٣٠٩/٤) من حديث محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان، وسياقه عند الترمذي: **«إذا أحبَّ اللّهُ عبداً حماه الدنيا، كما يَظَلُّ أحدُكم يحمي سَقِيمه الماء»**.



وسنده صحيح رجاله رجال الصحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قوله: «لَيَحْمِي»، «حماه الدنيا» أي: منعه منها.

فالحديث بلفظَيْه يدل على فضل كبير للفقر بالنسبة للمؤمن وأن ذلك يدل على محبة الله تعالى إياه لأنه لكرامته عليه يمنعه من ثروات الدنيا وكثرة متاعها لئلا تضره في دينه وتُشغله عن عبادته تعالى والاشتغال به.

وقد يظن الجاهلون أن ابتلاء الله عبده بالفقر هو شر له وإهانة من الله له، كما أن إنعامه عليه بخيرات الدنيا واتساعها عليه خير له وإكرام من الله، وهذا ظن خاطىء، فإن وجود الدنيا وعدمها لا يدل على خير ولا شر، ولذلك ردّ الله تعالى على من ظنّ هذا الخطأ فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾.

فقدر على رزقه: أي ضيّقه عليه.

[٦٨] وجاء في حديث: **«إن الله يُعطي الدنيا مَن يحب ومَن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من يُحِب»**.

رواه أحمد (٣٨٧/١)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٥) مطولاً بسند صحيح.

[٦٩] وعن مصعب بن سعد قال: رأى سعدٌ أن له فضلاً على مَن دونه فقال النبي ﷺ: **«هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضُعفائكم»**.

رواه أحمد (١٧٣/١)، والبخاري في الجهاد (٤٢٩/٦).

[٧٠] وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«ابْغُوني في ضعفائكم فإنما تُرزقون أو تُنصرون بضعفائكم»**، وفي رواية: **«إنما ينصر اللّهُ هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم»**.

رواه أحمد (١٩٨/٥)، وأبو داود (٢٥٩٤)، والترمذي (١٥٦١)،

والنسائي (٣٨/٦) ثلاثتهم في الجهاد، وابن حبان (١٦٢٠)، والحاكم (١٤٥/١٠٦/٣) وحسّنه الترمذي وصححه.

«ابغوني» بهمزة وصل، أي: اطلبوا لي.

وفي الحديثين فضل الفقراء الصالحين وأن الله عزّ وجل ينصر الأمة ويرزقها بدعواتهم وصلاتهم وإخلاصهم.

**[٧١]** وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه أنه قال: مرّ رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: رجل من أشراف الناس هذا والله حَرِيٌّ إن خطب أن يُنكحَ، وإن شفع أن يُشَفَّعَ، قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم مرّ رجل فقال له رسول الله ﷺ: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطبَ أن لا يُنكحَ، وإن شفعَ أن لا يُشفَّعَ، وإن قال أن لا يُسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا**».

رواه البخاري في الرقاق (٥٥/٥٤/١٤)، وابن ماجه في الزهد (٤١٢٠).

يستفاد من الحديث أن المؤمن الفقير الذي يحتقره الناس ولا يقضون له حاجة ولا يبالون به قد يكون أكرم عند الله عزّ وجل وخيراً من كثير من الأغنياء الذين يحترمهم الناس ويجلّونهم ويتوددون إليهم ويقدمونهم في المحافل... ويكونون عند الله لا يزنون جناح بعوضة.

ومن عجيب أمر الناس أنهم يُكرمون الغني ويحبونه ويعظّمونه وإن لم يروا منه نفعاً، بينما الفقير يحتقرونه ويبغضونه وإن لم يروا منه شراً.

بل العجيب هو أنك ترى الكلاب تحرك أذنابها وتبش للغني وتفرح به، فإذا رأت الفقير نبحت عليه وهاجمته وأرادت عقره.

**[٧٢]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**رُبَّ أشعثَ مَدفوع بالأبواب لو أقسمَ على الله لأبرّه**».

رواه مسلم في البر والصلة (١٧٤/١٦) بالنووي.



«الأشعث»: هو الطويل العهد بترجيل شعر رأسه. وقوله: «مدفوع بالأبواب» معناه: لا قدر له ولا منزلة عند الناس فهم يحتقرونه ويطردونه عن المجامع.

والحديث يدل على أن في الضعفاء والفقراء ممن يحتقرهم الناس مَن لو سأل الله تعالى شيئاً وحلف عليه لأجابه وأبرّ قسَمه ولا يحنثه وذلك لكرامته عليه وقربه منه وفضله عنده، جعلنا الله تعالى منهم، آمين.

**[٧٣]** وعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**قمتُ على باب الجنة فإذا عامة مَن دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجَدّ محبوسون إلا أصحاب النار فقد أُمر بهم إلى النار، وقمتُ على باب النار فإذا عامّة مَن دخلها النساء**».

رواه البخاري في الرقاق (٢٠٩/١٤) وفي النكاح، ومسلم في الرقاق أيضاً (٥٣/٥٢/١٧) في باب أكثر أهل الجنة الفقراء.

**[٧٤]** وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال محمد ﷺ: «**اطّلعتُ في الجنة فرأيتُ أكثر أهلها الفقراء، واطّلعتُ في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**».

رواه مسلم (٥٣/١٧)، ومثله عن عمران بن الحصين رواه البخاري (٢٠٩/٢٠٨/١٤) وكذا رواه مسلم بنحوه، ويأتي في ذكر الجنة والنار إن شاء الله تعالى.

في هذه الأحاديث بيان أن أكثر سكان الجنة الفقراء، وذلك يدل على فضلهم، فلولا كرامتهم على الله لما حماهم الدنيا وصرف فتنتها عنهم، بينما الأكثرون سَيُحْبَسون للحساب والمناقشة، والقليل مَن ينجو منهم، عافانا الله مما ابتلى به غيرنا، فقد جاء في حديث لعبدالله بن عَمْرو: «... **واطّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء**».

رواه أحمد (١٧٣/٢) قال المنذري: بإسناد جيد.

**[٧٥]** وعن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما قالت:

قلت له: ما لك لا تطلب ما يطلب فلان وفلان؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن وراءكم عقبةً كؤوداً لا يجوزها المُثقلُون»**.

رواه الطبراني، قال المنذري: بإسناد صحيح.

وفي رواية: **«إن بين أيديكم عقبة كؤوداً لا ينجو منها إلا كل مُخِفٍّ»**.

رواه البزار، قال المنذري: بإسناد حسن.

قوله: «عقبة كؤوداً» الكؤود بفتح الكاف: هي العقبة الصعبة، والمراد بها الصراط.

والحديث بروايتيه يدل على فضل المقلّين من حطام الدنيا لأنهم الناجون من العقبة الكؤود لخفتهم، أما المكثرون المثقلون بتبعات الدنيا فلا ينجو منها إلا من ومن ممن ستشمله رحمة الله عزّ وجل.

**[٧٦]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَدخلُ فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يومٍ، وهو خمسُمائة عام»**.

رواه أحمد (٢/٢٩٦/٣٤٣/٤٥١/٥١٣)، والترمذي (٢١٧٤)، وابن ماجه (٤١٢٢) كلاهما في الزهد، وأبو يعلى (٨/٦٠)، وابن حبان (٦٧٦) وحسّنه الترمذي وصححه.

هذه مزية عظيمة للفقراء حيث إنهم يسبقون الأغنياء للجنة وينعمون ويكرمون فيها قبلهم بخمسمائة عام، إنه لفضل كبير.

وظاهر هذا الحديث أن هذا الفضل لعموم فقراء المسلمين، غير أن الحديث التالي يخصصه بفقراء المهاجرين.

**[٧٧]** فعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن فقراء المهاجرين يَسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً»**.

رواه مسلم في الزهد (١٨/١١٠).

قوله: «أربعين خريفاً» أي: أربعين عاماً.



**[٧٨]** وكذا حديث ثوبان رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«حوضي من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضاً»** فذكر الحديث وفيه: **«أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشُّعَّثُ رؤوساً، الدُّنسُ ثياباً، الذين لا ينكحون المُنَعَّمات، ولا يفتح لهم السُّدَد»** قال عمر - يعني ابن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه -: لكني نكحتُ المتنعمات، وفتحت لي السدد، نكحت فاطمة بنت عبدالملك، لا جرم أني لا أغسل رأسي حتى يشعثَ، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ.

رواه أحمد (٥/٢٧٥)، والترمذي (٢٢٦٥)، وابن ماجه (٤٣٠٣) كلاهما في الزهد، والحاكم (٤/١٨٤) وسنده صحيح، وصححه الحاكم، ويأتي في بيان الحوض.

«الشعث»: بضم الشين وسكون العين، جمع أشعث هو المتفرق الشعر الغير مسرح. «الدُّنُس» بضمتين وتسكن النون جمع الدنس بفتح وكسر، هو الوسِخُ الطويل العهد بالاغتسال. و«السدد»: بضم السين وفتح الدال جمع سدة، الباب.

ففي الحديث الأول تخصيص الفقراء السابقين إلى الجنة بفقراء المهاجرين.

كما أن الثاني يدل على أن أول من يرد على الحوض فقراء المهاجرين ولذلك اختلف العلماء هل هذا التخصيص معتبر أم لا، والظاهر أن فقراء المهاجرين يسبقون أغنياء الصحابة، وهكذا غيرهم من سائر باقي الأمة، ففقراؤهم يسبقون أغنياءهم.

والحديثان ظاهران في فضل الفقراء والفقر، وإن لقلة ذات اليد لشأناً ليس لغيره.

وكفى الفقراء فضلاً وكرامة أن أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يحبس نفسه معهم، ونهاه أن لا يطردهم عن مجلسه طاعة لمن اتبع هواه من الكفار وكان أمره فرطاً، فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ

وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ...﴾ الآية، وقال عزّ وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

**[٧٩]** وعن خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه في قوله عزّ وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعُيَيْنة بن حِصن الفزاري، فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال، وصهيب، وخباب، وناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقّروهم فأتوه فخلوا به، فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العربُ فضْلَنا، فإن وجوه العرب ترد عليك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعْبُد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فأقعدهم إن شئت، قال: «**نعم**» قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بالصحيفة ودعا علياً رضي الله تعالى عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾، ثم قال: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول: «**سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة**» فدنونا منه يومئذ حتى وضعنا رُكَبَنا على ركبتيه، فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قال: «**تجالس الأشراف ولا تُطِع مَن أغفلنا قلبه عن ذكرنا**» قال: عيينة، والأقرع، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ قال: «**هلاكاً**» ثم ضرب لهم مثلاً رجلين كمثل الحياة الدنيا، قال: فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه وإلا صبر أبداً حتى نقوم.



رواه ابن أبي شيبة في الفضائل من المصنف (٣٢٥١٨) بالآية الأولى، وأبو يعلى كاملاً، كما عند البوصيري في الإتحاف (٦٤٧٦) وسنده صحيح.

**[٨٠]** وعن عبدالرحمٰن بن سهل بن حنيف رضي الله تعالى عنهما قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وهو في بعض أبياته: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ خرج يلتمس فوجد قوماً يذكرون الله تعالى، منهم ثائر الرأس، وحافي الجِلْد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم فقال: «**الحمد لله الذي جعل في أمّتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم**».

رواه ابن جرير (١٥/٢٣٥)، والطبراني قال في المجمع (٧/٢١) ورجاله رجال الصحيح، ونحوه عن أبي سعيد الخدري عند الطبراني في الأوسط (٨٨٦) وأبي يعلى وغيرهما.

**[٨١]** وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: أُطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل ورجلان لستُ أسمّيهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدّث نفسه، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ...﴾ إلخ.

رواه مسلم في الفضائل (١٥/١٨٧/١٨٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٤٠)، وأبو يعلى (٨٢٢)، والحاكم (٣/٣١٩) وغيرهم.

ففي هذه الأحاديث فضل فقراء الصحابة ومن كان على نهجهم وسار على دربهم، وأنهم عند الله بالمكان الأعلى لا يبْلُغُ شأوَهم إلا من كان مثلهم بل جاء ما يدل على أن من أغضبهم غضب الله تعالى عليه.

**[٨٢]** فعن عائذ بن عَمرو المزني وهو من أهل بيعة الرضوان رضي الله تعالى عنه، أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب، وبلال في نفر، فقالوا: ما أخذَتْ سيوفُ الله من عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «**يا**

**أبا بكر لعلك أغضبتَهم؟ لئن كنتَ أغضبتَهُم لقد أغضبتَ ربَّك»** فأتاهم فقال: يا إخوتاه أغضبتُكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أُخَيَّ.

رواه مسلم في الفضائل (٦٦/١٦).

ففي هذا فضل ظاهر للضعفة من المؤمنين الصالحين وأن إذايتهم توجب غضب الله تعالى، فهذا أبو سفيان وإن أسلم تكلم فيه هؤلاء الصحابة الضعفة الصالحون بما يعد غيبة حتى أنكر عليهم الصدّيق، لكن النبي ﷺ راعى قلوبهم ولم ينكر عليهم ذلك لاجتهادهم في شأن أبي سفيان، بل وجه شبه العتب إلى الصدّيق فقال له: **«لعلك أغضبتهم فلئن كنت أغضبتهم لقد أغضبتَ ربك»** فهذه عظيمة بالنسبة للصدّيق فلولا فضل أولئك ومنزلتهم عند الله تعالى لما قابل الصدّيق وهو من هو بهذا الكلام.

❊ ❊ ❊

## ❊ نبذة من عيش النبي ﷺ وعيش أصحابه

**[٨٣]** عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على سرير مضطجع مرمّل بشريط، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، فدخل عليه نفر من أصحابه ودخل عمر فانحرف رسول الله ﷺ انحرافةً فلم يرَ عمر بين جنبيه وبين الشريط ثوباً، وقد أثر الشريط بجنب رسول الله ﷺ فبكى عمر، فقال له النبي ﷺ: **«ما يبكيك يا عمر؟»** فقال: والله إلا أن أكون أعلم أنك أكرم على الله عزّ وجل من كسرى وقيصر، وهما يعبثان في الدنيا فيما يعبثان فيه، وأنت يا رسول الله بالمكان الذي أرى، فقال النبي ﷺ: **«أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟»** فقال عمر: بلى، قال: **«فإنه كذاك»**.

**[٨٤]** وفي رواية عن عمر: وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وأن عند رجليه قرظاً مصبوراً، وعند رأسه أُهُبٌ مُعلّقةٌ فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال: **«ما يبكيك؟»** فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هو فيه وأنت رسول الله...



وفي رواية فقلت: يا رسول الله ادعُ الله فليوسع على أمتك فإن فارساً والروم قد وسّع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله فجلس النبي ﷺ وكان متكئاً فقال: **«أوَفي هذا أنت يا ابن الخطاب؟»** وفي رواية: **«أوَفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا»**، فقلت: يا رسول الله استغفر لي.

رواه أحمد (١٤٠/١٣٩/٣)، والبخاري في التفسير (٢٨٤/١٠) وفي النكاح (١٩٩/١١)، ومسلم فيه أيضاً (٩٢/٨٣/٨٢/١٠) من طرق وألفاظ مطولاً، وقد تقدم في مواضع.

وقوله: «أدم» بفتحتين، أي: جلد. وقوله: «قرظاً» بفتحتين، هو حَب كالعدس. وقوله: «مصبوراً» أي: مجموعاً. وقوله: «أُهُبٌ» بضمتين جمع إهاب: الجلد.

وفي هذا الحديث عبرة لنا ولأولئك المغرورين بالحياة الذين لا يألون جهداً في السعي وراء سرابها، والسخرية ممن يدعو إلى الزهد فيها والتقلُّل منها، فها هو ذا نبي الله ﷺ ينكر على ابن الخطاب ما رغب فيه ويعرّفه بأن الدنيا جعلها الله للكفرة، أما المؤمنون فاختار لهم الآخرة.

ويقول له بكل صراحة: **«أفي شك أنت يا ابن الخطاب... أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟»**.

فماذا عسى أن يقول أولئك الراغبون في الدنيا الهائمون فيها بعد هذا، فمَن كان يريد الآخرة فليأتسِ برسول الله ﷺ ويتخذه قدوة في كل ميادين حياته وليس بتطويل اللحية وتقصير الثياب فحسب.

**[٨٥]** فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: **«ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها»**.

رواه أحمد (٤٤١/٣٩١/١)، والترمذي (٢١٩٥)، وابن ماجه (٤١٠٩)

كلاهما في الزهد، والحاكم (٣١٠/٤) وهو حديث صحيح لشواهده لذلك حسّنه وصححه الترمذي.

«وطاء» بكسر الواو أي: فراشاً ليناً.

وفي الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من الانزواء عن الدنيا والزهد الكامل فيها، وقد شبّه نفسه في هذه الحياة بالراكب الذي يقطع المفاوز ويستريح تحت ظل شجرة عند اشتداد الحر فإذا ذهب وهجه انصرف عنها وتركها، فالدنيا مفازة وأهلها ركاب مسافرون يوشكون أن يقطعوها ويتركوها.

[٨٦] وليقينه ﷺ بدناءة الدنيا وفنائها، كان يقول: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**».

رواه البخاري (٧٣/١٤)، ومسلم (١٠٥/١٨) كلاهما في الرقاق، والترمذي (٢١٨١)، وابن ماجه (٤١٣٩) كلاهما في الزهد.

قوله: «قوتاً» أي: بقدر الحاجة مما لا فضول فيه يبعث على الترفُّه والتبسُّط في الدنيا وهو الكفاف.

قال ابن بطال: فيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا، والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفير نعيم الآخرة، وإيثاراً لما يبقى على ما يفنى، فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك. نقله الحافظ.

وقال القرطبي: معنى الحديث أنه طلب الكفاف، فإن القوت ما يقوت البدن ويكف عن الحاجة وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعاً.

وقد قدّمنا في الشمائل وغيرها ما فيه كفاية من عيش النبي ﷺ.

[٨٧] وعن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى قال: كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان مُمَشَّقان من كتان، فمخط في أحدهما ثم قال: بخ، بخ، يتمخط أبو هريرة في الكتان، لقد رأيتني وإني لأخرّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ وحُجرة عائشة من الجوع مغشياً علي، فيجيء الجائي فيضع



رِجله على عنقي يرى أن بي الجنون، وما بي جنون، وما هو إلا الجوع.

رواه البخاري في الاعتصام (٦٨/١٧)، والترمذي في الزهد (٢١٨٦)، وفي الشمائل (١٢٩).

«ممشقان»: بضم الميم الأولى وفتح الثانية ثم شين مشددة مفتوحة، المشق بالكسر المغرة وهو الطين الأحمر، وقوله: «بخ بخ» كلمة مدح ورضى بالشيء تكرر للمبالغة وفيها لغات.

وفيه ما كان عليه الصحابة من الحاجة الشديدة حتى كان يصل بهم الحال أن يسقطوا من صفوف الصلاة لشدة الجوع وضعفهم.

[٨٨] وعن فَضالة بن عُبَيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلّى بالناس يَخِرُّ رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة، وهم أصحاب الصُّفَّةِ حتى تقول الأعراب: هؤلاء مجانين أو مجانون، فإذا صلّى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال: «**لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقةً وحاجة**» قال فضالة: أنا يومئذ مع رسول الله ﷺ.

رواه الترمذي في الزهد (٢١٨٧)، وابن حبان (٢٥٣٨) بسند صحيح، وحسنه الترمذي وصححه.

قوله: «يخر» أي: يسقط. «من الخصاصة» بفتح الخاء، أي: الجوع والضعف.

[٨٩] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقتهم الذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني، فمرّ ولم يفعل، ثم مرّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمرّ ولم يفعل، وفي رواية ليستتبعني، ثم مرّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال: «**يا أبا هر**»، قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: «**الْحَق**» ومضى، فاتَّبَعْتُه، فدخل، فاستأذن فأذن لي

فدخل فوجد لبناً في قدح فقال: «**من أين هذا اللبن؟**» قالوا: أهداه لك فلان، أو فلانة، قال: «**أبا هِرّ**»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي**» قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقةٌ بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحقَّ أن أصيب من هذا اللبن شربةً أتقوّى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بدٌّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: «**يا أبا هر**»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**خذ فاغطِهم**»، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليّ القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد رَوِي القومُ كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسم فقال: «**يا أبا هر**»، قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: «**بقيت أنا وأنت**»، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «**أقعد فاشرب**» فقعدت فشربت، فقال: «**اشرب**» فشربت فما زال يقول: «**اشرب**» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً، قال: «**فأرني**» فأعطيته القدح، فحمد الله وسمّى وشرب الفضلة.

رواه البخاري في الرقاق (٦١/١٤) باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخلّيهم عن الدنيا.

في هذا الحديث فوائد:

منها: ما كان عليه الصحابة من الخصاصة والحاجة وقلة ذات اليد.

ومنها: صبرهم على الجوع وتحمُّلهم مشاقه رغبة في الآخرة ومحبة في صحبة رسول الله ﷺ وجواره والكون معه ونصره.

ومنها: جواز الانقطاع إلى عبادة الله ولزوم المسجد لمن لا أهل له أو لا رغبة له في التزوج، كأهل الصفة الذين كانوا ملازمين للمسجد النبوي



يتلون كتاب الله تعالى ويعبدونه قانعين بما يفتح الله تعالى عليهم، فإذا طرق باب الجهاد كانوا أول من يبادر إليه.

ومنها: أن النبي ﷺ كان يواسيهم بالصدقة ويدفع إليهم كل ما جاءه منها ولا يشاركهم فيها، فإذا جاءته هدية استدعاهم إليها وأكل معهم منها.

ومنها: تلك المعجزة العظمى التي حصلت للنبي ﷺ في البركة في اللبن حيث شرب الجم الغفير من القدح حتى شبعوا وروي جميعهم وبقي منها فضلة كان آخر من شربها النبي ﷺ، وكم لذلك من مثيل قد تقدم في السيرة.

[٩٠] وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، ورأيتنا نغزو وما لنا طعام إلا ورق الحُبْلة، وهذا السَّمر، وإن أحدنا ليضع كما تضع الشاة، ما له خِلْطٌ، ثم أصبحت بنو أسَد تُعَزِّرُني على الإسلام خِبتُ إذاً وضلّ سَعْيي.

رواه أحمد (١٧٤/١/١٨١/١٨٦)، والبخاري في الأطعمة وفي الرقاق (٦٨/١٤/٦٩)، ومسلم في الزهد والرقاق (١٠٠/١٨/١٠١) وغيرهم.

«الحبلة»: بضم الحاء وسكون الباء و«السمر» بفتح السين المشددة وضم الميم. قال أبو عبيد وغيره: هما نوعان من شجر البادية. وقيل: الحُبْلة ثمر العضاه وهو شجر الشوك كالطلح والعوسج. وقوله: «ما له خلط» بكسر الخاء، يعني يصير بعراً لا يختلط لشدة يبسه. وقوله: «تعزرني» أي: توقفني على الأحكام وتعلمني.

أفاد الحديث أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كان قد بلغ بهم الحال في الخصاصة أن أكلوا ورق الشجر ورعوا كما ترعى الدواب، والحال أنهم يجاهدون العدو حتى أنهم كانوا يضعون كما تضع الشياه من البعر.

وفيه فضل سعد بن أبي وقاص وأنه كان من أول من قاتل العدو ورمى في سبيل الله، وكان ذلك في أول سرية بعثها النبي ﷺ بإمارة عبيدة بن الحارث.

وقوله: «ثم أصبحت بنو أسد» كان هذا إنكاراً منه على بني أسد الذين شكوه إلى عمر حتى قالوا فيه: إنه لا يحسن أن يصلي، وقد تقدم ذلك في الفضائل.

**[٩١]** وقال عتبة بن غزوان رضي الله تعالى عنه: ولقد رأيتُني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قَرِحَتْ أشداقنا فالتقطت بردة فاشتققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحدٌ حياً إلا أصبح أميراً على مِصرٍ من الأمصار.

رواه أحمد (١٧٤/٤) (ج٦١/٥) ومسلم في أول الزهد (١٠٢/١٨).

قوله: «قرحت» بفتح القاف وكسر الراء، يعني صار في أفواهنا قروح وجراح من خشونة ويبوسة الورق الذي نأكله.

وهذا كالذي قبله في خصاصتهم وأكلهم ورق الشجر وأخبارهم في هذا كثيرة، وقد تقدم بعضها في كتاب السيرة.

**[٩٢]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لقد رأيت سبعين من أصحاب الصُفَّةِ ما منهم رجلٌ عليه رداءٌ، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته.

رواه البخاري في الصلاة في نوم الرجل في المسجد (٨٣/٨٢/٢).

يستفاد من هذا الحديث أن هؤلاء الصحابة لم يكن لأحد منهم رداء وإزار ولا له ثوبان، بل كانوا قد بلغوا في الحاجة إلى فقد ما يستر جميع جسد أحدهم وهذا نهاية ما يكون من الخصاصة، فقد كانوا جامعين بين الجوع والعري لكنهم توسّعوا بعد الفتوحات الإسلامية وأقبلت عليهم الدنيا، وأصبح الكثير من فقرائهم أمراء على الأمصار رضي الله تعالى عنهم.

**[٩٣]** وعن أبي هريرة أيضاً قال: خرج النبي ﷺ في ساعة لا يخرج



فيها، ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر فقال: **«ما جاء بك يا أبا بكر؟»** فقال: خرجت ألقى رسول الله ﷺ وأنظر في وجهه والتسليم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر فقال: **«ما جاء بك يا عمر؟»** قال: الجوع يا رسول الله، قال: **«وأنا قد وجدت بعض ذلك»**، فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التَّيِّهان الأنصاري وكان رجلاً كثير النخل والشاء ولم يكن له خدم، فلم يجدوه فقالوا لامرأته: أين صاحبك؟ فقالت: انطلق يستعذب لنا الماء، ولم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقِرْبَةٍ يَزْعَبُها، فوضعها ثم جاء يلتزم النبي ﷺ ويَفْدِيه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقته فبسط لهم بساطاً ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقِنْوٍ فوضعه، فقال النبي ﷺ: **«أفلا تنقيت لنا من رطبه؟»** فقال: يا رسول الله إني أردت أن تختاروا، وقال: **«تخيّروا من رُطَبِهِ وبُسْره»** فأكلوا وشربوا من ذلك الماء، فقال رسول الله ﷺ: **«هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة ظِلٌّ باردٌ ورُطبٌ طَيِّبٌ وماءٌ باردٌ»**، فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاماً فقال النبي ﷺ: **«لا تذبَحَنَّ ذات دَرٍّ»** فذبح لهم عَناقاً أو جدياً، فأتاهم بها فأكلوا، فقال النبي ﷺ: **«هل لك خادم؟»** قال: لا، قال: **«فإذا أتانا سَبْيٌ فأتِنا»**، فأُتِي النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالثٌ، فأتاه أبو الهيثم فقال النبي ﷺ: **«اختر منهما»**، فقال: يا نبي الله اختر لي، فقال ﷺ: **«إن المُستشار مُؤتمَن، خذ هذا فإني رأيته يصلي واستَوْصِ به معروفاً»** فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت امرأته: ما أنت ببالغ ما قال فيه النبي ﷺ إلا أن تُعتِقه، قال: هو عَتِيقٌ، فقال النبي ﷺ: **«إن الله لم يبعث نبياً ولا خليفة إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً، ومن يُوق بطانة السوء فقد وُقِي»**.

رواه أبو داود في الأدب (٥١٢٨)، والترمذي في الزهد (٢١٨٨)، وفي الشمائل (١٣٤) مطولاً بسند صحيح على شرط البخاري عند الترمذي في طريق، ورواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٨) مختصراً إلى قوله: **«هل لك خادم»** وأبعاضه واردة عند غير الترمذي مفرّقة بأسانيد صحيحة.

«يستعذب»: أي يأتينا بماء عذب. «يزعبها»: كيمنعها أي: يحملها

ممتلئة. «فجاء بقنو»: بكسر القاف، هو عذق النخلة الحامل للتمر. «ذات در»: أي صاحبة لبن. «عناقاً»: بفتح العين، هي الأنثى من المعز. «بطانة»: بكسر الباء، هو الصاحب الذي تثق به وتطلعه على سرك. «لا تألوه خَبَالاً»: أي لا تقصر في إفساد أمره، والخبال: الفساد.

وفي الحديث بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ هو وأصحابه من الحاجة والخصاصة وشظف العيش وقلة ذات اليد حتى من الضروريات التي يقيمون بها أصلابهم، وهم مع ذلك صابرون راضون بما قدّر الله تعالى عليهم، محتسبون قانعون بما يسد رمقهم.

هذا ونبينا ﷺ قد عرض عليه الرب تعالى أن يكون نبياً غنياً... فاختار الفقر مع العبودية للّه عزّ وجل. وقد قدّمنا في الشمائل النبوية ما فيه كفاية من ذكر ما جاء في عيش النبي ﷺ.

وفي الحديث مع ذلك فوائد لا تخفى على القارىء اللبيب.

❊ ❊ ❊

## ❊ حال من كان همه الدنيا

[٩٤] عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَن كانت الدنيا همَّه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومَن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة»**.

رواه أحمد (١٨٣/٥) وابن ماجه في الزهد (٤١٠٥)، وابن حبان بالموارد (٧٢)، وسنده صحيح.

وأخرجه الترمذي في صفة القيامة (٢٢٨٦) عن أنس بنحوه.

[٩٥] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: **«إن الله يقول: يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي، أملأ صدرك غِنًى وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأتُ يديك شُغْلاً ولم أسُدَّ فقرك»**.



رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٢٨٧)، وابن ماجه في الزهد (٤١٠٧)، وابن حبان (٢٤٧٧) بإسناد لا بأس به وهو صحيح لسابقه ولشاهد له عن معقل بن يسار.

رواه الحاكم في الرقاق (٤٢٦/٤) وصححه.

قوله: «وأسد فقرك» أي: أقضي لك مهماتك وأغنيك عن الخلق.

الحديثان يدلان على أن الله عزّ وجل يعامل عباده حسب نياتهم وهممهم، فمن كان همه الآخرة والعمل لها والانقطاع لعبادة الله جمع الله شمله وقضى له ما يهمه من أمر دنياه وجعل قلبه غنياً به تعالى.

أما من كانت نيته الدنيا وطلبها والجري وراءها والغرور بزينتها وبهجتها وشهواتها ناسياً آخرته، فهذا سيملأ الله يديه شغلاً ويعيش مفتوناً مشتت الشمل فقير الصدر وإن ملك الدنيا كلها.

وفي القرآن الكريم: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾.

قال المفسرون: عبّر تعالى بحرثي الآخرة والدنيا عن العمل، فحرث الآخرة الإيمان والعمل الصالح. وحرث الدنيا هو العمل لها والقناعة بها وبمشتهياتها، فمن كان قصده الآخرة ضاعف الله له الأجور، ومن كان همه الدنيا أعطاه الله ما قدر له منها وكان في الآخرة صفر اليدين لا نصيب له منها، وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾.

ومعناه أن من كان يريد بعمله الدنيا فقط، فلها يعمل ويسعى ليس له هم إلا الدنيا وزينتها ومستلذاتها، عجّل الله تعالى له فيها ما يشاء تعجيله من نعيمها لا كل ما يريده، ثم جعل له في الآخرة جهنم يدخلها مهاناً حقيراً طريداً من رحمة الله.

ومن أراد الدار الآخرة وعمل لها عملها الذي يليق بها من الطاعات والحالة أنه مؤمن صادق الإيمان، فهذا كان عمله مقبولاً عند الله.

فكل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة يعطيه تعالى من عطائه الواسع فضلاً منه تعالى فيعطي المؤمن والكافر والطائع والعاصي، وما كان عطاؤه تعالى ممنوعاً عن أحد... ثم ختم الآيات بقوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ تزهيداً في الدنيا وترغيباً في الآخرة.

وقال عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

قال قتادة: من كانت الدنيا همه ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها، وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة.

وفي أمثال هؤلاء ممن لا تهمهم الآخرة ولا يرجون لقاء الله يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾.

فهذا الصنف من الناس يشمل الكفار وأشباههم ممن أعمتهم الدنيا عن الآخرة وأصبحوا كأنهم لا يتوقعون لقاء الله ولا يخطر ببالهم ما سيلقونه وراء هذه الحياة، فهؤلاء قد قنعوا بهذه الحياة الخسيسة عن الآخرة النفيسة، وآثروا ما يفنى على ما يبقى واطمأنوا بها وسكنوا إليها وغفلوا عن آيات الله التشريعية والكونية فلم ينظروا ولم يتفكروا، فهؤلاء مثواهم ومصيرهم النار بسبب إجرامهم ونسيانهم ما خلقوا لأجله.

والآيات في هذا المعنى كثيرة في القرآن الكريم كلها تزهد في الدنيا وتقلل من شأنها وترغب في الآخرة وتعظم أمرها.

* * *



## ❊ لا تنظر إلى من هو فوقك في الدنيا

[٩٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»**.

وفي رواية: **«إذا نظر أحدُكم إلى مَن فُضِّل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى مَن هو أسفل منه ممن فُضِّل عليه»**.

رواه أحمد (٢/٢٥٤/٤٨١)، والبخاري بالرواية الثانية في الرقاق (١٤/١٠٥)، ومسلم في الزهد والرقائق (١٨/٩٧)، والترمذي في صفة القيامة (٢٣٣١)، وابن ماجه في الزهد (٤١٤٣) وغيرهم بالرواية الأولى.

قوله: «أجدر» أي: أحق. «أن لا تزدروا»: أي تحتقروا نعمة الله عليكم.

يستفاد من الحديث أنه يجب على المسلم أن ينظر دائماً إلى من هم دونه في الخلقة والصورة والمال والأهل والأولاد ونِعَم الدنيا ليدوم شكره لله تعالى وإكباره لما أسدى إليه من النعم، ولا ينظر إلى من هو فوقه ممن فضل عليه في حُسن الصورة وتمام الجسم والبسط في الدنيا وكثرة المال والرياسة والجاه والصدارة والمناصب، فإن من نظر إلى أمثال هؤلاء احتقر ما أنعم الله تعالى به عليه من نعمه الكثيرة المتوالية، ثم هو مع ذلك لا يزال في تعب مع نفسه في منافستهم واللحاق بهم وتفوقه عليهم، وذلك عذاب عظيم وخسران مبين.

قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير، لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير... نقله النووي رحمه الله تعالى.

هذا ما يتعلق بشؤون الدنيا، أما أمور الآخرة فينبغي للإنسان أن ينظر دائماً إلى من هو فوقه في قوة الإيمان والاستقامة وكثرة الأعمال الصالحة ليحتقر نفسه وتقصيره، فيحمله ذلك على التنافس مع من تفوّق عليه في تقوى الله عزّ وجل وتزكية نفسه، وفي ذلك خيره وصلاحه إن شاء الله.

***

## فائدة

**[٩٧]** إذا علمت ما تقدم من التزهيد في الدنيا والأمر بالحذر منها وفضل الفقر والفقراء وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من التقلّل من الدنيا والإعراض عنها والرغبة في الآخرة، تبين لك فضل الفقر وذم الغنى، وقد اختلف علماؤنا رحمهم الله تعالى في أيهما أفضل اختلافاً كثيراً فمنهم من رجح الفقر، ومنهم من رجح الغنى، ومنهم من فصل كأبي حامد الغزالي ومن تبعه.

والحق في ذلك أن يقال: إن الأمر يختلف باختلاف الأحوال، فالفقير الصابر القانع الراضي خير وأفضل من الغني الشاكر، فلا ينبغي أن يتشكك في ذلك لأن الفقر هو الذي اختاره الله تعالى لنبيه ﷺ فكان أزهد الناس في الحياة وعاش مقلاً من الدنيا قانعاً بالكفاف والقوت الذي كان يدعو به فيقول: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**». وكان راضياً بما آتاه الله منها ولا يختار الله له إلا الأفضل.

وهذا ما اختاره أكثر مشايخ الصوفية وكثير من العلماء وقالوا: إن الغنى وإن كان فيه خير لكنه عائق عن الله عزّ وجل غالباً، والفقر وإن كان فيه خطر أيضاً غير أن الغنى أشد خطراً من فتنة الفقر، فالسلامة معه أكثر. وانظر للتوسع كتاب الفقر من «الإحياء» لأبي حامد الغزالي، وكتاب الرقاق من «الفتح» في باب فضل الفقر.

***



## ذكر الموت والقبور

**[٩٨]** قال أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «**يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفةُ تتبعها الرادِفة، جاء الموتُ بما فيه، جاء الموتُ بما فيه**».

رواه أحمد (١٣٦/٥)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٧٨)، والحاكم (٤٢١/٢) وصححه، وهو كما قال الشاهد له.

«الراجفة»: النفخة الأولى. «الرادفة»: النفخة الثانية.

وفي الحديث تذكير من النبي ﷺ لأمته بأن يكثروا ذكر الله عزّ وجل قبل مجيء الموت والقيامة حيث لا ينفع الإنسان شيء إلا ما قدّمه في حياته.

**[٩٩]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِروا ذِكْرَ هَاذِمِ اللذّاتِ**». يعني: الموت.

رواه أحمد (٢٩٣/٢)، والترمذي (٢١٢٩)، وابن ماجه (٤٢٥٨) كلاهما في الزهد، والنسائي (٤/٥)، وابن حبان (٢٥٥٩)، والحاكم (٣٢١/٤) بسند صحيح، وحسّنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

«هاذم»: بالذال المعجمة، أي: قاطع، وبالدال المهملة، أي: دافعها ومخربها.

ذكر الموت يكون بالتفكر فيه وفي سكراته وشدائده وما سيؤول أمر الإنسان إليه من نعيم أو عذاب وبماذا سيختم له ومن سيتولى قبض روحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب، وماذا سيلقى في قبره؟ هذا هو ذكره وليس معناه ترداد لفظ الموت باللسان كما يفعله البعض.

ولا شك أن التفكر فيما ذكرناه ينغص عيش الإنسان ويقطع لذاته ويخربها، ويحمله على الاستعداد للقاء الله عزّ وجل. أما نسيانه والغفلة عنه فيعتبر كارثة وخسارة... ولذا قال القائل:

واذكُـر الـموتَ تـجـدْ راحـةً ... في ادّكارِ الموتِ تقصيرُ الأمَلْ

والقائل الآخر:

صَاحِ شَمِّرْ ولاَ تَزَلْ ذَاكِرَ الموتِ فنِسيانه ضلالٌ مُبينْ

**[١٠٠]** وعن هانىء مولى عثمان قال: كان عثمان رضي الله تعالى عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يَبُلَّ لحيتَه، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: **«إن القبر أولُ منزلٍ من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه»**، قال: وقال رسول الله ﷺ: **«ما رأيتُ منظراً قط إلا القبر أفظع منه»**.

رواه أحمد (٦٤/٦٣/١)، والترمذي (٢١٣٠)، وابن ماجه (٤٢٦٧) كلاهما في الزهد، والحاكم (٣٣١/٣٣٠/٤)، والبيهقي في السنن (٥٦/٤) وسنده حسن كما قال الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الحديث يدل على أن هول القبر عظيم، وأن منظره أفظع شيء وأشنعه، فليس للإنسان أهول ما يلقاه بعد موته من القبر، ولذلك كان سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه يبكي إذا وقف على قبر ويتأثر بمنظره لأنه أول منزل ينزله الراحل عن هذه الدار فلا يدري ماذا سيلقى فيه، فالله المستعان على ما هنالك.

ولتأثير القبور على القلوب والاتعاظ بها سنّ لنا النبي ﷺ زيارتها وأخبرنا بأن ذلك يُذكّر الآخرة ويُرقّق القلوب ويُدمع العيون.

**[١٠١]** فعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قد كنتُ نهيتكُم عن زيارة القبور، فقد أُذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها فإنها تذكّر الآخرة»**، وفي رواية: **«فإنها تذكّر الموت»**، وفي أخرى: **«فإنها تُرقّق القلب، وتُدمِع العين، وتُذكّر الآخرة، ولا تقولوا هُجراً»**.

رواه أحمد (٣٦١/٥)، ومسلم في الجنائز (٤٦/٧) وفي الأضاحي (١٣٤/١٣)، والترمذي (٩٣٩)، والنسائي (٧٣/٤)، وأبو داود (٣٢٣٥) كلهم في الجنائز واللفظ للترمذي، والرواية الثانية لمسلم والنسائي عن أبي هريرة، والثالثة رواها الحاكم (٣٧٦/١).



قوله: «هجراً» بضم الهاء وسكون الجيم، هو الكلام القبيح الفاحش.

الحديث جاء بالإذن في زيارة القبور بعد النهي عنها لما فيها من مصالح، أهمها: أنها تذكّر زوّارها بالموت والآخرة وترقّق قلوبهم وتحملهم على البكاء من خوف المآل وفي ذلك خير لهم. فإن المتردد على المقابر لا يزال صاحياً من غفلاته حزيناً على تقصيره في جانب ربه باكياً على تفريطه في حقوقه.

وقد كان من عادات السلف إكثارهم من الترداد على المقابر والاعتبار بها عملاً بالسنّة النبوية، ولهم في ذلك أخبار وحكايات مؤثرة.

قيل للإمام علي رضي الله تعالى عنه: ما شأنك جاورت المقبرة؟ فقال: إني أجدهم خير جيران، إني أجدهم جيران صدق، يَكُفُّون الألسنة ويُذكّرون الآخرة..

وكان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يقعد إلى القبور فقيل له في ذلك فقال: أجلس إلى قوم يُذَكّروني معادي، وإذا قمت لم يغتابوني.

ونظر عمرو بن العاص إلى المقبرة فنزل فصلّى ركعتين فقيل له: هذا شيء لم تكن تصنعه، فقال: ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببتُ أن أتقرّب إلى الله بهما.

وكان جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه يأتي القبور ليلاً ويقول: يا أهل القبور ما لي إذا دعوتكم لا تجيبوني، ثم يقول: حيل والله بينهم وبين جوابي، وكأني بي أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر.

وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول: ما أحسن ظواهركِ إنما الدواهي في بواطنك.

وكان عطاء السلمي إذا جَنّ عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم قال: يا أهل القبور متُّم فوامَوْتاه، وعاينتُم أعمالكم فواعملاه، ثم يقول: غداً عطاء في القبور، غداً عطاء في القبور، فلا يزال ذلك دأبَه حتى يُصبحَ.

وقال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبدالعزيز رضي الله

تعالى عنه إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل عليّ فقال: يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذّاتهم وعيشهم، أما تراهم صرعى قد حلّت بهم المثلاتُ، واستحكم فيهم البِلَى، وأصابت الهوام مقيلاً في أبدانهم، ثم بكى وقال: والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمِنَ منْ عذاب الله.

وقال ثابت البناني: دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها إذا بصوت قائل: يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها.

وقال حاتم الأصم: مَن مرّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدعُ لهم فقد خان نفسه وخانهم.

وكان الربيع بن خُثَيم قد حفر في داره قبراً فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ثم يرددها ويرد على نفسه: يا ربيع قد رجّعتُك فاعمل.

قال أبو موسى التميمي: توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن: يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة، فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال:

أخافُ وراءَ القبر إن لم تُعافِني ... أشدَّ من القبر التِهاباً وأضْيَقا
إذا جاءني يومَ القيامةِ قائدٌ ... عنيفٌ وسوّاقٌ يَسوقُ الفرزدقا
لقدْ خابَ من أولادِ آدم مَن مشى ... إلى النار مغلولَ القلادةِ أزرقا

ومرّ داود الطائي على امرأة تبكي على قبر ولدها وهي تقول:

عُدِمتُ الحياةَ ولا نِلتُها ... إذا كنت في القبرِ قد ألحدوكَ
فكيف أذوقُ لطعمِ الكرَى ... وأنتَ بيمناك قد وسَّدوكَ



ثم قالت: يا ابناه بأي خدَّيك بدأ الدود؟ فصعِق داود مكانه وخرّ مغشياً عليه.

وقال مالك بن دينار: مررت بالمقبرة فأنشأت أقول:

وأين المُدِلُّ بسُلطانهِ ... وأين المُزَكي إذا افتخر

فنوديت من بينها أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً:

تفانَوْا جَميعاً فما مُخْبر ... وماتوا جميعاً وماتَ الخبرُ
تروحُ وتَغدو بَناتُ الثَّرى ... فتَمْحُو محاسن تلك الصُّور
فيا سائلي عن أناسٍ مَضوا ... أما لك فيما ترى مُعْتَبَر

ووجد على قبر مكتوباً:

يا أيُّها الناسُ كان لي أملٌ ... قَصُر بي عن بلوغه الأجلُ
فليتقِ اللّهَ ربَّه رجلُ ... أمكنَه في حياته العملُ
ما أنا وحدي نُقِلتُ حيث ترى ... كُلٌّ إلى مثله سَيَنْتَقِلُ

ووجد على قبر آخر:

إنّ الحبيب من الأحباب مُخْتَلسٌ ... لا يمنعُ الموتَ بوَّابٌ ولا حرَسُ
فكيف تفرحُ بالدنيا ولذَّتِها ... يا مَن يُعَدُّ عليه اللفظُ والنَّفَسُ
أصبحتَ يا غافلاً في النقص مُنْغمِسَا ... وأنت دهرك في اللذات منغمِسُ
لا يرحم الموتُ ذا جهل لِغِرّته ... ولا الذي كان منه العلم يُقْتَبَسُ
كم أقرتْ الموتُ في قبر وقفت به ... عن الجواب لساناً ما به خَرَسُ
قد كان قصرُك معموراً له شُرف ... فقبرك اليوم في الأجداث مندَرِسُ

وكلامهم وأخبارهم وأحوالهم في هذا الباب أكثر من أن يأتي عليها الحصر، وقد اعتنى العلماء بأقوال وأخبار الزهّاد والعباد في الموت وأحواله إذ الموت لا ينجو منه أحد مهما كان حاله ومستواه وقوته فهو من السنن

الإلهية في خلقه، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تلفت الأنظار إلى هذا الأمر الجلل، والحدَث الخطير لتعتبر بها ذوو البصائر ويستعدوا له بما يجب من الزاد والعمل الصالح والتوبة النصوح.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾، وقال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾، وقال: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾، وقال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، وقال لنبيه وحبيبه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

وكان من دعاء النبي ﷺ: «**أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**».

فالموت لا يهاب أحداً، ولا يخاف ذا سلطان أو جاه أو مال أو منعة، ولا يرحم صغيراً، ولا يوقر كبيراً.

قال أبو العتاهية:

بَيـن عَيـنـي كـلِّ حـي ... عَـلَـمُ الـمـوتِ يـلـوحُ
نُـح عـلـى نـفـسِـك يـا ... مسكيـنُ إن كنـتَ تنـوحُ
لَتَمـوتَـنَّ وإن عُـمِّـرْ ... تَ مـا عُـمِّـرَ نُـوحُ

وقال مسلم بن الوليد:

كم رأينا من أناس هلكوا ... وبكى أحبابُهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدَهم ... ودُّهم لو قدّموا ما تركوا

وقال أبو جعفر المنصور العباسي عند وفاته:

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت ... سِنُوك وأمرُ الله لا بُدَّ واقعُ
فهل كاهِنٌ أعددتَه أو مُنَجِّم ... أبا جعفر عنك المنية دافعُ

وقال عدي بن زيد:

أين أهلُ الديار من قوم نوح ... ثم عاد من بعدهم وثمودُ



بينما هم على الأسِرَّة والأنـ ... ـماطِ أفضتْ إلى التراب الخدودُ
وأطباءُ بعدهم لحقوهم ... ضَلّ عنهم سُعوطُهم واللُّدودُ
وصحيح أضحى يعودُ مريضاً ... وهو أدنى للموت ممن يعودُ

وقال آخر:

ولدتْك إذ ولدتْك أمُك باكِيًا ... والقومُ حوْلك يضحكون سرورًا
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكَوْا ... في يوم موتك ضاحكاً مسرورًا

* * *

## حفظ الجوارح

**[١٠٢]** عن أبي سعيد رفعه: «**إذا أصبح ابنُ آدم فإن الأعضاء كُلَّها تُكفِّر اللسان فتقول: اتّقِ الله فينا فإنّما نحن بك، فإن استقمْتَ استقمْنا، وإن اعوججت اعوجَجْنا**».

رواه الترمذي في الزهد (٢٢٢٧)، وابن خزيمة والبيهقي في الشُّعب (ج٤/٢٤٣/٢٤٤) وسنده حسن.

«تكفر اللسان»: أي تتذلل وتخضع له.

والحديث يدل على أن الجوارح كلها تابعة للسان فإن استقام وصلح كان ما عداه تابعاً له وإن اعوجَّ وفسد اعوجّت الجوارح وفسدت، وفيه صحة كلام الأعضاء وأطراف الإنسان وأنها تتكلم كل صباح وتناشد اللسان بكلام لا نسمعه ولا نفهمه.

**[١٠٣]** وعن بلال بن الحارث رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغَ ما بلغتْ، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة**».

رواه أحمد (٤٦٩/٣)، والترمذي في الزهد (٢١٣٩)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٦٩)، والحاكم (٤٥/١) وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الواجب على المسلم أن يكون على حذر مما يتكلم به فقد تخرج من لسانه هفوة لا يشعر بخطرها وفيها ما يوجب سخط الله عليه حتى يلقاه، وفي هذا مجال واسع هلك بسببه أقوام وأقوام، وقد قدّمنا بعض هذا في الأدب.

**[١٠٤]** وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«ويلٌ للذي يُحدّث بالحديث ليُضحِك القوم فيكذب، ويلٌ له، ويلٌ له»**.

رواه أحمد (٧/٣/٢/٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٩٠)، والترمذي في الزهد (٢١٣٦)، والنسائي في الكبرى (٣٢٩/٦)، والحاكم (٤٦/١) بسند حسن.

في الحديث وعيد شديد وذم لمن اعتادوا الإكثار من المزاح والتشدق بحكايات وأكاذيب ليُضحكوا بها الناس في المجالس والمجامع، وأن ذلك يُعد من كبار الذنوب.

نعم لا مانع من المزاح المرة بعد المرة إذا كان عارياً عن الكذب، وذكّر الناس بما يكرهون، فقد جاءت بذلك السنة العملية والقولية.

* * *

## ❊ زنا الجوارح

**[١٠٥]** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ما رأيت أشبه باللَّمَم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: **«إن اللّهَ كتب على ابن آدم حظَّه من الزِّنا، أدرك ذلك لا محالة، فزِنا العين النظر، وزِنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرجُ يُصَدِّق ذلك كلّه ويكذّبه»**.



وفي رواية عنه ﷺ قال: **«كُتِبَ على ابن آدم نصيبُه من الزنا، مدركٌ ذلك لا محالةَ، فالعينان زناهما النظر، والأُذُنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليدُ زناها البطش، والرِّجْلُ زِناها الخُطا، والقلبُ يهوَى ويتمنّى ويُصدِّق ذلك الفرجُ ويُكذبُه»**.

وفي رواية: **«لكلِّ بني آدمَ حَظٌّ من الزنا، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرِجلان يزنيان وزناهما المشي، والفم يزني وزناه القُبل، والقلب يهوى ويتمنى، والفرجُ يصدّق ذلك أو يُكذّبه»**.

رواه البخاري في الاستئذان (٢٦٣/١٣)، ومسلم في القدر (٢٠٦/٢٠٥/١٦) بالرواية الأولى، ورواه مسلم بالرواية الثانية، أما الثالثة فرواها أحمد (٣٤٣/٢) وغيره بسند صحيح، وهو عند أحمد (٥٣٥/٥٢٨/٤١١/٣٧٢/٢) بنحو ما سبق.

**[١٠٦]** وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، رواه أحمد (٤١٢/١) بسند صحيح بلفظ: **«العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزني»**.

قوله: «إن الله كتب» أي: قدّر في اللوح المحفوظ، فإن المقادير كلها كتبت فيه قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف عام كما قدّمنا في القدر. وقوله: «حظه» أي: نصيبه، وقوله: «وزناه القبل» بضم القاف وفتح الباء، جمع قبلة.

الحديث بجميع رواياته يدل على أن لكل هذه الجوارح المذكورة حظاً من الزنا لا بد وأن يقع لأنه قد سبق به قضاء الله وقدره.

وذكر ﷺ من هذه الجوارح الزانية ثمانية وهي: العينان، والأذنان، واليدان، والرجلان، والفم، واللسان، والقلب، والفرج، فالسبعة الأولى زناها مجازي سمي بذلك لأنه وسيلة إلى الزنا الأكبر الحقيقي وهو الفاحشة، ولأن كل جارحة تأخذ حظها من الالتذاذ والشهوة. فالعينان تستلذان بالنظر إلى محاسن المرأة والمثير منها وهي كلها فتنة ومثيرة، والنظر هو رائد الزنا

وأول فتنة تصيب القلب، والأذنان تستلذان بالاستماع إلى كلام المرأة الرقيق وخاصة الأغاني فهي بريد الزنا، واليدان تتلذذان بالملامسة، والرجلان تتلذذان بالمشي إلى الموعد، واللسان يتلذذ بالكلام والمغازلة مع النساء، والفم يتلذذ باللثم والتقبيل، أما القلب فيتلذذ بالتفكُّر والتمنِّي.

وهذه كلها مقدمات ووسائل للفاحشة، فالفرج هو الذي يصدق ما سبق من الوسائل أو يكذبها، فإن وقع الإنسان في الفاحشة كتب عليه جميع ما سبق مضافاً إليها وكان قد أتى جريمة من أعظم الجرائم.

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: معنى الحديث أن ابن آدم قدر عليه نصيب من الزنا، فمنهم من يكون زناه حقيقياً بإدخال الفرج في الفرج الحرام، ومنهم من يكون زناه مجازاً بالنظر الحرام أو الاستماع إلى الزنا وما يتعلق بتحصيله، أو بالمس باليد بأن يمس أجنبية بيده أو يقبّلها، أو بالمشي بالرِجل إلى الزنا، أو النظر أو اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية ونحو ذلك أو بالفكر بالقلب. فكل هذه أنواع من الزنا المجازي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه، معناه: أنه قد يحقق الزنا بالفرج وقد لا يحققه بأن لا يولج الفرج في الفرج وإن قارب ذلك، والله أعلم... قال: وأما قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة، فمعناه تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ ومعنى الآية والله أعلم: الذين يجتنبون المعاصي غير اللمم يغفر لهم اللمم كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾، فمعنى الآيتين أن اجتناب الكبائر يسقط الصغائر وهي اللمم.

وفسره ابن عباس بما في هذا الحديث من النظر واللمس ونحوهما، وهو كما قال.

هذا هو الصحيح في تفسير اللمم... إلخ.

* * *



## ❊ شهوات البطون والفروج

**[١٠٧]** عن أبي بَرْزَة الأسلَمِي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: **«إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومُضِلات الهوى»**.

رواه أحمد (٤/٤٢٠/٤٢٣) بسند صحيح.

قوله: «شهوات الغي» بفتح الغين وتشديد الياء، أصله الضلال والانهماك في الباطل. قوله: «ومضلات الهوى» أي: ما تهواه النفس من المعاصي.

خشي النبي ﷺ على أمته ما سيتبعونه من الشهوات الباطلة والانهماك في الضلال والإغراق في موافقة النفس في مستلذاتها وإطلاق العنان لها في تناول أكل المحرمات وإتيان الفواحش من الزنا واللواط... واتباع كل ما تهواه من شهواتها المحظورة.

وقد وقعت الأمة فيما خاف عليها ﷺ فغوت وضلّت وانهمكت في الغي والضلال ولم تعد تفكر وتهتم إلا فيما يعود إلى البطون والفروج.

* * *

## ❊ ترك ما لا يعني

**[١٠٨]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**.

رواه الترمذي في الزهد (٢١٣٨) وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٦) متصلاً ومرسلاً، والحديث حسّنه النووي وغيره.

الحديث يدل على أن ترك ما لا حاجة فيه من دين أو دنيا من محاسن الإسلام وكمال الإيمان، ويدخل في هذا كل المكروهات وكثير من المباحات.

* * *

## ❊ البِر والإثم

[١٠٩] عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال النبي ﷺ: **«البِرُّ حُسنُ الخُلُق، والإثمُ ما حاكَ في نفسِك وكرِهتَ أن يطَّلِعَ عليه الناس»**.

رواه أحمد (١٨٢/٤)، ومسلم في البر والصلة (١١١/١١٠/١٦)، والترمذي في الزهد (٢٢٠٧)، والبخاري في الأدب المفرد.

«البر»: بكسر الباء، هو اسم جامع لكل خير وحسن الخلق بعض أفراده.

وقوله: «ما حاك في نفسك» أي: تحرك وتردد في الصدر.

في الحديث بيان ما يعرف به البر والإثم، وأن الأول معظم أنواعه معاملة الآخرين بالأخلاق الحسنة والمعاملة الجميلة، بينما النوع الثاني وهو الإثم الذي يلام عليه الإنسان هو كل شيء يتردد في النفس ولا يطمئن إليه القلب ولا ينشرح إليه ويدخل في هذا المحرمات والمشتبه فيها والمكروهات وبعض المباحات التي تخل بالمروءة، فإن كثيراً من ذلك يفعله الإنسان ولا يحب أن يطلع عليه غيره من الناس فيعرف أن ذلك قد يكون من المباحات المشتبه فيها فتلحق بما في تعاطيه إثم، أما المحرمات المقطوع بها فلا يتردد القلب في محظورها ومنعها.

❊ ❊ ❊

## ❊ الحذر من الذنوب وإن دقّت

[١١٠] عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إيّاكم ومُحَقَّرات الذنوب، فإنما مَثَلُ مُحَقَّرات الذنوب كمثل قومٍ نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى جمعوا ما**



**أنضجوا به خُبزهم، وإنّ مُحقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تُهلكه»**.

رواه أحمد (٣٣١/٥) قال الحافظ في الفتح: بسند حسن بل هو صحيح في الجملة.

[١١١] فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يا عائشة إياكِ ومُحَقَّرات الأعمال فإن لها من الله طالباً»**.

رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٤٣) قال في الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

«محقرات»: بضم الميم وفتح الحاء والقاف المشددة، هي الذنوب التي يحتقرها الناس ولا يبالون بها.

والحديثان يدلان على وجوب الحذر من صغار الذنوب التي لا يتورع الناس عن ارتكابها كأكل لقمة من طعام الغير بغير إذنه أو نظرة إلى ما لا يحل النظر إليه أو لمس يد امرأة أجنبية مثلاً، فأمثال هذه الهفوات وإن كانت صغائر تغفر بالحسنات لكن الإصرار عليها قد يصيِّرها كبيرة تهلك الإنسان ويعاقبه الله عليها في الدنيا والآخرة، وقد ضرب النبي ﷺ للإصرار على صغار الذنوب مثلاً بقوم سفر نزلوا بواد وتفرقوا يجمعون الحطب ليوقدوا ناراً، فجاء كل واحد بعود فاجتمع عندهم ما أنضجوا به خبزهم. فهكذا صغار الذنوب إذا تراكمت أهلكت صاحبها.

قال ابن بطال: المحقرات إذا كثرت صارت كباراً مع الإصرار. وقد أخرج أسد بن موسى في الزهد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها وينسى المُحَقَّرات فيلقى الله وقد أحاطت به، وإن الرجل ليعمل السيئة فلا يزال منها مُشفقاً حتى يلقى الله آمناً. ذكره الحافظ.

[١١٢] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشَّعر، إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات. يعني بذلك المهلكات. وفي رواية: كنا نعدها ونحن مع رسول الله ﷺ من الكبائر.

رواه البخاري في الرقاق (١١٣/١٤) بالرواية الأولى والثانية، عزاها الحافظ في الفتح إلى الإسماعيلي، يعني في مستخرجه على صحيح البخاري.

قوله: «أدقُّ» أفعل تفضيل من الدقة، أي: هي أهون وأحقر عندكم من دقة الشعر.

وفي هذا الأثر إشارة إلى تغيُّر الحال التي كان عليها الناس أيام النبوة وأن ما كانوا يعدّونه من الذنوب مهلكاً أصبح عند من جاء بعدهم شيئاً حقيراً لا يتورعون عنه، وفيه التحذير من التهاون بارتكاب صغار الذنوب وتحقيرها، وذلك ليس من شأن المؤمن كما يدل عليه الآتي:

**[١١٣]** فعن الحارث بن سويد رحمه الله تعالى قال: حدثنا عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه حديثين: أحدهما: عن النبي ﷺ، والآخر: عن نفسه، قال: «**إن المؤمنَ يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذُباب مرّ على أنفه**» فقال به هكذا... بيده فوق أنفه.

رواه البخاري في الدعوات (٣٥١/٣٥٠/١٣)، وأحمد رقم (٣٦٢٧) والترمذي في صفة القيامة (٢٣١٧).

ففي هذا بيان موقف المؤمن والفاجر من الذنوب، فالمؤمن يستعظمه ويخاف العقوبة عليه بينما الفاجر يحتقره ولا يعيره أي اهتمام.

قال الحافظ: قال ابن أبي جمرة: السبب في ذلك أن قلب المؤمن منور فإذا رأى من نفسه ما يخالف ما ينور به قلبه عظم الأمر عليه... قال الحافظ: وحاصله أن المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان فلا يأمن العقوبة بسببها، وهذا مثل المؤمن أنه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله السيىء، ثم نقل عن المحب الطبري، قال: إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من الله ومن عقوبته لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله فلذلك قلّ خوفه واستهان بالمعصية.



**[١١٤]** وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأعْلَمنَّ أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً، فيجعلها الله عزّ وجل هباءً منثوراً**» قال ثوبان: يا رسول الله صِفْهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «**أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**».

رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٤٥) قال في الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

قوله: «من جلدتكم» أي: من جنسكم. «ويأخذون من الليل» أي: يأخذون من عبادة الليل وقيامه نصيباً مثلكم.

في هذا الحديث وعيد شديد وتهديد أكيد لمن ينتهكون محارم الله عزّ وجل في خلواتهم، فرغم أنهم يُكثرون من القربات والأعمال الصالحة ويحيون الليالي بالقيام، فإن كل ذلك سيجعل لهم كالهباء الذي تنثره الرياح، لأنهم ماتوا مصرّين على ما كانوا يفعلون ولم يتوبوا ويرعووا عما كانوا يأتون.

**[١١٥]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا أذنب ذنباً نُكِتَتْ في قلبه نكتةٌ سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقِل قلبُه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلوَ قلبَه فهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾**».

رواه أحمد (٢٩٧/٢)، والترمذي في التفسير (٣١١٧)، والنسائي في الكبرى (٥٠٩/٦)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٤)، وابن حبان (١٧٧١)، والحاكم (٥١٧/٢) وحسّنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

«نُكِتَتْ»: بضم النون وكسر الكاف، أي: جعل فيه أثر كالنقطة شبه الوسخ في المرآة. «صقل»: بالصاد والسين بضم أوله، أي: جلي وذهب صداه. قوله: «الران» قال المفسرون: هو الذنب على الذنب حتى يسود

القلب. وذكر ابن كثير: أن الرين يعتري الكفار، والغيم الأبرار، والغين المقربين. وأصل الران، ويقال: الرين من ران وهو التغطية والصدأ على القلب وهو يعتري الكفار والمسرفين في الإجرام والفواحش. فالذنوب إذا تتابعت على القلب ولم يتب صاحبها أصبح أسود مظلماً فإن تاب ورجع إلى الله تعالى صقل وانجلى.

❊ ❊ ❊

## ❊ أكثر ما يدخل الناس الجنة والنار

[١١٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «**تقوى الله وحُسن الخُلُق**» وسئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار قال: «**الفَمُ والفَرْج**».

رواه أحمد (٢/٢٩١/٣٩٢/٤٤٢) والترمذي في البر والصلة (١٨٤٨) وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٦) وابن حبان في الموارد (١٩٢٣)، وحسّنه الترمذي وصححه.

في الحديث بيان أكثر ما يوجب الجنة وما يوجب النار.

فأكثر أسباب دخول الجنة تقوى الله والاستقامة والخلق الحسن.

قال ابن المبارك: حسن الخلق هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى. أما أكثر أسباب موجبات النار فالفم والفرج لما يرتكبانه من الفواحش وكبار الذنوب والموبقات، فالفم ينشأ عنه الكفر والكذب واللعن والشتم والقذف وغيرها من الكبائر. والفرج ينشأ عنه الزنا واللواط... وهما من الفواحش العظام، فالإصرار على ما يصدر منهما موجب للنار إلا أن يعفو ربنا الكريم. وإنما عبّر ﷺ بقوله: «**أكثر**» لأن أسباب الجنة والنار لا تنحصر فيما ذكر.

[١١٧] وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: قال



رسول الله ﷺ: «**مَن يضمن لي ما بين لِحيَيْه وما بين رِجْليه أضمن له الجنة**»، وفي رواية: «**من يتوكل لي... أتوكل له بالجنة**».

رواه البخاري في الرقاق (١٤/٩٠) وفي المحاربين، والترمذي في الزهد (٢٢٢٨) وابن ماجه.

قوله: «من يضمن لي» هو معنى: من يتوكل لي. قال الحافظ: بمعنى الوفاء بترك المعصية، فأطلق الضمان وأراد لازمه وهو أداء الحق الذي عليه. فالمعنى: من أدّى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه، وأدى الحق الذي يجب على فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام. وقوله: «ما بين لحييه» المراد به اللسان. و«ما بين رجليه»: الفرج.

ففي الحديث التحريض على حفظ اللسان والفرج، وأن من حفظهما وقام بما يجب من حقوقهما كانت له الجنة مضمونة بضمان النبي ﷺ.

[١١٨] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن وقاهُ اللّهُ شرَّ ما بين لِحيَيْه، وشرَّ ما بين رجليه دخل الجنة**».

رواه الترمذي في الزهد (٢٢٢٩)، وابن حبان بالموارد (٢٥٤٦)، وحسّنه الترمذي وصححه، وسنده صحيح عنده.

«من وقاه الله»: أي حفظه من شرهما.

ففي الحديث بشارة بالجنة كسابقه لمن حفظ هذين العضوين الخطيرين، ودخول الجنة لمن حفظهما يحتمل الدخول بدون سابقة عذاب إن مات صاحبهما طيباً تقياً. ويحتمل الدخول ولو بعد سابقة عذاب إن كان هناك ما يوجب العذاب من كبار الذنوب التي لم يتب منها صاحبها التي ارتكبها بغير لسانه وفرجه. والله غفور رحيم.

❊ ❊ ❊

## ❊ استحيوا من اللّه حق الحياء

**[١١٩]** عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اسْتَحيوا من الله حقَّ الحياء»**، قلنا: يا نبيَّ الله إنا نَسْتَحْيِي والحمد للّه، قال: **«ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتذكر الموت والبِلَى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء»**.

رواه أحمد (٣٦٧١) (ج١/٣٨٧)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٧٩)، والحاكم (٣٢٣/٤)، والبيهقي في الشعب (١٤٢/١٤١/٦) و(٣٥٤/٧) كلهم من طريق الصباح بن محمد وهو ضعيف. لكن للحديث طريق آخر، رواه الطبراني في الصغير (١٧٧/١) وجاء أيضاً عن الحسن مرسلاً كما أشار إليه البيهقي، فالحديث حسن والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قوله: «الرأس وما وعى» أي: ما حفظه، والمراد به حفظ ما وعاه من معرفة الله تعالى والعلم بالحلال والحرام وأن لا يضيع ذلك، ثم حفظ السمع والبصر واللسان من هفواتها.

وقوله: «والبطن وما حوى» أي: ما جمع فيه بأن يحفظه من أكل الحرام وما فيه شبهة وأن يحفظ كذلك فرجه من الفواحش. وقوله: «البِلَى» أراد به مآل الإنسان في القبر.

فيستفاد من الحديث أن الحياء من الله تعالى هو أن لا يرى الإنسان على معصيته ومخالفة أمره، فمن حفظ جوارحه وراقب الله عزّ وجل في ذلك فهو المستحيي منه، وهذا باب واسع فإنه يدخل فيه حتى إتيان بعض المباحات فضلاً عن خلاف الأولى والمكروهات. فقد وجد في السلف من كان يستحيي من الله أن يمد رجليه، أو يكشف عورته عند قضاء حاجته، نسأل الله تعالى العفو والمسامحة وأن يعاملنا بمحض فضله، آمين.

❊ ❊ ❊



## ❊ اضمنوا لي ستًّا أضمن لكم الجنة

**[١٢٠]** عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أدُّوا إذا ائتُمِنتُم، وأوفوا إذا عاهدتم، واصدقوا إذا حدّثتم، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكُفُّوا أيديكم»**.

رواه أحمد (٣٢٣/٥)، وابن حبان (٥٠٦/١)، والحاكم (٣٥٩/٣٥٨/٤) والبيهقي في السنن (٢٨٨/٦) وفي الشعب (٣٢١/٣٢٠/٤) بسند حسن، وهو وإن كان منقطعاً فإن له شاهداً عن أنس بن مالك، رواه الحاكم (٣٥٩/٤)، بسند حسن وشاهد ثان عن الزبير، رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٦٥/٣٦٤/٤) ولا يضر انقطاعه، فالحديث بذلك صحيح.

هذه ست خصال من ضمنها للنبي ﷺ وحافظ عليها كان ضامناً له الجنة بإذن الله تعالى وهي: أداء الأمانات، وحفظ العهود، والصدق في الحديث، وحفظ الفروج من الفواحش، وغض الأبصار عن المحارم، وكف الأيدي عن سفك الدماء، وأخذ أموال الناس بالباطل، وضرب من لا يستحق الضرب، وغير ذلك.

وما أشد هذه الست وأثقلها على النفوس إلا من وفقه الله تعالى.

❊ ❊ ❊

## ❊ مَن يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن أو يُعَلِّم من يعمل بهن

**[١٢١]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يُعلّم من يعمل بهن؟»** فقال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعدّ خمساً وقال: **«اتّقِ المحارمَ تكن أعبدَ الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسِن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحِبَّ للناس ما تحبّ لنفسك تكُن مسلماً، ولا تُكثِر الضحك فإن كثرة الضحك تُميت القلب»**.

رواه أحمد (٢/٣١٠)، والترمذي في أول الزهد (٢١٢٧)، والبيهقي في الشعب (٧/٧٨) وفي سنده جهالة، لكنه حسن كما قال الترمذي فإن له طريقاً آخر بنحوه، رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢١٧) وحسّنه البوصيري في الزوائد.

وقسم الضحك رواه ابن ماجه (٤١٩٣) بسند صحيح.

«المحارم»: جمع محرَمة بفتح الراء وضمها وهي كل ما لا يحل انتهاكه من المحظورات. وقوله: «تكن أعبد الناس» أي: من أعبدهم، لأن ترك ذلك يوجب القيام بالفرائض. وقوله: «بما قسم الله لك» أي: ما أعطاك من الرزق «تكن أغنى الناس» أي: غنياً بقلبك لقناعتك. وقوله: «تميت القلب» أي: تصيّره كالميت لا يأتي منه شيء ينتفع به.

فهذه الخصال الخمس من جوامع الوصايا والإرشادات النبوية ولها أخوات ستذكر لاحقاً. فمن تخلّق بها كان قد حاز قصب السبق في الخير والبر:

**أولاً**: من توقّى المحرمات الظاهرة والباطنة كان من أعبد الناس لأن صحيفته تكون نقية من السيئات، ويلزم من ذلك الإتيان بالواجبات، فإن زاد على ذلك الإتيان بالنوافل ولو قليلة ازداد بذلك خيراً وبركة، وهذا هو العابد، والإقلال من نوافل الأعمال مع ترك المحرمات، وأداء الواجبات خير كثير للعبد من كثرة الأعمال الصالحة وكثرة السيئات، فإن السلامة لا يضاهيها أي شيء.

**ثانياً**: من رضي وقنع بالقسمة التي قدّرها الله تعالى له من الرزق ولم يتطلع لغير ذلك كان أغنى الناس لأن الغنى في الحقيقة هو غنى القلب وذلك يكون بالقناعة بالمقدور.

**ثالثاً**: إسداء الخير إلى الجار ورفع الأذى عنه من موجبات كمال الإيمان، وقد تقدم في البر والصلة ما جاء من الوصية بالجار.

**رابعاً**: لا يكمل إيمان المرء وإسلامه حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.



**خامساً**: إن الضحك المشروع المحمود هو التبسُّم، والضحك بالقهقهة وإن كان مباحاً أحياناً كما جاء في السنّة، لكن الإكثار منه والمداومة عليه يصيّر القلب مريضاً وقد يقسو ويصدأ بالران فيموت فلا يؤثر فيه شيء ولا يأتي منه خير البتة، عياذاً بالله.

* * *

## ❊ ثلاث منجيات وثلاث مهلكات

**[١٢٢]** عن أنس رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثٌ كفّاراتٌ، وثلاثٌ درجاتٌ، وثلاثٌ مُنجياتٌ، وثلاثٌ مُهلِكاتٌ. فأما الكفارات: فإسباغ الوضوء في السَّبَرَات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ونقل الأقدام إلى الجماعات. وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام. وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغِنى، وخشية الله في السر والعلانية. وأما المُهلِكات: فشُحٌّ مطاعٌ، وهوى مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المرء بنفسه**».

رواه البزار (٨٠) مع كشف الأستار كاملاً، ورواه البيهقي في الشعب (١/٤٧١) مختصراً، وللحديث طرق وشواهد عن جماعة من الصحابة.

قال المنذري رحمه الله تعالى في الترغيب: وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى. وقال النور في المجمع (١/٩١) وفيه زائدة بن أبي الرقاد وزياد النميري وكلاهما مختلف في الاحتجاج به، وقد علمت أن له شواهد.

في الحديث اثنتا عشرة خصلة، تسع منهن يحملن بشارات ومسرّات، وثلاث منهن فيهن وعيد وتهديد وتحذير.

فالتسع الأُوَلُ منهن، ثلاث يكفرن الخطايا والذنوب وهن: إتمام الوضوء عند شدة البرد، وانتظار صلاة ثانية بعد أداء الأولى، ونقل الخطا إلى المساجد لصلاة الجماعة. وثلاث يرفعن لصاحبها درجات يوم القيامة

وهي الإنفاق في أوجه الخير وإطعام المحتاجين وإفشاء السلام بين الناس ثم الصلاة ليلاً والناس في غمرة نائمون. وثلاث ينجين صاحبها من المهالك في الدنيا والآخرة وهي العدل وإعطاء كل ذي حق حقه في جميع الأحوال سواء كان المرء غضبان أم راضياً. والقصد والوسط في الإنفاق حالتَيْ الفقر والغنى كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ وخوف الله في السر والعلن.

أما الثلاث البواقي فهن الموبقات المهلكات للإنسان وهن: الشح والبخل بما يملكه الإنسان من متاع وحطام، واتباع هوى النفس في كل ما تشتهيه من محظورات، وإعجاب المرء بنفسه إما لجماله أو ماله أو حسبه أو علمه أو عمله... فهذه مهلكات لمن أصرّ عليها ومات متلبساً بها.

❊ ❊ ❊

## ❊ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً

[١٢٣] عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماءُ وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملكٌ واضعٌ جبهته لله ساجداً، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفُرشِ، ولخرجتم إلى الصُعُداتِ تجأرون إلى الله لوددت أني كنت شجرةً تُعضَد»**.

رواه أحمد (١٧٣/٥)، والترمذي (٢١٣٤)، وابن ماجه (٤١٩٠) كلاهما في الزهد، والحاكم (٥١٠/٢) (ج٤/٥٤٤/٥٧٩) بسند صحيح، وله شاهدان عن أبي الدرداء وأبي هريرة عند الحاكم وغيره.

[١٢٤] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»**.

رواه البخاري في التفسير وفي الرقاق (١٠٢/١٤)، ومسلم في



الفضائل، والترمذي في الزهد (٢١٣٥)، والدارمي في الرقاق (٢٧٣٨).

ومثله عن أنس عند البخاري في الرقاق (١٠٢/١٤)، وابن ماجه (٤١٩١) في الزهد.

قوله: «أطّت السماء» أي: صوّتت. «الصُعُدات»: بضم الصاد والعين جمع صعد بضمتين، والمراد بها هنا البراري. «تجأرون»: أي تتضرعون من الجؤار وهو التضرع ورفع الصوت بالاستغاثة.

والحديث الأول: يدل على عظمة أمر الله في خلقه وما جعله في السماء وأودع فيها من كثرة الملائكة حتى ثقلت بحملهم، وذلك يدل على عظمة الله عزّ وجل وكبريائه كما يدل على ما كان عليه النبي ﷺ من العلم بأحوال البرزخ وما وراء الطبيعة من الأهوال التي كان يشاهدها وكثرة الملائكة وأنواع الجن من العفاريت والزوابع وغير ذلك مما يتعلق بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه..

فلو شاهد الواحد منا ذلك لما ضحك ولعاش حياته باكياً ولما تلذذ بامرأة قط ولخرجنا جميعاً فارّين بأنفسنا إلى البراري والمفاوز نستغيث بالله ونجأر إليه.

❊ ❊ ❊

## ❊ الانقطاع إلى الله عزّ وجل

[١٢٥] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف، فشكى المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال: **«لعلك تُرزَق به»**.

رواه الترمذي في الزهد (٢١٦٥)، والحاكم (٩٤/١)، وابن عبدالبر في كتاب العلم (٥٩/١) وسنده صحيح على شرط مسلم عند الترمذي.

في قوله ﷺ: **«لعلك تُرزق به»** دليل على أن الانقطاع إلى الله

عزّ وجل لعبادته أو تعلُّم دينه يعد من أعظم أسباب الرزق، وأن أسباب طلب العيش ليست خاصة بالمهن والحرف وغيرها من الأسباب الحسية العادية بل من أهمها وأعظمها تقوى الله والانقطاع لعبادته عزّ وجل. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾.

ولا أدل على ما ذكرنا من قوله ﷺ للأخ المحترف: «**لعلك ترزق به**» يعني بسبب عبادة أخيه وانقطاعه إلى مجالسة النبي ﷺ وتعلُّمه منه ما يأتي إليه من الوحي الإلٰهي يُهيىء الله له الرزق ويغدقه عليه.

❊ ❊ ❊

## ❊ من نزلت به فاقة فأنزلها بالله

**[١٣٦]** عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدّ فاقته، ومَن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزقٍ عاجلٍ أو آجل**».

رواه أحمد (٣٦٩٦)، وأبو داود في الزكاة (١٦٤٥)، والترمذي في الزهد (٢١٤٦) بسند صحيح على شرط مسلم.

«فاقة»: أي حاجة شديدة. «لم تسد» أي: لم تقض.

والحديث يدل على أنه ينبغي للمؤمن أن ينزل جميع شؤونه ومطالبه بالله، وأن يتعلق به تعلقاً كاملاً لأنه القادر على تغيير الحال وقضاء المآرب كلها، أما الغير فليس له من التصريف والتدبير في هذا الكون بذاته قلامة ظفر أو أقل، فكيف يعتمد عليه دون الله.

❊ ❊ ❊



## ❊ ثلاث أقسم عليهن

**[١٣٧]** عن أبي كبشة الأنصاري رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاثٌ أُقسِمُ عليهن، وأُحدثكم حديثاً فاحفظوه**»، قال: «**ما نقص مالَ عبدٍ من صدقة، ولا ظُلم عبدٌ مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقرٍ** ـ أو كلمة نحوها ـ، **وأحدثكم حديثاً فاحفظوه**»، فقال: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي ربه فيه ويصل به رحمه ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهو بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء**».

رواه أحمد (٤/٢٣١)، والترمذي في الزهد (٢١٤٥) بهذا السياق مطولاً، ورواه أحمد (٤/٢٣٠)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٢٨) بالاقتصار على المثل، وحسّنه الترمذي وصححه.

قوله: «يخبط» بفتح الياء وكسر الباء، ومعناه: يتصرف فيه على غير بصيرة، وفي المثل: (فلان يخبط خبط عشواء).

**في الحديث فوائد وإرشادات:**

**أولاً:** فضل الصدقة وأن المال الذي أُخرجت منه ينمو ويزداد بركة.

**ثانياً:** فضل الصبر وحبس النفس عن التسخُّط والتضجُّر عندما يصاب الإنسان بظلم في ماله، أو عرضه، أو أهله، وأنه بذلك يزداد عزاً ورفعة.

**ثالثاً:** ذم التسوُّل وخاصة الإكثار منه لغير ضرورة، فإن ذلك يفتح عليه باب الفقر والحاجة.

**رابعاً:** ضرب النبي ﷺ مثلاً للدنيا بأربعة نفر: ذي علم ومال، وذي علم لا مال له، وذي مال بلا علم، وذي فاقة وجهل.

فالأولان أجرهما سواء، الأول: بعلمه ونفقته، والثاني: بنيته، فهما بأعلى المنازل يوم القيامة، والأخريان: وِزرهما سواءٌ، الأول: بخبْطه في مال الله بغير حق وبصيرة، والثاني: بنيته السيئة فهما في النار سيّان بأقبح المنازل عياذاً بالله.

❊ ❊ ❊

## ❊ العزلة راحة للمؤمن من خُلاَّط السوء

**[١٢٨]** عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: **«مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره»**.

رواه البخاري في الجهاد وفي الرقاق (١١٥/١٤)، ومسلم في فضل الجهاد (٣٤/٣٣/١٣) وغيرهما.

«الشعب»: أصله الطريق بين الجبلين.

**[١٢٩]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من خير معاش الناس لهم رجلٌ مُمْسك عِنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هَيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانَّه، أو رجل في غُنَيْمَةٍ في رأس شَعَفَةٍ من هذه الشَّعَف، أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير»**.

«على متنه» أي: ظهره. وقوله: «هيعة» هي الصوت عند حضور العدو. وقوله: «يبتغي القتل مظانه» أي: يطلبه في مواطنه التي يرجى فيها لعظيم رغبته في الشهادة. وقوله: «شعفة» بفتحات هي أعلى الجبل.



**[١٣٠]** وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: **«ألا أُخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعِنان فرسه في سبيل الله، ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في غُنَيْمَةٍ يؤدي حق الله فيها، ألا أخبركم بشر الناس؟ رجل يسأل بالله ولا يعطى به»**، وفي رواية: **«رجل معتزل في شعب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعتزل شرور الناس»**.

رواه أحمد (٣٢٢/٣١٩/٢٣٧/١)، والترمذي في فضائل الجهاد (١٥١٥)، والنسائي في الكبرى (٤٤/٢)، وابن حبان (١٥٩٤/١٥٩٣) ورجاله رجال الشيخين غير ابن لهيعة. ولا يضر هنا للحديث السابق ولشاهد آخر عن أبي هريرة.

رواه الحاكم (٦٧/٢) وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

قوله: «بعنان» بكسر العين، وهو سيرُ اللجام.

في هذه الأحاديث دليل على أن أفضل الناس الصنفان المذكوران:

**أولهما:** وهو أفضلهما رجل مؤمن يجاهد في سبيل الله لا يسمع صوتاً أو نداءً بذلك إلا خرج يطلب الشهادة والقتل في سبيل الله حريص على ذلك شديد الرغبة في قتال العدو.

**ثانيهما:** وهو يتلو سابقه في الفضل رجل مؤمن معتزل عن الناس في غنيمة له في رأس جبل أو في شعب من الشعاب أو نحو ذلك، قانع بما أعطاه الله من الرزق القليل، يعبد الله ويتّقيه ويؤدي حقوقه ليس من الناس إلا في خير لا يؤذي أحداً يدوم على ذلك حتى يأتيه أجله المحتوم.

وقد استدل بهذه الأحاديث من اختار العزلة على الخلطة وهم أكثر الزهّاد والنسّاك وكثير من أهل العلم لأن في ذلك السلامة من كثير من الغوائل والفتن والمعاصي.

والحق الأبلج الذي لا ينبغي أن يختلف فيه، هو أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، والزمان، والمكان، فقد تكون العزلة واجبة أو مستحبة على الأقل إذا ظهرت الفتن وكثر الشر وأهل الفساد، وعلى ذلك

يحمل كل ما جاء في هذا الصدد كما تقدم لنا في حديث أبي سعيد: «يوشك أن يكون خير مال المسلم... يفر بدينه من الفتن» وحديث عبدالله بن عمرو: «وإذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم» أي: اختلطت وفسدت ولم يبقَ لهم عهود ولا حرمة ولا ذمام. «وخفت أماناتُهم» أي: قلّت فيهم الأمانة وأصبحوا يموج بعضهم في بعض فلا يعرف الأمين من الخائن ولا البر من الفاجر... وشبك بين أصابعه ثم قال له: «الزم بيتك واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر الخاصة، ودع عنك أمر العامة».

فإذا رأى المسلم ما ذكر فعليه أن يعتزل شرور الناس ومجامعهم العامة ويحفظ عليه لسانه ويأخذ ما يعرفه من الشريعة فيتمسك به ويشارك الناس في الجماعات والجمعات وغير ذلك من المعروف، ويترك ما ينكره من أمر الناس، وعليه نفسه فليجاهدها في الله وليسعَ في تزكيتها وليدع شؤون العامة فلا يتدخل فيها، هذا ما يقتضيه المقام والسلامة لا يعد لها شيء.

❊ ❊ ❊

## ❊ إذا أراد اللّه بعبد خيراً عسَّلَهُ

[١٣١] عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا أراد الله بعبدٍ خيراً استعمله»** فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: **«يوفقه لعملٍ صالحٍ قبل الموت»**.

رواه أحمد (٣/١٠٦/١٢٠)، والترمذي في القدر (١٩٧٤)، وابن حبان (١٨٢١)، والحاكم (١/٣٤٠) بسند صحيح على شرطهما، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم.

[١٣٢] وعن عمرو بن الحَمِق الخزاعي قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أراد الله بعبد خيراً عسَّله قبل موته»** قيل: وما عسَّله قبل موته؟ قال: **«يفتح له عمل صالح بين يدَي موته حتى يرضى عنه مَن حوله»**.



وفي رواية: **«يفتح له عمل صالح بين يدي موته يؤخذ به عنه فيحببه إلى أهله وجيرانه»**.

رواه أحمد (٤/١٣٥) (ج٥/٢٢٤)، وابن حبان (١٨٢٢/١٨٢٣)، والحاكم (١/٣٤٠) وسنده صحيح.

وقوله: «عسله» شبّه العمل الصالح بالعسل لأن العرب تسمي كل ما تستحليه عسلاً.

الحديثان يدلان على أن من وفّق للعمل الصالح آخر حياته والإقبال على الله عزّ وجل فمات على ذلك، كان ذلك علامة على حُسن حاله، وأن الله تعالى أراد به خيراً، وأنه سعيد بفضل الله ورحمته.

❊ ❊ ❊

## ❊ الأعمال بالخواتيم

[١٣٣] عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: نظر النبي ﷺ إلى رجل يقاتل المشركين، وكان من أعظم المسلمين غَنَاءً عنهم فقال: **«مَن أحبّ أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا»**، فتبعه رجل فلم يزل على ذلك حتى جُرحَ فاستعجل الموت فقال بِذُبابة سيفه فوضعه بين ثَدْيَيْه فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه، فقال النبي ﷺ: **«إن العبدَ ليعملُ فيما يرى الناسُ عملَ أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمالُ بخواتيمها»**.

رواه البخاري في الرقاق (١١/١١٣/١١٤)، ومسلم في القدر (١٦/١٩٩/٢٠٠).

[١٣٤] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عملُه بعمل**

**أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة».**

رواه مسلم في القدر (١٦/١٩٩).

ما ذكر في هذين الحديثين من انقلاب آخر العمر هو نادر والله سبحانه وتعالى حكم عدل، فمَن انقلبت أعماله من أعمال أهل الجنة إلى أعمال أهل النار فمات عليها لا بد وأن يكون في قلبه دغل ودخَن ولم يكن في إسلامه وأعماله صادقاً.

وإنما ذكر الحديثان وأمثالهما ليكون المؤمن على حذر وأن لا يأمن من سوء الخاتمة.

ونقل الحافظ عن ابن بطال قال: في تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة، وتدبير لطيف، لأنه لو علم وكان ناجياً أعجِب وكسل، وإن كان هالكاً ازداد عتواً فحُجب عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء.

قال الحافظ: وقد روى الطبري عن حفص بن حُمَيد قال: قلت لابن المبارك: رأيت رجلاً قتل رجلاً ظلماً فقلت في نفسي: أنا أفضل من هذا، فقال: أمنك على نفسك أشد من ذنبه. قال الطبري: لأنه لا يدري ما يؤول إليه الأمر، لعل القاتل يتوب فتُقبلُ توبتُه، ولعل الذي أنكر عليه يختم له بخاتمة السوء.

❋ ❋ ❋

## ❋ جهاد النفس

**[١٣٥]** عن فضالة بن عُبَيْدٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: **«ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم، وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب».**



رواه أحمد (٦/٢١/٢٢)، وابن حبان (٢٥) مطولاً، ورواه الترمذي في الجهاد (١٤٨٦) وحسّنه وصححه، وابن ماجه في الفتن (٣٩٣٤)، وابن حبان (٢٥١٩)، والحاكم (١/١٠/١١) مختصراً وسنده صحيح.

وللحديث شواهد لأبعاضه تقدم بعضها في الإيمان وفي الأدب وشاهدنا منه هنا جملتا جهاد النفس والهجرة.

أما جهاد العدو، فقد تقدم الكلام عليه في كتاب الجهاد بما أغنى عن إعادته، وأما جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر كما جاء به حديث: **«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، جهاد النفس»** فمعناه: قصرها وحملها على طاعة الله عزّ وجل أمراً ونهياً، وإتماماً للفائدة الأكيدة ننقل ما ذكره الحافظ في الفتح على قول البخاري في الرقاق: باب من جاهد نفسه في طاعة الله عزّ وجل ما نصه:

وقال ابن بطال: جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾، ويقع بمنع النفس عن المعاصي، وبمنعها من الشبهات، وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة لتتوفر لها في الآخرة.

قال الحافظ: ولئلا يعتاد الإكثار فيألفه فيجره إلى الشبهات فلا يأمن أن يقع في الحرام، قال: ونقل القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق: من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريق شبهة. وعن أبي عمرو بن بجيد: من كرم عليه دينه هانت عليه نفسه.

قال القشيري: أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات، وحملها على غير هواها. وللنفس صفتان: انهماك في الشهوات، وامتناع عن الطاعات. فالمجاهدة تقع بحسب ذلك. قال بعض الأئمة: جهاد النفس داخل في جهاد العدو، فإن الأعداء ثلاثة: رأسهم الشيطان، ثم النفس، لأنها تدعو إلى اللذات المفضية بصاحبها إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرب، والشيطان هو المعين على ذلك ويزينه لها، فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه، فمجاهدته نفسه حملها على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه،

وإذا قوي العبد على ذلك سهل عليه جهاد أعداء الدين فالأول: الجهاد الباطن، والثاني: الجهاد الظاهر.

قال الحافظ: وجهاد النفس أربع مراتب: حملها على تعلُّم أمور الدين، ثم حملها على العمل بذلك، ثم حملها على تعليم من لا يعلم، ثم الدعاء إلى توحيد الله وقتال من خالف دينه وجحد نعمه، وأقوى المعين على جهاد النفس جهاد الشيطان بدفع ما يلقي إليه من الشبهة والشك، ثم تحسين ما نهى عنه من المحرمات، ثم ما يفضي الإكثار منه إلى الوقوع في الشبهات، وتمام ذلك من المجاهدة أن يكون متيقظاً لنفسه في جميع أحواله فإنه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات وبالله التوفيق.

أما بالنسبة للجملة الثانية وهي الهجرة، فالهجرة العادية المعروفة تقدم الكلام عليها في الجهاد وفي السيرة.

أما الهجرة الحقيقية التي يحسب لها ألف حساب هي هجرة المعاصي والذنوب والفواحش والابتعاد عنها، ويلزم من ذلك هجران أهلها وقرناء السوء، ثم هجران مظان وقوعها ومواضعها. وبذلك تتم طاعة العبد لمولاه ويصلح حاله وتتزكى نفسه، وفقنا الله تعالى لما يوجب رضاه وأبعدنا مما يوجب سخطه ومقته.

* * *

## ❊ اتقِ اللّه حيثما كنت

**[١٣٦]** عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتقِ الله حيثُما كنت، وأتبِع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالق الناسَ بخُلُقٍ حسنٍ»**.

رواه أحمد (١٥٣/٥)، والترمذي في البر والصلة (١٨٣١)، والدارمي في الرقاق (٣٧٩٤)، والحاكم (٥٤/١) وحسنه الترمذي وصححه، وكذا



صححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم، وليس كما قال بل هو صحيح فقط، وما قيل من انقطاعه ينجبر بشواهده.

وهذا الحديث من جوامع إرشاداته ﷺ، فإن التقوى أساس الدين، وما ذكر بعدها هو من ذكر الخاص بعد العام، فإن فعل الحسنات بعد السيئات، ومعاشرة الناس بالأخلاق الحسنة من جملة التقوى.

والتقوى اسم مأخوذ من الوقاية وهو البُعد أو التباعد عما يضر، وجاء الأمر الإلهي بالتقوى في القرآن والسنة مسنداً تارة للّه تعالى كقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، ﴿وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ﴾ ومرة مسنداً إلى عذاب الله وناره كقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾، وثالثاً جاءت مسندة إلى يوم القيامة كقوله عزّ وجل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

والمراد بالجميع هو التحفُّظ مما يوجب عذاب الله وعقابه وسخطه وغضبه وذلك يكون بالإيمان الصحيح والتوحيد الخالص، والعمل الصالح، واجتناب ما ينافي ذلك من الشرك والكفر والمعاصي والرذائل.

ولذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: المتقي: من يتقي الشرك والكبائر والفواحش.

والتقوى على مراتب خمسة: تقوى الكفر وتكون بالإيمان واعتناق دين الإسلام والنطق بالشهادتين. وتقوى المعاصي والفواحش وتكون بتركها مع العمل الصالح ولزوم التوبة كلما وقع ذنب. وتقوى الشبهات وتكون بلزوم الورع والابتعاد عما يحوم حول الحرام. وتقوى المباحات وتكون بالزهد في الحياة والمشتهيات المباحة. وتقوى ما سوى الله من الكائنات وتكون بوحدة الشهود والحضور مع الله في كل الحالات والإعراض عما سواه، وهذه أعلى مراتب التقوى ولا يتصف بها إلا أكابر المقربين.

ولعظم التقوى اهتمّ الله عزّ وجل بها في القرآن الكريم وذكرها في نحو من مائتين وأربعة عشر موضعاً إما أمراً بها أو مدحاً لها أو لأصحابها، أو بياناً لجزاء المتصفين بها وما أعدّه الله لهم في الآخرة، وقد ذكرتها مفصلة في كتابي «مع السابقين إلى الجنة بلا عتاب ولا عقاب».

وقد أكثر الله تعالى ورسوله ﷺ الأمر بها، وأشهر ما جاء في القرآن

في ذلك قوله عزّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾.

وقوله جلّ ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾.

وجاء في ذلك عشرات الأوامر بها.

وهكذا جاء الأمر بها عن النبي ﷺ بكثرة كقوله في موعظته المشهورة: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة**».

ولما خطب يوم النحر في حجة الوداع وصّى الناس بتقوى الله والسمع والطاعة لأئمتهم، وقال لأبي ذر في حديث له طويل: «**أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله**»، وقال أبو سعيد الخدري: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «**أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء**». وقال: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**».

**[١٣٧]** وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الله ربَّكم، وصلُّوا خَمْسكم، وصوموا شهركم، وأدُّوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم**».

رواه الترمذي قبل الزكاة (٥٤٨)، وابن حبان (٧٩٥)، والحاكم (٣٨٩/١) بسند صحيح، وحسّنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وهذا الحديث قطعة من خطبته ﷺ في حجة الوداع...

وكان ﷺ إذا بعث سرية وصّى أميرها في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً كما قدّمنا ذلك في الجهاد.

وعلى أيٍّ، فتقوى الله هي وصية الله لجميع خلقه من الأولين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، ولم يزل المسلمون منذ أيام السلف الصالح حتى وقتنا هذا وإلى ما شاء الله يتواصون بالتقوى والتحلّي بها في السر والعلن.

* * *



## ❊ قل ربي الله ثم استقم

**[١٣٨]** وعن سفيان الثقفي رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»، وفي رواية: «**قل ربي الله ثم استقم**»، قلت: فما أتقي؟ فأومأ إلى لسانه، وفي رواية: قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تخاف عليّ؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال: «**هذا**».

رواه مسلم في الإيمان (٩/٨/٢) مختصراً باللفظ الأول، ورواه أحمد (٤١٣/٣ و٣٨٥/٤)، والترمذي في الزهد (٢٢٣٠)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٢) كاملاً.

والحديث موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الآية.

فمن آمن بالله عزّ وجل وآمن بباقي كليات الإيمان ثم لزم طاعة الله وداوم على ذلك حتى الموت فقد حاز كل خير ولا يحتاج إلى شيء آخر يسأل عنه.

والاستقامة هي الثبات على الإيمان وطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ في الأقوال والأفعال والسلوك الحسن مع التخلي عن الفواحش والآثام، وهذا هو المطلوب من العبد ولأجله خُلق.

قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في رسالته: الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه وخاب جهده، قال: وقيل: الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر لأنها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدَي الله تعالى على حقيقة الصدق، ولذلك قال ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا**».

وقوله ﷺ: «**اتقِ الله حيثما كنت**» يعني: أينما كنت في حضرك أو سفرك وعلى أي حال كنت في سرك وعلانيتك.

## ❋ إن الحسنات يُذهبن السيئات

وقوله ﷺ: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**» موافق لقوله عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ويزيد ذلك وضوحاً الأحاديث التالية:

**[١٣٩]** فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة وإني أصبت منها دون أن أمسها، فأنا هذا فاقضِ فِيَّ بما شئت، فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك، قال: فلم يرد النبي ﷺ شيئاً فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبي ﷺ رجلاً دعاه وتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، فقال رجل من القوم: يا نبي الله هذا له خاصة، فقال: «**بل للناس كافة**».

وفي رواية: إن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فأنزلت عليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ...﴾ الآية، قال الرجل: إليّ هذا؟ قال: «**لمن عمل بها من أمتي**».

رواه البخاري في الصلاة وفي التفسير (٤٢٧/٤٢٦/٩)، ومسلم في التوبة (٨١/٨٠/٧٩/١٧)، والترمذي (٣٩١١)، والنسائي (٣٦٦/٦) كلاهما في التفسير، وابن ماجه في الصلاة (١٣٩٨) وفي الزهد (٤٢٥٤) واللفظ الأول: لمسلم والترمذي، والثاني: للشيخين والنسائي...

قوله: «عالجت» أي: داعبتها ونلت منها ما يكون بين الرجل وزوجته من قبلة ومباشرة... «من غير أن أمسها» أي أجامعها.

**[١٤٠]** وعن أبي اليَسَر رضي الله تعالى عنه قال: أتتني امرأة تبتاع تمراً فقلت: إن في البيت تمراً أطيب منه، فدخلتْ معي في البيت فأهويتُ إليها فقبّلتها فأتيتُ أبا بكر فذكرتُ ذلك له، فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً، فلم أصبر، فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال: استُر على نفسك وتُب ولا تخبر أحداً، فلم أصبر فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال لي: «**أخَلَفْتَ غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟**» حتى تمنى أنه لم



يكن أسلم إلا تلك الساعة حتى ظنّ أنه من أهل النار، قال: وأطرق رسول الله ﷺ طويلاً حتى أوحي إليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ...﴾ الآية، قال أبو اليسر: فأتيتُ رسول الله ﷺ فقرأها عليّ فقال أصحابه: يا رسول الله ألهذا خاصة أم للناس عامة؟ قال: «**بل للناس عامة**».

رواه الترمذي (٢٩١٣)، والنسائي (٣٦٦/٦)، وابن جرير (١٣٧/١١) ثلاثتهم في التفسير، وحسّنه الترمذي وصححه.

«تبتاع»: أي تشتري. «فأهويت» أي: ملت إليها.

**[١٤١]** ونحوه عن معاذ رضي الله تعالى عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً لقي امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأتي الرجل إلى امرأته شيئاً إلا قد أتى هو إليها إلا أنه لم يجامعها، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ...﴾ الآية، فأمره أن يتوضأ ويصلي، قال معاذ: فقلت: يا رسول الله أهي له خاصة أو للمؤمنين عامة؟ قال: «**بل للمؤمنين عامة**».

رواه الترمذي (٢٩/٢) وسنده صحيح ولا يضر انقطاعه لسابقيه...

الظاهر أن هذه القصة كانت واحدة وقعت لرجل واحد هو أبو اليسر بن عمرو الأنصاري تصرف الرواة والناقلون في ألفاظها.

وفي الآية الكريمة مع هذه الأحاديث فضل واسع ورحمة شاملة للمؤمنين الذين تصدر منهم الهفوات واللمم من الذنوب الساعة بعد الساعة وأن ذلك يكفره الله بالحسنات، وأعظم ذلك وأشرفه الصلوات والمحافظة عليها. وفي حديثَي ابن مسعود وأبي اليسر أنه ينبغي لمن أتى ذنباً في خفاء أن يستر على نفسه ويتوب إلى الله منه ولا يذكره لأحد، فإن الله ذو الفضل الواسع يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وعلى كلٍّ فمَن صدرت منه سيئة فليتبعها حسنة أو حسنات ليكفر الله تعالى عنه بمنّه ورحمته.

أما قوله: «وخالق الناس بخلق حسن» فتقدم معناه مشروحاً بتوسُّع في الآداب والأخلاق.

❋ ❋ ❋

**[١٤٢]** عن حنظلة الأُسَيْدي رضي الله تعالى عنه وكان من كتّاب رسول الله ﷺ أنه مرّ بأبي بكر وهو يبكي فقال: «ما لك يا حنظلةُ؟» قال: نافق حنظلة يا أبا بكر نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة كأنّا رأيُ عينٍ، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضَّيعة ونسينا كثيراً، قال: فوالله إنا كذلك، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فانطلقنا، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: **«ما لك يا حنظلة؟»** قال: نافق حنظلة يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة ونسينا كثيراً، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم، وعلى فرشكم، وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»** ثلاث مرات.

رواه أحمد (٣٤٦/١٢٨/٤)، ومسلم في كتاب التوبة (٦٧/٦٦/١٧)، والترمذي في صفة القيامة (٢٣٣٢/٢٢٧٣) ورواه الطيالسي (٨٣) مختصراً بسند صحيح.

**[١٤٣]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: إنا إذا كنا عندك فحدثتنا رقّت قلوبنا فإذا خرجنا من عندك عافسنا النساء والصبيان وفعلنا وفعلنا، فقال النبي ﷺ: **«إن تلك الساعة لو تدومون عليها لصافحتكم الملائكة»**.

رواه أحمد (١٧٥/٣)، وأبو يعلى (١١٤/٣) بسند صحيح، وعزاه النور (٣٠٨/١٠) للبزار وأبي يعلى وقال: رجال البزار رجال الصحيح غير زهير بن الرازي وهو ثقة.

**[١٤٤]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قلنا: يا رسول الله ما لنا إذا كنا عندك رَقَّتْ قلوبنا، وزهدنا وكنا من أهل الآخرة، فإذا خرجنا من عندك فأنِسْنا أهالينا وشممنا الأولاد أنكرنا أنفُسنا، فقال رسول الله ﷺ: **«لو أنكم تكونون إذا خرجتُم من عندي كنتم على حالتكم ذلك لزارتكم الملائكة في بيوتكم ولو لم تذنبوا لجاء الله بخلْقٍ جديدٍ كي يذنبوا فيغفر لهم»**.



رواه الطيالسي (٧٥)، والحميدي (١١٥٠)، والترمذي في صفة الجنة (٢٣٤٣) وسنده صحيح عند بعضهم، وأورده النور في المجمع (٣٩٦/١٠) مختصراً برواية البزار، والطبراني في الأوسط وقال: رجاله رجال الصحيح.

قوله: «كأنا رأي عين» أي: كأننا نشاهد النار والجنة عياناً. قوله: «عافسنا» أي: عالجنا. و«الضيعة»: معاش الإنسان من تجارة وصناعة وحرفة.

**دلّت هذه الأحاديث على أمور:**

**أولاً**: أن التذكير بالجنة والنار ينفع المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾، وخاصة إذا كان ذلك صادراً عن قلب صادق منوّر.

**ثانياً**: قد يصل الإنسان بالتذكير إلى حالة يرق معها قلبه ويعزم على التخلي عن الدنيا ويعد نفسه من أهل الآخرة ويصير كأنه يشاهد الجنة والنار.

**ثالثاً**: إن هذه الحالة لا تدوم للإنسان وذلك لما يطرأ عليه من مزاولة شؤون الحياة ومخالطة الأهل والأولاد والتمادي فيما لا علاقة له بالآخرة، وهذه الحالة قد تأتي بالتذكير، وقد تأتي بالتفكر أو حالة الذكر، وقد تأتي فجأة ثم سرعان ما تنقلب الأحوال إلى الأمور الطبيعية.

**رابعاً**: فيها دليل على أن المؤمن إذا داوم على التفكر في شؤون الآخرة وما يهدف إليها وذكر الله عزّ وجل مع الحضور ومراقبة الله تعالى، وصل إلى مقام مع الله تعالى يشاهد فيه الملائكة وتزوره عياناً وتصافحه في جميع مجال حياته في طريقه ومجالسه وفرشه.

**خامساً**: في ذلك دليل على جواز رؤية الملائكة وما وراء الطبيعة مما لا يُرَى لعامة الناس، وفي هذا ألف الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: «تنوير الحَلَك في إمكان رؤية النبي والملك» وهذا لا يتردد فيه إلا معاند أو جاهل.

**سادساً**: في ذلك إثبات كرامات الأولياء التي هي الأمر الخارق للعادة مع التقوى والصلاح، والأدلة على ذلك كثيرة قرآناً وسنّة وإجماعاً، ويأتي الكلام عليها لاحقاً.

**سابعاً**: في قوله ﷺ: **«ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»** دليل على أن المؤمن لا يلام على غفلته ومزاولته شهواته وأنه ليس بمطالَب بالحضور مع الله وبعبادته دائماً وعلى كل أحواله، بل ساعة يكون فيها مع الله بالعبادة من صلاة وتلاوة وذكر وتفكُّر، وساعة يكون فيها مع نفسه وشهواته، بل ومع المعصية، كما يدل عليه قوله ﷺ: **«لو لم تذنبوا»**.

**ثامناً**: ليس في هذا إغراء على المعاصي كما قد يفهمه البعض، بل المراد بذلك بيان قضاء الله وحكمته في خلقه بأن قدّر عليهم الذنوب لحكم بالغة فيستغفرون منها فتتجلّى فيهم مغفرة الله ويظهر فيهم عفوه ورحمته إذا هم تابوا إليه، وسيأتي مزيد لهذا في التوبة إن شاء الله تعالى.

**تاسعاً**: وهو مسك الختام في هذه الأحاديث إشارة إلى أنه ينبغي للمؤمن أن يجاهد نفسه ويقبل على الله عزّ وجل بكليته وأن يكون دائم الحضور مع الله ومراقبته في السر والعلن وأن لا ينسى الآخرة والمآل.

* * *

## ❊ تفكروا في آيات اللّه

**[١٤٥]** عن عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على ناس من أصحابه وهم يتفكرون في خلق الله فقال رسول الله ﷺ: **«فيمَ تتفكرون؟»** قالوا: نتفكر في الله، قال: **«لا تفكروا في الله وتفكروا في خلق الله، فإن ربنا خلق ملَكاً قدماه في الأرض السافلة السفلى ورأسه قد جاوز السماء العليا، ما بين قدميه إلى ركبتيه مسيرة ستمائة عام، وما بين كعبيه إلى أخمص قدميه مسيرة ستمائة عام، والخالق أعظم من المخلوق»**.

رواه أبو نعيم في الحلية (٦٧/٦) بسند حسن وعبدالجليل بن عطية



حسن الحديث، قال فيه الحافظ في التقريب: صدوق يهم وشهر بن حوشب، قال فيه النووي في شرح مسلم: تكلم فيه بغير حجة.

والحديث قال فيه العراقي في «المغني» بعد أن عزاه لأبي نعيم، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه. ثم إن الحديث له شواهد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، رواه الطبراني في الأوسط (٦٣١٥) واللالكائي في السُنّة، والبيهقي في الشعب وسنده ضعيف جداً، وعن أبي هريرة وأبي ذر وابن عباس وغيرهم. وكلها ضعيفة والعمدة على الأول.

**[١٤٦]** وعن عُبَيْد بن عُمَيْر رحمه الله تعالى، قال لعائشة رضي الله تعالى عنها: أخبريني بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ؟ قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: **«يا عائشة ذريني أتعبَّد الليلة لربي»** قلت: والله إني لأحب قربك وأحب مباشرتك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد نزلت عليّ الليلة آيةٌ ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها»**.

رواه ابن حبان في صحيحه بالإحسان (٦٢٠)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي (١٨٦)، وابن أبي الدنيا في التفكر، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٤٠٩/٢) وسنده صحيح على شرط مسلم عند ابن حبان.

«التفكُّر»: هو التأمُّل والتدبُّر، ويقرب من هذه العبارات التذكُّر والنظر والاعتبار، ولقد أكثر الله عزّ وجل في القرآن الكريم من الأمر بالتفكُّر ومدح أصحابه ولفت أنظار عباده إلى النظر والاعتبار بآياته ومكوناته.

كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ...﴾ الآية.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾.

وقوله: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الآية.

وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾.

وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

والآيات في ذلك كثيرة مفرّقة في سور القرآن الكريم.

والتفكر الذي دعا الله عباده إليه يكون في آلاء الله تعالى ونعمه وآياته الكونية الدالة عليه، وهي التي جاء بها الحديث: **«تفكروا في خلق الله»**، وهي التي أكثر الله من ذكرها في كتابه الكريم كدلائل عليه وكررها تكراراً كثيراً في أكثر السور كالسماء والأرض والشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار والريح والسحاب والمطر والنبات والزروع والثمار والحيوان والدواب



والأنعام والبحار والسفن، والجبال والأنهار... وذلك باعتبار أن أكثرها أصل مادة حياة الإنسان والحيوان وأنها أكثر الآيات وأكبرها وأظهرها دلالة على الربوبية ووحدة الألوهية.

فالتفكر في هذه الكائنات وما أودع الله عزّ وجل فيها من عجائب وحكم وأسرار يثمر معرفة الله عزّ وجل واليقين به، وذلك هو المقصود الأهم، وإذا عرف الإنسان الله عزّ وجل عبده حق عبادته وعلم بتفكره وتيقظه أن ما عند الله في الآخرة خير وأبقى فعمل لذلك وشمّر عن ساق الجِد حتى يوافيه أجله.

هذا ولا يوجد أجمع للفكرة وأنفع للقلب وأدعى لعمل الآخرة من قراءة القرآن بالتفكر، فإنه جامع لجميع المقامات والأحوال، وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث اليقين في الله ومعرفته بصفاته وأسمائه وما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال، وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة، فينبغي للمؤمن أن يقرأه ويردد الآية التي هو محتاج إلى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة، فقراءة آية بتفكر وتفهُّم خير من ختمة بغير تدبُّر وفهم، وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه بات ليلة يردد قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾، وقد تقدم في بحث القرآن من الجزء الثاني.

وقوله ﷺ: **«فإن ربنا خلق ملكاً قدماه في الأرض...»** إلخ، هذا مما يدل على عظمة الله عزّ وجل، فإذا كان ملك واحد خلق على هذا الشكل فكيف بغيره ممن لم نسمع بهم، وهم لا يحصون كثرة. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ ومن هذا القبيل ما يلي:

**[١٤٧]** عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أُذِنَ لي أن أحدّث عن ملكٍ من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة»**.

رواه أبو داود في كتاب السنة (٤٧٢٧) بسند صحيح، وأورده الهيثمي في المجمع (١/٨٠) برواية أوسط الطبراني، وقال: ورجاله رجال الصحيح.

[١٤٨] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله أذن لي أن أحدّث عن ديكٍ قد مرقت رجلاه الأرض، وعنقه مُنثنٍ تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا، فيرد عليه: ما يعلم ذلك من حلف بي كاذباً»**.

رواه الطبراني في الأوسط (٧٣٢٠)، والحاكم (٢٩٧/٤) وصححه ووافقه الذهبي، وكذا صححه المنذري وغيره.

فهذا من العظمة بمكان! ملكٌ واحدٌ مسافة ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة، هذا شيء مدهش فكيف يا ترى يكون طوله وعرضه، وهذا ملك واحد من حملة العرش وهم ذوو عدد، فهؤلاء حملة العرش وقد عرفت عظمتهم فكيف بالعرش المحمول الذي هو سقف العوالم كلها من جنة ونار وسماوات وأرضين، إنه أعظم خلق الله عزّ وجل فكيف يكون خالقه وخالق الأكوان، إن العقول تقصر عن معرفة عظمة ذاته التي ليس كمثلها شيء والتي لا تتصورها عقول الخلق ولا تدرك كنهها الأبصار.

وقوله في حديث أبي هريرة: **«أن أحدث عن ديك»** هو ملك على صفة ديك، ولا غضاضة في ذلك، وإنما الغضاضة فيما جاء في حديث الأوعال الذي تضاربت فيه الأنظار، وقد قدمنا الكلام عليه في التفسير.

وقوله ﷺ في حديث عائشة: **«أُنزلت عليّ الليلة آية ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر»** المراد بها قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ الآية.

* * *

## ❊ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف

[١٤٩] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عزّ وجل قال: **«إن الله عزّ وجل كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك، فمَن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنةً كاملة، فمن**



**همَّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومَن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله سيئةً واحدةً»**.

رواه البخاري في الرقاق (١١٢/١٠٦/١٤) واللفظ له.

ورواه مسلم في الإيمان (١٤٨/١٤٧/٢) بألفاظ منها:

**«قال الله عزّ وجل: إذا تحدّث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها»**، وفي رواية: **«فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف. وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإن عملها فأنا أكتبها له بمثلها»**، وقال رسول الله ﷺ: **«قالت الملائكة: ربِّ ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرّايَ»**.

قوله: «مَن همّ بحسنة» الهمُّ بالشيء يطلق على خاطر النفس الذي لا يثبت، وعليه حملوا قوله تعالى في شأن سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ أي: خطر بباله ولم يعزم على ذلك. ويطلق على العزم ومنه في شأن امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ أي: عزمت وصمّمت، وعلى هذا يحمل هنا الهم أي: عزم بفعل الحسنة. وعزَم بفعل السيئة. وقوله: «إذا تحدث عبدي بأن يعمل» المراد بالتحدث هنا تحدث النفس وهو الهم والعزم السابق. وقوله: «ارقُبُوه» أي: انتظروه، وقوله: «من جرّايَ» بفتح الجيم وتشديد الراء ثم ألف مقصورة، أي: تركها من أجلي وخوفاً مني.

**وفي هذا الحديث فوائد:**

**أولاً:** إن الله عزّ وجل كتب على الإنسان كل ما يأتيه من حسنات وسيئات وجعله تعالى مظهراً لتنفيذ قضائه، ماضياً فيه حكمه العادل.

**ثانياً:** تفضله على عباده المؤمنين بمجازاتهم بالحسنات على ما يهمون

ويعزمون عليه من الخير ولم يعملوه، وأنه تعالى يكتب لهم بكل همّة حسنة كاملة، بينما هم إذا عزموا على الشيء المشروع وعملوه ضاعف لهم الأجور والحسنات من عشر حسنات للحسنة الواحدة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وذلك حسب إيمان العبد وإخلاصه وخشوعه وحضوره مع الله تعالى ومحبته له.

**ثالثاً**: وهي من عظيم لطف الله ورحمته بعباده المؤمنين أن من عزم وصمم على إتيان مخالفة وفعل سيئة ثم جاهد نفسه وتركها خوفاً من الله عزّ وجل كتبت له حسنة وغفر له ما كان قد عزم عليه، فإن باشر السيئة واقترفها كتبت له سيئة واحدة بلا تضعيف، وفي ذلك من واسع فضل الله ورحمته بعباده ما يحمل العبد على فرحه بربه ورضاه به، وهيامه في محبته والإقبال على عبادته...

**رابعاً**: في الحديث دليل على أن أعمال القلوب تكتب كأعمال الجوارح الظاهرة، وأن الله عزّ وجل يعطي للكتبة الكرام اطلاعاً على ذلك كي يكتبوه ويكون قوله تعالى في شأنهم: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ شاملاً لفعل القلوب.

**خامساً**: في الحديث التفرقة بين ما يخطر على القلوب من الخواطر والوساوس النفسانية والشيطانية التي لا تثبت، وبين الخواطر التي يقع عليها العزم والتصميم لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، فما عزم عليه يؤاخذ عليه وما لا فلا.

وعلى الثاني حمل الحديث التالي:

**[١٥٠]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عزّ وجل تجاوز لأمتي عما حدّثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلّم به»**، وفي رواية: **«عما وسوست»**.

رواه البخاري في العتق (٨٧/٦)، وفي الأيمان والنذور (٣٥٧/١٤)، ومسلم في الإيمان (١٤٧/٢).



والمراد بالوسوسة هنا هو حديث النفس وتردد الشيء في باطن الإنسان من غير أن يطمئن إليه ويستقر عنده وهي الخواطر التي لا عزم معها ولا تصميم. فهذه من المعفوات المتجاوز عن الأخذ بها لأنها مما لا يستطاع دفعه. ولذلك كان مَن حدّثته نفسه بقتل شخص أو ارتكاب فاحشة، أو طلاق زوجة... كان معفوًّا عنه ولا إثم عليه في ذلك ولا يلزمه طلاق.

هذا، وقد أطال الحافظ في الفتح الكلام على حديث: «مَن همّ...» إلخ، ونقل كثيراً من آراء العلماء، وكذا النووي في شرح مسلم، وما ذكرناه هي الخلاصة التي ينبغي الاعتماد عليها، والله تعالى أعلم.

❊ ❊ ❊

## ❊ قرب الجنة والنار من العباد

**[١٥١]** عن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: **«الجنةُ أقربُ إلى أحدكم من شِراك نعله، والنارُ مثلُ ذلك»**.

رواه أحمد (٤١٣/٣٨٧/١)، والبخاري في الرقاق (١٠٤/١٤).

«شراك نعله»: الشراك هو السير الذي يكون بوجه النعل ونحوه.

ومعنى الحديث كما قال العلماء: إن تحصيل الجنة سهل قريب بتصحيح القصد وفعل الطاعة والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية.

فالطاعة موصلة إلى الجنة، والمعصية موصلة إلى النار، وإن الطاعة والمعصية قد تكون في أيسر الأشياء، فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها، ولا السيئة التي يسخط عليه بها. والقرب هنا معنوي، فإن الجنة فوق السماوات السبع والنار أسفل سافلين.

❊ ❊ ❊

## ❊ النوم عن الجنة والنار

**[١٥٢]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما رأيتُ مثل النار نام هاربُها، ولا مثل الجنة نام طالبُها».**

رواه الترمذي في صفة جهنم (٢٤٢٠)، والبغوي في شرح السنة (٣٧٢/١٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٧٨/٨)، والقضاعي في مسند الشهاب (٦٧/٢)، وهو وإن كان في سنده يحيى بن عبيدالله بن موهب وهو ضعيف فإنه قد أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس والسهمي في تاريخ جرجان عن عمر رضي الله تعالى عنه، فالحديث لذلك حسن. أفاده الشيخ ناصر في الصحيحة (٩٥٣).

قوله: «مثلَ النار» أي: في الشدة والهول.

ومعنى الحديث: أن النار مع كونها لا مثيل لها في أنواع العذاب والأهوال والخزي والنكال، ومع ذلك ترى الفارّين منها غافلين عنها نائمين، وإن الجنة أيضاً لا يوازيها شيء في النعيم والخير والبهجة والسرور... ومع ذلك تجد محبِّيها وطالبيها ساهين نائمين عنها وعن التزود لها.

❊ ❊ ❊

## ❊ من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل

**[١٥٣]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن خافَ أدلجَ، ومَن أدلجَ بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».**

رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٢٧١)، والحاكم (٣٠٨/٣٠٧/٤) وصححه ووافقه الذهبي، وفيه ضعف، وله شاهد عن أُبي بن كعب رواه أبو نعيم في الحلية (٣٧٧/٨)، والحاكم (٣٠٨/٤). فالحديث حسن كما قال الترمذي أو صحيح.



قوله: «أدلج» الإدلاج السير أول الليل وهو مثل ضرب لسالك الآخرة وأن من سارع إلى فعل الخيرات وانتهز الفرص في الأوقات المناسبة وفراغ القلب ونشاط الجوارح لا بد أن يصل إلى منزله الخالد وهو الجنة كما يصل المسافر المدلج أول الليل إلى منزله.

وقوله: «ألا إن سلعة الله غالية» هو تنبيه منه ﷺ لنا بأن الله عزّ وجل جعل سلعته وبضاعته الجنة وعرض بيعها على عباده وجعل ثمنها غالياً مرتفعاً، فمَن أدّى ثمنها حازها وأحرز عليها، ومَن لم يؤدِّ ثمنها رجع خاسئاً خائباً، وثمنها هو الإيمان والعمل الصالح وتقوى الله في السر والعلن.

وهذا كما قال تعالى في الجهاد في سبيل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ...﴾ الآية، غير أن في الآية جعل السلعة الأنفس والأموال والثمن الجنة، وفي الحديث جعل السلعة الجنة وثمنها الإيمان والعمل الصالح.

❊ ❊ ❊

## ❊ خير الناس التَّقِيُّ النَّقِيُّ

**[١٥٤]** عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: **«كل مَخْمُوم القَلْب، صدوقُ اللسان»** قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: **«هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل، ولا حسد».**

رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢١٦) قال في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

«مخموم القلب»: هو النقي الطاهر القلب الذي لا غل فيه ولا حسد، مضافاً إليه صدق اللسان.

فمَن كان كذلك كان أفضل الناس لأنه إذا صلح القلب صلحت الجوارح، فلا يأتي منها إلا الطاعة.

❊ ❊ ❊

## ❊ نقض عرى الإسلام

[١٥٥] عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«لَتُنْتَقَضَنَّ عُرَى الإسلام عروةً عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، أولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة»**.

رواه أحمد (٥/٢٥١)، والحاكم (٤/٩٢)، وابن حبان بالإحسان (١٥/٦٧١٥)، وسنده صحيح، وعزاه النور في المجمع (٧/٢٨١) لأحمد والطبراني وقال: رجالهما رجال الصحيح، وله شاهد عن فيروز الديلمي رواه أحمد (٤/٢٣٢) بلفظ: **«لينقضن الإسلام عروة عروة، كما ينقض الحبل قوة قوة»**. وسنده صحيح.

«لتُنتقضن» بضم التاء الأولى وفتح التاء الثانية والقاف، أي: تحل وتفسخ. وقوله: «عرى» بضم العين وفتح الراء ثم ألف مقصورة جمع عروة وهي في الأصل ما يكون في طرف الكوز ونحوه مما يمسك به، واستعير هنا لما يتمسك به من أمور الديانة. وقوله: «تشبث» أي: تمسك. وقوله: «كما ينقض الحبل» أي: كما يفسخ.

وفي الحديثين تنبؤ من النبي ﷺ بما سيحصل للإسلام بعد كماله وقوته وانتشاره من نقض وفسخ لقواعد الدين وأصوله واضمحلال معالمه وضعفه، وأن أول ما يذهب ويغيب منه تعطيل الحكم بما شرعه الله تعالى، ويصبح الناس كلما ذهبت عروة من عرى الدين تركوها وتمسكوا بما يليها حتى تذهب وتضمحل جميع قواعد الدين ولا يبقى بينهم ظاهراً إلا الصلاة ثم تكون هي الأخيرة تركاً وغياباً.

❊ ❊ ❊



## ❊ الجزاء على الحسنات في الدنيا والآخرة

[١٥٦] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطَى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطْعَمُ بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنةٌ يُجْزَى بها»**، وفي رواية: **«إن الكافر إذا عمل حسنة أُطعم بها طُعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة، ويُعْقِبُه رزقاً في الدنيا على طاعته»**.

رواه أحمد (٣/١٢٣/١٢٥/٢٨٣)، ومسلم في صفة القيامة (١٧/١٤٩/١٥٠) واللفظان له.

قوله: «أفضى» أي: صار إلى الآخرة.

في الحديث وعد من الله عزّ وجل للمؤمن بأنه تعالى يجازيه على حسناته في الدنيا بالرزق الطيب والعافية والأمان والحفظ، ثم يجازيه جزاء ثانية في الآخرة وهو خير وأبقى، والحديث موافق لقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

ومن جزائه تعالى لعبده المؤمن في الدنيا أن يحييه حياة طيبة كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

والحياة الطيبة في الدنيا هي الرزق الحلال الكافي مع القناعة والراحة والانشراح والطمأنينة، وهي سعادة معجلة للمؤمن.

أما الكافر فما عمله في هذه الحياة من خير كصلة، وصدقة، وضيافة، وإحسان، وخلق حسن... فيجازى على ذلك في الدنيا بالبسط في الحياة ورغد العيش والعافية وطول العمر ونصر على الأعداء ونحو ذلك. أما في الآخرة فأجمع العلماء على أنه إذا مات على كفره ليس له ثواب في الآخرة وليس له إلا العذاب الخالد.

وقوله في أول الحديث: «**إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة**» معناه: لا يترك مجازاته بشيء من حسناته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾.

والظلم يطلق على النقص وهضم الحقوق، كما يطلق على أخذ حق الغير وهو في كل الأحوال مستحيل على الله عزّ وجل.

* * *

## عجباً لأمر المؤمن

**[١٥٧]** عن صُهَيْب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر وكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له**».

رواه أحمد (٣/٣٣٢/٣٣٣)، ومسلم في أحاديث متفرقة من الزهد (١٨/١٢٥).

«العجب»: بفتحتين، انفعال نفساني يعتري الإنسان عند استعظامه الشيء أو استطرافه أو إنكاره ما يرد عليه وهو في حق الله صفة له تخالف صفات المحدثات، وقد يفسره بعضهم برضاه بالشيء.

ولا شك أن أمر المؤمن وما قضى الله تعالى عليه من الخير والشر مما يتعجب منه لأن كل ذلك خير له، فإذا أصيب بما يسره من الخير والبسط فحمد الله عزّ وجل وشكره كان خيراً كثيراً له بما سيجازيه الله عليه من الثواب الجزيل، وإذا أصيب بما يكرهه من الضراء والبلايا فصبر على ذلك وحبس نفسه ولم يتضجر ولم يقنط كان خيراً له أيضاً أي خير، وسيقابل بالأجور العظيمة ومنتهى ذلك جنة الخلد، وهذا بخلاف غيره من الكفار والمنافقين وأشباههم فإنهم كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً.

* * *



## ما يغفر وما لا يغفر من الظلم والذنوب

**[١٥٨]** عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الدواوين عند الله عزّ وجل ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله عزّ وجل يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة**».

رواه أحمد (٦/٢٤٠)، والبيهقي في الشعب (٦/٥٢) وفي رواية له ذكر آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ وفي سنده صدقة بن موسى صدوق له أوهام، ويزيد بن بابنوس مقبول كذا في التقريب لكن الحديث حسن لشاهد له عن أنس رضي الله تعالى عنه بلفظ: «**الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله...**» فذكره بمعناه، رواه الطيالسي في مسنده رقم (٢١٨٤) (ج٢/٦٠/٦١) مع المنحة، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٠٩) وفيه يزيد الرقاشي زاهد ضعيف ومثله يستشهد به لأنه لم يُتهم بكذب.

والحديث يدل على عدل الله عزّ وجل، وبالتالي فضله وشمول رحمته ولطفه بعباده، فسيقضي بين عباده يوم القيامة ويعدل في قضائه ولا يظلم أحداً ممن كفر به وعبد غيره، فهذا سيحكم فيه بخلوده في النار ولا يغفر له ظلمه لأن الشرك ظلم عظيم، أما من ظلم غيره بأخذ حق له أو نقصه، فهذا لا يترك ولا يغفر إلا بأدائه والاقتصاص من الظالم.

أما ما بين العبد وربه من هنات شخصية فالله عزّ وجل سيتجاوز برحمته عن ذلك ولا يبالي، وهذا من كمال عدله وواسع فضله سبحانه وتعالى.

**[١٥٩]** وسيأتي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن

رسول الله ﷺ قال: **«إذا خلص المؤمنون من النار حُبِسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا...»**.

رواه البخاري في المظالم والرقاق.

قوله: «فيتقاصُّون» بتشديد الصاد، أي: يقتص بعضهم من بعض فيما كان بينهم من المظالم.

**[١٦٠]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت له مظلِمةٌ لأخيه من عِرضه أو شيء، فليتحلَّله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»**.

رواه البخاري في المظالم (٦/٢٦/٢٧) وفي الرقاق (١٤/١٨٧)، وأحمد (٢/٤٣٥/٥٠٦)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٣٩) ويأتي في القيامة.

قوله: «مظلمة» بكسر اللام، أي: ما ظلمه إياه. قوله: «من عرضه» بكسر العين وسكون الراء، العرض محل المدح والذم من الإنسان. وقوله: «أو شيء»، في رواية: أو مال. وقوله: «فحمل عليه»، في رواية: فجعل عليه. وقوله: «فليتحلله» أي: ليطلب منه أن يجعله في حِل ويسامحه.

وفي الحديث وعيد شديد وتهديد بالغ لمن يظلم غيره سواء كان بالنيل من عرضه كتكفيره أو تبديعه أو لعنه أو سبه وشتمه أو قذفه أو الكلام فيه بأي سوء يكرهه أو كان بأخذ ماله غصباً أو سرقة أو غشاً أو نصباً أو كان سفكاً لدمه أو سعياً في سبيل ذلك.

فالواجب على المسلم الذي عليه مظالم من هذا القبيل، أن يتحلل ذلك ما دام على قيد الحياة، فإذا أفضى إلى الآخرة اقتصّ منه فيؤخذ من حسناته فتدفع إلى أرباب المظالم فإن فنيت أخذت سيئاتهم فجعلت عليه ثم ألقي في النار، نعوذ بالله من غضبه وعقابه، وهذا هو المفلس الآتي.

❊ ❊ ❊



## ❊ المفلس يوم القيامة

**[١٦١]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أتدرون مَن المفلس؟»** قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله ﷺ: **«المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيقتصُّ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه من الخطايا، أُخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار»**.

رواه مسلم في البر والصلة (١٦/١٣٥/١٣٦)، والترمذي في صفة القيامة (٢٢٣٨).

«المفلس»: بضم الميم من الإفلاس وهو عند الناس من أحاطت به الديون ولا يجد ما يقضي به غرماءه، وهو في الحقيقة والواقع من يفلس يوم القيامة بأن يأتي وقتها بجبال من الحسنات كسبها من أعماله الصالحة في الدنيا، لكنه أفضى إلى الآخرة وعليه مظالم للعباد من شتم وقذف وأخذ مال وسفك دم وضرب جسم فيقتص منه بأخذ حسناته على وجه القصاص، فإذا فنيت حسناته أخذت سيئات المظلومين فألقيت عليه ثم طرح في النار وأصبح من الهالكين، فهذا هو المفلس الحقيقي.

❊ ❊ ❊

## ❊ الإنسان والشيطان

**[١٦٢]** عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن إبليس يضعُ عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدُهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه ويقول: نعم أنت»**، وفي رواية: **«فيلتزمه»**، وفي رواية: **«إن عرش**

**إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة».**

رواه أحمد (٣/٣١٤)، ومسلم في صفة القيامة (١٧/١٥٦/١٥٧).

«العرش»: هو سرير الملك. وقوله: «فيدنيه» أي: يقربه منه. وقوله: «فيلتزمه» أي: يحتضنه فرحاً به ومحبة فيه.

والحديث يدل على أن الشيطان الأكبر إبليس اللعين له عرش وسرير على البحر وأن له جنوداً من أبنائه يبعثهم سرايا في الدنيا يفتنون الناس عن دينهم فأقربهم منه منزلة ومكانة أشدهم وأعظمهم فتنة للناس، وعداوة الشيطان للإنسان وتسلُّطه عليه وإغوائه إياه من الأمور المعلومة بالضرورة في الإسلام، فالشيطان العدو الأول للإنسان لا يفتر عن وسوسته وإغوائه.

**[١٦٣]** وعن جابر رضي الله تعالى عنه أيضاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم».**

رواه أحمد (٣/٣٥٤)، ومسلم في صفة القيامة (١٧/١٥٦)، والترمذي في البر والصلة (١٧٨٣).

«التحريش»: الإغراء والتحريض على الخصومة. وقوله: «أيس» أي: قنط.

في الحديث أن الشيطان لما أيس من تكفير المصلِّين وخاصة في الجزيرة العربية مهد الإسلام ومنبعه قنع بما يوقعه فيما بينهم من التحريض على الخصومات والتهاجر والتقاتل وما إلى ذلك من الفواحش، فهو الحامل الناس على ذلك، بل كل ما يقع في هذا الكون من منكر وفساد، فالحامل عليه والمزين له هو إبليس بلية من الله تعالى لعباده، وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾.

ولا سبيل للحيلولة بينه وبين العبد إلا الالتجاء إلى الله تعالى من شره، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ...﴾ الآية.

**[١٦٤]** وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:



**«ما منكم من أحدٍ إلا وقد وُكِّل به قرينُه من الجن»**، قالوا: وإياك يا رسول الله، وفي رواية: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير».**

رواه أحمد (١/٣٨٥/٣٩٧/٤٠١)، ومسلم في القيامة (١٧/١٥٧)، والدارمي (٢٧٣٧).

**[١٦٥]** وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت: فغِرتُ عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال: **«ما لكِ يا عائشة أغِرْتِ؟»** فقلت: وما لي لا يغارُ مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أقد جاءك شيطانك؟»** قالت: يا رسول الله أوَمعي شيطان؟ قال: «نعم»، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم»، قلت: ومعك؟ قال: **«نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم».**

رواه مسلم (١٧/١٥٨) وفي الباب عن ابن عباس وجابر عند أحمد في المسند.

قوله: «وُكِّل به قرينُه» أي: شيطانه. وقوله: «فأسلم» ضبطت الميم بالضمة والفتحة فمن رفع قال: معناه أنا أسلم من شره وفتنته، ومن فتح قال: معناه أن القرين أشهر إسلامه وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير، ورجح القاضي عياض الفتح واختاره النووي.

والحديثان يدلان على أنه ما من عبد أياً كان إلا معه قرين من الجن يأمره بالشر ويغويه وينهاه عن الخير، ولا ريب أن هذا من محن الله تعالى التي ابتلى بها عباده في هذه الدار حيث سلط عليهم الشيطان وأقدره على الوساوس والإغواء وجعله سبباً لكفر الناس وحملهم على الغواية والضلال ولا ينجو منه إلا الأكابر من أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم بعصمتهم منه ومن نزغاته.

نعم، وكذا بعض أكابر الأولياء قد يضعف قرينهم فلا يتأثرون به لقوة روحانيتهم وكثرة مجاهدتهم.

وفي الحديثين دليل على أن قرين النبي ﷺ كان قد أسلم وآمن بالله ورسوله وبما جاء به، ولذلك كان ﷺ مأموناً من الأمر بالشر والنهي عن الخير وهذا من جملة خصائصه ﷺ التي خصّه الله بها.

**[١٦٦]** وعن صفية بنت حُيَيّ رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي ﷺ معتكفاً فأتَيْتُه أزورُه ليلاً فحدثْتُه ثم قمتُ لأنقلب فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد فمرّ رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ: «**على رِسْلِكُما إنها صفية بنت حُيَي**» فقالا: سبحان الله يا رسول الله، قال: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً** - أو قال - **شيئاً**».

رواه البخاري في الخمس (١٨/٧) وفي الاعتكاف، ومسلم في الأدب (١٥٦/١٤) وأبو داود في الصيام (٢٤٧٠)، وابن ماجه في الصيام (١٧٧٩).

قوله: «على رسلكما» بكسر الراء واللام، أي: كونا على هيئتكما في المشي.

**في هذا الحديث فوائد:**

منها جواز خروج المرأة ليلاً لزيارة بعض أقاربها والتحدث عندهم.

ومنها: مشروعية تشييع الزائر إلى داره.

ومنها ذهاب الرجل مع زوجته سوياً خارج البيت.

ومنها: أن من كانت معه امرأة من أقاربه ينبغي له أن يعرّف بها الناس لئلا يظنوا به ظن السوء.

ومنها: الابتعاد عن مواقف التهم كالمشي مع امرأة أجنبية أو الوقوف معها في محل خال من الناس مثلاً، وغير ذلك مما يتهم فيه الإنسان بما يخدش في دينه.

ومنها: الاستعداد للتحفظ من الشيطان ومكائده فإنه يجري من الإنسان



مجرى الدم، يعني والله أعلم أن الله عزّ وجل أعطاه قدرة على الجري في مجاري دم الإنسان وباطنه وسلّطه عليه بإلقاء وساوسه ونزغاته.

ومنها: رحمة رسول الله ﷺ وشفقته على ذينك الرجلين وصيانته قلوبهما وجوارحهما حيث خاف أن يلقي الشيطان في قلوبهما من السوء به ﷺ وذلك كفر. فعرّفهما بأن المرأة زوجته فلانة.

* * *

## ❊ المؤمن البائس والكافر المُنَعَّم

**[١٦٧]** عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغُ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيتَ بؤساً قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط**».

رواه أحمد (٢٠٣/٣)، ومسلم في صفة القيامة (١٤٩/١٧)، وابن ماجه في الزهد (٤٣٢١).

قوله: «فيصبغ» أي: يغمس غمسة كما في رواية: «اغمسوه». وقوله: «بؤساً» أي: شدة وفقراً.

في الحديث وعيد شديد وزجر بالغ لمن كفر بالله وقضى حياته في نعيم متوال متناه فسيغمس يوم القيامة في عذاب الله غمسة واحدة فينسى كل ما كان فيه من نعيم لشدة الهول ونهاية العذاب عياذاً بالله تعالى، كما فيه بشارة للمؤمن الذي كان في حياته أشد الناس حاجة وفقراً فصبر على ذلك حتى وافاه أجله فإنه سيغمس أيضاً غمسة في الجنة فينسى كل ما مرّ عليه من الشدائد والفقر والقلة والبؤس وذلك لما يلمسه ويشاهده... من النعيم

الذي ما سمع ولا رأى مثله، وفي ذلك حض على الصبر وتحمّل مشاق الحياة والتنافس في عمل الآخرة.

❊ ❊ ❊

## ❊ يا عبادي، يا عبادي، يا عبادي

[١٦٨] عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عزّ وجل أنه قال: «**يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم مُحرّماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته، فاستهدوني أهْدِكُم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمتُه فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوتُه، فاستكسوني أكْسُكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيطُ إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمَن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه**».

رواه أحمد (٥/١٦٠/١٧٧)، ومسلم في البر والصلة (١٦/١٣٠)، والترمذي في صفة القيامة (٥/٢٣)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٧).

هذا حديث عظيم الشأن فيه بإجمال أن الأمور كلها بيد الله عزّ وجل، فالهداية بيده، والأرزاق بيده، وخزائنه واسعة ملأى لا تنفذ وأنه واسع المغفرة يغفر الذنوب والخطايا وكبار السيئات لمن استغفره طاعتنا لا تنفعه ولا تزيد في ملكه شيئاً، كما أن معاصينا لا تضره ولا تنقص من ملكه



شيئاً، جواد واجد ماجد عطاؤه كلام، وعذابه كلام إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فله الأمر كله، وله الحكم كله، وله الحمد كله في الأولى والآخرة.

❊ ❊ ❊

## ❊ الإخلاص وفضله والنية الصالحة

[١٦٩] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت صخرةٌ من الجبل فسدّت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغْبُق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب شجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبُوقَهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبُق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى يشرق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج.**

**وقال الآخر: اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليّ، فأردتُها على نفسها فامتنعتْ مني حتى ألمّت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرَّجْتُ من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ، وتركتُ الذهب الذي أعطيتُها، اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.**

**وقال الثالث: اللهم إني استأجرتُ أُجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل**

**واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبدالله أدّني أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل، والبقر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبدالله لا تستهزىء بي، فقلت: إني لا أستهزىء بك، فأخذه كله فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».**

رواه أحمد (١١٦/٢)، والبخاري في الإجارة (٣٥٦/٥) وفي آخر الأنبياء (٣١٧/٧، ٣٢٠)، ومسلم في الرقاق (٥٨/٥٥/١٧).

«ثلاثة نفر»: بفتح النون والفاء، في رواية رهط. «لا أغبق»: الغبوق بفتح الغين، هو الحليب الذي يشرب بالعشي. «والصبية يتضاغون» أي: يصيحون من الجوع. «ألمّت بها سنة» أي: نزلت بها سنة مقحطة لم تنبت الأرض فيها شيئاً. «تفض الخاتم»: كنت بذلك عن الوطء.

في هذا الحديث فوائد وأحكام وآداب تقدمت الإشارة إليها في الأنبياء (ج٨/٥٦٦).

والشاهد منه هنا هو إخلاص أولئك الثلاثة في أعمالهم وتفريج كربتهم بتوسلهم بها إلى الله عزّ وجل، ففيه فضل إخلاص العمل للّه الذي لا يقبل الله عزّ وجل أي عمل إلا إذا كان خالصاً له لا يشوبه أي علة من رياء أو سمعة أو تصنُّع.

**[١٧٠]** وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلب امرىء مسلم: إخلاص العمل للّه، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم».**

رواه ابن ماجه (٢٣٠)، والدارمي (٢٣٥) والحديث صحيح لشواهده، فقد جاء عن أنس رواه أحمد (٢٢٥/٣) وعن جبير بن مطعم رواه أحمد (٨٢/٨٠/٤) وغيره، وجاء مطولاً بأسانيد صحيحة وذكرت أصله في العلم من الجزء الأول ص(٢٨)، وفي تهذيب الترمذي (٢٤٧١) من أبواب العلم.



قوله: «لا يغل» من الإغلال وهو الخيانة أو من الغل وهو الحقد والشحناء، وعلى أيٍّ فمعناه أن قلب الرجل المسلم لا يصدر عنه الحقد والشحناء والخيانة والميول عن الحق. وقوله: «إخلاص العمل للّه» الإخلاص أن يقصد بالعمل وجه الله ورضاه دون غرض آخر من سمعة ورياء. والإخلاص يضاده الشرك وهو أصغر وأكبر، فالأكبر يضاده الإخلاص في التوحيد، والأصغر وهو الرياء والسمعة يضاده الإخلاص في العمل لوجه الله عزّ وجل.

والإخلاص هو روح الأعمال وهو العروة الوثقى، والذروة العليا المأمور بها على ألسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهو شرطٌ لصحة الإيمان والأعمال.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ أي أمروا أن يجعلوا دينهم خالصاً لوجه الله لا يشوبه شرك ولا نفاق ولا رياء ولا حظوظ شيطانية.

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ أي: الصافي من جميع الشركيات.

وقال تعالى عن التائبين من المنافقين: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦﴾.

قال العلماء: التوبة أول مقام من مقامات اليقين والإخلاص خاتمتها، والإخلاص وضده من الشرك يتواردان على القلب، فهو مصدر القصد والنية والبواعث وعلى ما عزم عليه ونواه الحكم، فمن نوى شيئاً من القربات لوجه الله عزّ وجل وعمله ولم يشبه بشيء آخر كان مخلصاً، فإذا طرأ عليه شيء من شوائب الرياء عند العمل لا يتركه وليرد ما طرأ عليه ويستغفر الله تعالى ولا يضره ذلك إن شاء الله عزّ وجل.

وعلى أيٍّ: فالله عزّ وجل لا يقبل من الأعمال والأقوال والعزائم إلا ما أريد به وجه الله تعالى وخلص له

[١٧١] ففي حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ما ابتغي به وجه الله تعالى»**.

رواه الطبراني. قال المنذري رحمه الله: بإسناد لا بأس به.

* * *

## ❊ الرياء والسمعة

[١٧٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشِّرك، مَن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُه وشِرْكه»**، وفي رواية: **«فمَن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء وهو للذي أشرك»**.

رواه مسلم (١١٥/١٨) باللفظ الأول، وابن ماجه (٤٢٠٢) باللفظ الثاني، كلاهما في الزهد.

في الحديث تحريم خلط العمل للّه تعالى بغيره فإن ذلك يعتبر شركاً، وهو إما شرك أكبر موجب للخلود في النار كمن عبد الله وعبد معه غيره، وإما شرك أصغر كمن أراد بعمله وجه الله تعالى، ولكنه راءىٰ به غير الله ليحمد ويثنى عليه، وليقال: إنه كذا وكذا مما يتعاطاه المراؤون، وكل ذلك باطل لا يقبله الله عزّ وجل وهو بريء منه.

وقد قال الله تعالى في هذا المعنى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

فالآية الكريمة مصرحة بأن من كان يؤمن بالله عزّ وجل ويأمل لقاءه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه فيجب عليه أن يعمل أعمالاً صالحة وليخلصها للّه عزّ وجل ولا يرائي بها أحداً، ولا يبتغي بذلك غير وجه الله، فإن الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصاً له.

والشرك في الآية: هو الشرك الأصغر الذي يدخل في الأعمال



والأقوال المتقرب بها إلى الله وهو التظاهر للناس ومراءاتهم بها ليعرفوا منزلته فيعظّموه ويحترموه ويثنوا عليه لأجل ذلك. فهذا شرك خفي.

[١٧٣] وعن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا جمع الله الناس ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ: مَن كان أشرك في عمل عمله للّه أحداً، فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»**.

رواه أحمد (٤٦٦/٣) (ج٣١٥/٤)، والترمذي في التفسير (٢٩٥٠)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٠٣)، وابن حبان (٢٤٩٩) وهو حسن لغيره.

فالحديث كسابقه جاء مؤكداً ومبيناً للآية الكريمة.

[١٧٤] وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: **«لا شيء له»**، فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله ﷺ: **«لا شيء له»**، ثم قال: **«إن الله عزّ وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتُغِي به وجْهُه»**.

رواه أبو داود والنسائي في الجهاد (٢٢/٦) بسند حسن صحيح.

ففي قوله: «يلتمس الأجر والذكر» هو الرياء والشرك الأصغر فإنه أراد بغزوه الأجر من الله ثم ذكره عند الناس بالجرأة والشجاعة، فهذا شرك في العمل، والله لا يقبل إلا ما أريد به وجهه وحده.

[١٧٥] وهذا ما جاء عند الجماعة عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: الرجل يقاتل ليُذكرَ، ويقاتل ليغنم، ويقاتل ليُرى مكانه فمَن في سبيل الله؟ قال: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»**.

فقوله: «ليذكر» أي: يذكره الناس بالإقدام والنجدة. وكذا قوله: «ليُرى مكانه» أي: ليرى الناس مكانه من القتال فيمدحونه فذلك حظه وليس له من الأجر شيء، وحسب المرائي من الشر أن يكون به شبه بالمنافقين،

وقد قال تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ...﴾ الآية، في آيات وأحاديث جاءت في شأنهم، ومن أشد ما جاء في المرائين قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦...﴾ الآية، فكفى بذلك زجراً وخسارة.

ومن أنواع الرياء ما يبينه الحديث الآتي:

**[١٧٦]** عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قلنا: بلى، فقال: «**الشرك الخفي: أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**».

رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٠٤) وحسّنه البوصيري.

فالصلاة خير عمل، ولكنها تنقلب شر عمل بمراءاتها عن صاحبها يزين قراءتها وطول ركوعها وسجودها... ليذكره الناس بذلك ويثنون عليه، فهذا من الشرك الخفي الذي لا يتفطن له الناس وهو من الشهوة الخفية.

**[١٧٧]** فعن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أتخوّف على أمتي الإشراك بالله، أما إني لست أقول: يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً، ولكن أعمالاً لغير الله، وشهوة خفية**».

رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٠٥) قال البوصيري: في إسناده عامر بن عبدالله لم أرَ من تكلم فيه وباقي رجال الإسناد ثقات. ويتأيد بما في الباب.

فالرياء شهوة خفية لا يطلع عليها أكثر الناس.

* * *

## ❊ من وعيد المرائين

**[١٧٨]** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن سمَّع سمَّعَ الله به، ومن راءى راءى الله به**».



رواه مسلم في الزهد (١١٦/١٨)، ومثله عن جندب رواه البخاري في الرقاق (١٢٠/١٤)، ومسلم في الزهد (١١٦/١٨) وفي الباب أحاديث في معناه.

جاء في «الفتح» في الرياء والسمعة قال: والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها. والسمعة: بضم المهملة وسكون الميم مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر. وقال الغزالي: المعنى طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودة والمرائي هو العامل. وقال ابن عبدالسلام: الرياء أن يعمل لغير الله، والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس.

وقال الخطابي: معناه: من عمل عملاً على غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه، وقيل: من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثاً عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة. ومعنى يرائي يطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه... وقيل: المراد من قصد بعمله أن يسمعه الناس ويروه ليعظموه وتعلو منزلته عندهم حصل له ما قصد، وكان ذلك جزاءه على عمله ولا يثاب عليه في الآخرة. انتهى من الفتح.

وقال النووي: قال العلماء: معناه: من راءى بعمله وسمَّعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمَّع الله به يوم القيامة الناس وفضحه...

وعلى أيٍّ، ففي الحديث وعيد شديد وفضيحة للمرائي يوم القيامة، نسأل الله تعالى السلامة والعافية، آمين.

**[١٧٩]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يُقْضَى يوم القيامة عليه رجلٌ استُشهِد فأُتي به، فعرَّفه نِعمَه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهِدتُ، قال: كذبتَ، ولكنك قاتلتَ ليقال جريء، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِي في النار، ورجل تعلّم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به**

**فعرّفه نِعمَه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبل يُحَبُّ أن ينفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ ولكنك فعلتَ ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه، ثم أُلقي في النار».**

رواه أحمد (٣٢٢/٢)، ومسلم في الجهاد (٥١/٥٠/١٣)، والنسائي كذلك (٢١/٢٠/٦).

في هذا وعيد شديد لهؤلاء الأصناف الثلاثة الذين يراؤون بأعمالهم ولا يخلصونها لوجه الله تعالى، كما فيه زجر بالغ لهم.

قال النووي رحمه الله تعالى: قوله ﷺ في الغازي، والعالم، والجواد، وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله، وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً، وهذا الباب واسع متشعب وقد استقصاه أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء، وذكر له من الآفات والدقائق ما يجب الوقوف عليه فانظره في ربع المهلكات.

* * *

## ❊ ما يظن أنه رياء وليس منه

**[١٨٠]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رجل: يا رسول الله إن الرجل يعمل العمل فيسُرُّه فإذا اطلع عليه أعجبه، قال



رسول الله ﷺ: **«له أجران: أجر السر، وأجر العلانية»** وفي رواية: إني أعمل العمل فيُطّلع عليه فيعجبني؟ قال: **«لك أجران...»**.

رواه الترمذي (٢٢٠٢) وابن ماجه (٤٢٢٦) كلاهما في الزهد، وابن حبان بالموارد (٣٥١٦)، وسنده صحيح ولا يضر إرسال من أرسله، وله شاهد عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ:

**[١٨١]** قال: قلت له: الرجل يعمل العمل لله فيحبه الناس عليه؟ قال: **«ذلك عاجل بشرى المؤمن»**.

رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٢٥) بسند صحيح.

قال الترمذي رحمه الله تعالى: وقد فسر بعض أهل العلم هذا الحديث: **«إذا اطلع عليه فأعجبه»** إنما معناه أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير لقول النبي ﷺ: **«أنتم شهداء الله في الأرض»** فيعجبه ثناء الناس عليه لهذا، فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير ويُكرمَ ويُعظَّم على ذلك فهذا رياء. وقال بعض أهل العلم: إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله فتكون له مثل أجورهم، فهذا له مذهب آخر.

إنما الأعمال بالنيات فمَن عمل عملاً صالحاً أخلص فيه لله تعالى ولم يُرد به غيره، ثم اطلع عليه وأثنى الناس عليه وعظّموه وأكرموه لا يضره ذلك إن شاء الله، فإنه لم يقصد بعمله شيئاً من ذلك فعمله صحيح مقبول عند الله وثناء الناس عليه وما يتبع ذلك هي بشرى من الله تعالى له معجلة. ومع ذلك فلا ينبغي له أن يغتر بذلك.

* * *

## ❊ ماذا يفعل من خاف الرياء

**[١٨٢]** عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: **«يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل»** فقال له: من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا

رسول الله؟ قال: **«قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نُشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه»**.

رواه أحمد (٤٠٣/٤) والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير أبي علي الكاهلي فوثقه ابن حبان ولم يجرحه أحد. أفاده المنذري والهيثمي، وله شاهد عن حذيفة رواه أبو يعلى (٥٨) بنحوه، وفيه يقول كل يوم ثلاث مرات وهو صالح للاستشهاد به، فالحديث حسن بطريقيه.

ففي الحديث بيان دواء من يخاف الرياء في أعماله وأنه يقول هذا التعوذ ثلاث مرات كل يوم فيحفظه الله تعالى من هذا الداء القاتل إن شاء الله تعالى.

وكان الشيخ سيدي أحمد زروق رحمه الله تعالى موفّقاً كثيراً حيث جعله في وظيفته العظيمة التي اعتاد قراءتها الشاذليون.

فليواظب المؤمن على قراءته صباحاً ومساءً.

ومع ذلك فيجب عليه أن يكون على حذر من دقائق الرياء كعلانيتها، حفظنا الله من الرياء والسمعة في السر والعلن وجعل جميع أقوالنا وأعمالنا وأحوالنا خالصة لوجهه الكريم إنه قريب جواد سميع مجيب الدعاء.

* * *

## ❊ التوبة

التوبة هي الرجوع من المعصية إلى طاعة الله تعالى مصحوباً مع الندم على المعصية والإقلاع عنها ونية عدم الرجوع إليها مع صلاة ركعتين والاستغفار ورد مظالم العباد والتحلُّل منها.

وهي واجبة من كل ذنب كبيراً كان أم صغيراً كان الذنب شخصياً مع الله أم متعلقاً بالآخرين، كان المذنب ذكراً أم أنثى تقياً أم مخلطاً أم فاجراً، ومَن تاب توبة متوفرة الشروط قبلت قطعاً من الكافر ومن المؤمن على القول الصحيح.



وهي عند أهل السلوك أول مقام يجب فيه على السالك التحقق به والمداومة عليه كُلما صدر منه ذنب، ولا يخلو إنسان من هفوة أو هفوات مهما كان قدره إلا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. وقد أكثر الله عزّ وجل من ذكر التوبة والأمر بها ومدح التائبين والثناء عليهم والإشادة بهم كما جاء مثل ذلك عن نبينا ﷺ فقد قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ...﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ...﴾ الآية، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، وقال: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ أي: يقبل توبته، وقال: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾، وقال: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ في آيات كثيرة كلها تأمر بالتوبة وتثني على أصحابها وتخبر بفضل الله ورحمته وقبولها وغفران الذنوب وتكفير السيئات بعد صدورها.

وقد قدّمنا في الجزء الثاني ص(٦٩٩/٧٠٤) بعض أشهر الأحاديث الواردة في التوبة كحديث:

**[١٨٣] «يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم مائة مرة»**.

رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

**[١٨٤]** وحديث: **«إن الله عزّ وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»**.

رواه مسلم وغيره.

**[١٨٥]** وحديث: **«مَن تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»**.

رواه مسلم في أحاديث أخرى فارجع إليها، وسأذكر هنا بعض ما لم يذكر هنالك.

**[١٨٦]** فعن الإمام علي عليه السلام قال: إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ينفعني الله منه بما يشاء أن ينفعني، فإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدّقته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهر فيحسن الطهور، ثم يصلي، ثم يستغفر الله تبارك وتعالى إلا غفر الله له»**، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا...﴾ إلخ.

رواه أحمد (١٠/٩/١)، والحميدي (٤٩)، وأبو داود (١٥٢١)، والترمذي في الصلاة (٣٦٣) وفي التفسير (٢٨١٢)، والنسائي في الكبرى (٣١٤/٦)، وابن ماجه (١٣٩٥) بسند صحيح.

**ففي الحديث فوائد:**

**أولاً**: من آداب التوبة التطهر والصلاة ثم الاستغفار.

**ثانياً**: تأكد غفران الذنب بعد التوبة منه وهذا لا خلاف فيه.

**ثالثاً**: قد تصدر من المؤمن فاحشة من الفواحش كزنا وسرقة وشرب خمر مثلاً، فإذا تاب منها غفر الله له وأدخله جنته مخلّداً فيها، وهذا وعد من الله تعالى وهو لا يُخلف وعده.

**[١٨٧]** وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»**.

رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٥٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢١٠/٤)،



والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٨) حسّنه الحافظ وغيره لشواهده.

الحديث نصّ في أن من تاب لا يبقى عليه ذنب، وهذا مما يجب أن لا يختلف فيه لتظافر الأدلة على ذلك.

**[١٨٨]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عزّ وجل، قال الله تعالى: **«يا ابن آدم إنك ما دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»**.

رواه الترمذي في الأدعية (٣٥٤٠) بتهذيبي وهو حسن صحيح لشواهده.

قوله: «ولا أبالي» أي: لا أغبأ بتلك الذنوب والخطايا. وقوله: «عنان السماء» بفتح العين هو السحاب. وقوله «بقراب الأرض» بضم القاف، أي: بما يقارب ملء الأرض ذنوباً.

وفي الحديث شمول مغفرة الله للمستغفرين ولو كانت ذنوبهم تقارب ملء الأرض فإنه تعالى لا يتعاظمه شيء فينبغي للعبد أن يكون دائم الاستغفار فإنه لا يدري متى تصادفه رحمة الله.

* * *

## ❊ خير الخطائين التوّابون

**[١٨٩]** عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«كلُّ ابن آدم خطّاء، وخيرُ الخطّائين التوّابون»**.

رواه أحمد (١٩٨/٣)، والترمذي في صفة القيامة (٢٣١٨) بتهذيبي، وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١)، والدارمي في الرقاق (٢٧٣٠)، والحاكم (٢٤٤/٤) وسنده حسن وصححه الحاكم وابن القطان.

**في الحديث فائدتان:**

**الأولى:** أن التوابين خير العصاة وأهل الخطايا، وذلك لرجوعهم إلى الله تعالى وتعلقهم به والتجائهم إليه في تكفير وغفران ما اقترفوا، وفي ذلك خير كبير لهم.

**الفائدة الثانية:** فيه أن كل بني آدم مذنبون بل كثيرو الخطايا لا يخلون من ذلك الآونة بعد الآونة لأن تلك طبيعتهم إلا المعصومين من الأنبياء فهم خارجون عن هذه الكلية، ولذلك قال إمامنا أبو حامد الغزالي قدّس الله سره في أول ربع المنجيات من الإحياء: بعد كلام... بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين، والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين، فالمتجرد للخير ملك مقرّب عند الملك الديّان، والمتجرد للشر شيطان، والمتلافي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان.

قال: فقد ازدوج في طينة الإنسان شائبتان، واصطحب فيه سجيتان، وكل عبد يصحح نسبه إما إلى الملائكة، أو إلى آدم، أو إلى الشيطان، فالتائب قد أقام البرهان على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حد الإنسان، والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان، فأما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فخارج عن حيز الإمكان، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجناً مُحكماً لا يخلصه إلا إحدى النارين: نار الندم أو نار جهنم.

**[١٩٠]** وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن تغفر اللهم تغفر جماً، وأيُّ عبدٍ لك لا ألمّا»**.

رواه الترمذي في تفسير سورة النجم (٣٠٦٨)، والحاكم (٤٦٩/٢) وحسّنه الترمذي وصححه وهو على شرط مسلم عنده وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

قوله: «تغفر جماً» أي: كثيراً. وقوله: «لا ألمّا» أي: لم يلم بالمعصية.



وفي الحديث بيان منه ﷺ لطبيعة الإنسان في هذه الحياة وأنه لا يخلو أحد من الذنوب والإلمام بها، وأن الله عزّ وجل يقابلهم بالعفو والمسامحة والغفران وإن كثرت منهم الذنوب، لأن رحمته تعالى سبقت غضبه.

**[١٩١]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن عبداً أذنب ذنباً فقال: أذنبتُ ذنباً فاغفر لي، قال: فقال ربه عزّ وجل: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، فغفر له، فمكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر فقال: أذنبت ذنباً فاغفره لي، قال: قال ربه: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، فغفر له، فمكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر فقال: أذنبت ذنباً فاغفر لي، قال: قال ربه عزّ وجل: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء»**، وفي رواية: **«اعمل ما شئت قد غفرت لك»**.

رواه أحمد (٤٩٢/٤٠٥/٢)، والبخاري في التوحيد (٢٤٩/٢٤٨/١٧)، ومسلم في التوبة (٧٦/٧٥/١٧).

قوله: «اعمل ما شئت» ليس معناه الأمر بالإتيان بالذنوب وإباحتها، بل معناه: ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك فافعل ما شئت إذا كنت على تلك الحالة لأن ذلك هو مقتضى حكمة الله عزّ وجل في عباده، ولذا قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة به جميعها صحّت توبته... إلخ.

**[١٩٢]** ولهذا جاء في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: **«ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة»**.

رواه الطبراني في الدعاء (١٧٩٧) بسند حسن في الشواهد، وله شاهد عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه رواه أبو داود (١٥١٤)، والترمذي (٣٣٢٧) بتهذيبي، وأبو يعلى (١٣٧) وهو وإن كان سنده ضعيفاً فإنه ليس شديد الضعف فيحسن الحديث به.

غير أن هذا الاستغفار كما قال القرطبي في التفسير: هو الذي ثبت معناه في القلب مقارناً باللسان لينحل به عقد الإصرار، ويحصل معه الندم، فهو ترجمة للتوبة.

**[١٩٣]** وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه أنه قال حين حضرته الوفاة: كنت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون فيغفر لهم**».

وفي رواية: «**لو أنكم لم تكن لكم ذنوبٌ يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم**».

رواه أحمد (٥/٤١٤)، ومسلم في التوبة (١٧/٦٤/٦٥)، والترمذي في الدعوات (٣٣٠٦) بتهذيبي.

**[١٩٤]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تُذنِبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**».

رواه أحمد (٢/٣٠٤/٣٠٥/٤٤٥)، ومسلم في التوبة (١٧/٦٥) وتقدم هذا في الجزء الثاني.

* * *

## ❊ حكمة وقوع الذنوب من عباد اللّه المؤمنين

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون في هذا الكون الخير والشر، والطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، قد سبق كل ذلك في علم الله عزّ وجل، وكتبه في اللوح المحفوظ الذي هو أم الكتاب، فما قضاه وقدّره هو كائن لا يتخلّف أبداً أياً كان ذلك المقضي، ومن العقائد اليقينية الإسلامية الإيمان بالقدر، وأن كل ما وقع أو سيقع في هذا الكون وغيره قد سبق به علم الله وكتابته. ومنها المعاصي والذنوب بجميع أنواعها، فلا يخلو



إنسان من زلة يُصيبها، ومعصية يقع فيها، شاء أم أبى، قضاء أبرمه الله تعالى وقضاه.

وأفاد الحديثان عدة فوائد وحكم:

منها: أن الذنوب لا بد أن تصدر من العباد ولا يخلو منها مكان ولا زمان ولا إنسان إلا الأنبياء عليهم السلام، فمَن حاول العصمة منها حاول ما لا يمكن أبداً.

ولذا قال الشوكاني رحمه الله تعالى في شرح الحصن الحصين: وفي الحديث دليل على كثرة وقوع الذنوب من بني آدم وأن من حاول أن لا يقع منه ذنب البتة فقد حاول ما لا يكون، لأن هذا - أعني وقوع الذنب - من النوع الإنساني هو الذي جبلهم عليه وقد خلقهم الله تعالى وأمرهم بالخير والكف عن الشر، ولكن ما في جبلتهم يأبى أن لا يقع منهم ذنب، لأن العصمة لا تكون إلا لمن أعطى النبوة من بني آدم، فلو أرادوا أن لا يذنبوا أصلاً راموا ما ليس لهم...

ومنها: أن من حكم وقوعها من العباد وخاصة المؤمنين منهم رجوعهم إلى الله تعالى واستغفارهم من الوقوع فيها، واعترافهم للّه عزّ وجل بها وأنه وحده الذي يغفرها.

ومنها: أنه لو خلا الكون من سقطات العباد وزلاّتهم، وأصبحوا جميعهم معصومين من الخطايا لأماتهم الله وذهب بهم، وأتى بقوم آخرين يوافقون قضاءه وقدره فيذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم، لأن العباد مظهر من مظاهر تجليات أسماء الله تعالى وصفاته، فالمذنبون الرجّاعون إلى الله كلما أذنبوا تتجلى فيهم آثار أسماء الله وصفاته الجمالية، كالغفور والتوّاب، والرحيم ونحوها، فإذا لم يوجد مذنبون يستغفرون الله تعالى ويتوبون إليه ليغفر لهم ويتوب عليهم، توقفت تصرفاته تعالى بهذه الأسماء كما تتوقف أسماؤه الأخرى الجلالية كالقهّار والجبّار والمنتقم... إذا لم يعصه كافر أو فاجر... وكل ذلك ينافي حكمته في خلقه وكونه ولا يُسأل عما يفعل.

ومنها: أن المعصية قد تكون دواء للمؤمن، كمرض العجب، فدواؤه السقطات والهفوات.

**[١٩٥]** فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو لم تكونوا تذنبون لخِفْتُ عليكم ما هو أكبر من ذلك العُجْبُ العُجْبُ**».

رواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (٨٨٢)، والبيهقي في الشعب.

وهو حديث حسن جيد كما قال المنذري والمناوي وأستاذنا أبو الفيض في «فتح الوهّاب» وذلك لشواهده، فالمؤمن إذا صفا له الوقت مع الله تعالى ومنّ عليه بالاستقامة ربما دخله العجب بطاعته وأعماله الصالحة، ويرى فضله على غيره فيبتليه الله تعالى بالذنب علاجاً له، لأن الإعجاب بحاله حال استقامته ربما كان أعظم خطراً على دينه من الذنب الذي يقع فيه الآونة بعد الآونة، ويتوب ويستغفر منه فقد يترتب على الوقوع في الذنب أحوال وخير كبير كالذلة والافتقار إلى الله تعالى والرجوع إليه وتجديد المحبة، وتقوية الإيمان، والجِد والاجتهاد، واحتقار النفس واستصغارها، والنظر إلى الآخرين بعين الإكبار. وقد ذكر الإمام ابن عطاء الله رحمه الله تعالى في حكمه حكمتين عظيمتين لصدور الذنب من السالك، فقال رحمه الله تعالى ورضي عنه: ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وربما قضى عليك بالذنب فكان سبباً في الوصول. معصيةٌ أورثتكَ ذُلاً وافتقاراً خيرٌ من طاعة أورثتْ عِزًّا واستكباراً.

وعلّق الشيخ سيدي أحمد زروق رحمه الله تعالى على الحكمة الأولى: وقضى عليك بالذنب، فكان سبباً في الوصول بما يفتح به عليك من أبواب الهداية والخير التي أصولها ثلاث: الانكسار، والتوبة، والتشمير مع الحذر الموجبين للجد والإخلاص، المخلصين من العيوب والذنوب. ثم نقل عن العارف أبي العباس المرسي رحمه الله تعالى، أن العبد قد يطيع الطاعة فيعجب بها ويعتمد عليها ويستصغر من لم يعملها ويطلب من الله تعالى العوض عليها، فهذه حسنة أحاطت بها سيئات، ويذنب الذنب فيلجأ إلى الله تعالى ويعتذر منه ويستصغر نفسه ويعظم من لم يعمله، فهذه سيئة



أحاطت بها حسنات فأيتهما الطاعة وأيتهما المعصية؟

وعلّق على قوله: معصية أورثتك ذلاً... إلخ. الخير في الطاعة بالذات، والشر فيها بالعرض، والشر في المعصية بالذات، والخير فيها بالعرض، وخير الطاعة من حيث أنها عبودية له وخضوع بين يديه، ورجوع إليه وطلب لما عنده، وشر المعصية في ضد ذلك، فإذا أوجبت الطاعة ما هو بالمعصية بالذات كانت شراً، وإذا أوجبت المعصية ما هو في الطاعة بالذات كانت خيراً.

ثم نقل عن الشيخ سيدي أبي مدين رحمه الله تعالى أنه قال: «انكسار العاصي خيرٌ من صَوْلة المطيع».

❊ ❊ ❊

## ❊ من فوائد ابن القيم

وقد ذكر الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه القيم «طريق الهجرتين»، حول هذا الموضوع كلاماً نفيساً جداً تحت عنوان: قاعدة في مشاهد الناس في المعاصي والذنوب، فذكر ستة مشاهد ثم قال: المشهد السابع مشهد الحكمة وهو أن يشهد حكمة الله في تخليته بينه وبين الذنب، وإقداره عليه، وتهيئته أسبابه له، وأنه لو شاء لعصمه وحال بينه وبينه، ولكنه خلّى بينه وبينه لحكمة عظيمة لا يعلم مجموعها إلا الله تعالى.

ثم ذكر ذلك من أحدٍ وثلاثين وجهاً، وهذه خلاصتها بإجمال:

**أحدها**: أن الله يحب التوّابين ويفرح بتوبتهم، فلمحبته للتوبة وفرحه بها قضى على عبده بالذنب.

**الثاني**: تعريف العبد عزة الله تعالى في قضائه ونفوذ مشيئته وجريان حكمه.

**الثالث**: تعريفه حاجته إلى حفظه وصيانته.

**الرابع**: استجلابه من العبد استعانته به واستعاذته به من عدوه وشر نفسه والالتجاء إليه والابتهال بين يديه.

**الخامس**: إرادته من عبده الذل والانكسار وتصاغر نفسه عنده بعد نظره إلى صلاح نفسه واستقامتها.

**السادس**: تعريفه بخَنْقَتِهِ نفسه وأنها الخطّاءة الجاهلة وأن كل ما لديها من علم وعمل وخير فمنن من الله تعالى مَنَّ بها عليه لا من نفسه.

**السابع**: تعريفه عبده سعة حلمه وكرمه في ستره عبده فإنه لو شاء لهتكه وفضحه بين عباده.

**الثامن**: تعريفه أنه لا طريق إلى نجاته إلا بعفوه ومغفرته.

**التاسع**: تعريفه كرمه في قبوله توبته ومغفرته له على ظلمه وإساءته.

**العاشر**: إقامة الحجة على عبده، فإن عذّبه فبِعَدْله وببعض حقه عليه بل باليسير منه.

**الحادي عشر**: أن يعامل عباده في إساءتهم إليه وزلاّتهم بما يجب أن يعامله الله تعالى به فيسامحهم ويعفو عنهم.

**الثاني عشر**: أن يقيم معاذير الخلائق ويتسع رحمته لهم.

**الثالث عشر**: أن يقطع صولة الطاعة من قلبه فتتبدل برقة ورحمة.

**الرابع عشر**: أن يُعْرِيَه من رداء العجب بعمله ويعالجه به.

**الخامس عشر**: أن يُلبسه لباس الذل الذي لا يليق إلا بالعبيد.

**السادس عشر**: أن يستخرج من قلبه عبوديته بالخوف والبكاء والندم.

**السابع عشر**: أن يعرف مقداره مع معافاته وفضله في توفيقه وحفظه.

**الثامن عشر**: أن يستخرج منه محبته وشكره لربه إذا تاب فإن الله يحبه ويوجب له بهذه التوبة مزيد محبة وشكر ورضى لا يحصل بدون التوبة.

**التاسع عشر**: أنه إذا شهد إساءته وظلمه، واستكثر القليل من نعمة الله



تعالى عليه لعلمه بأن الواصل إليه منها كثيرٌ على مسيء مثله، فهو دائماً مستقل لعمله كائناً ما كان.

**العشرون**: أنه يوجب التيقُّظ له والحذر من مصائد العدو ومكائده، ويعرِّفه من أين يدخل عليه وبماذا يحذر منه كالطبيب الذي ذاق المرض والدواء.

**الحادي والعشرون**: أن مثل هذا ينتفع به المرضى لمعرفته بأمراضهم وأدوائها.

**الثاني والعشرون**: أنه يرفع عنه حجاب الدعوى ويفتح له طريق الفاقة، فإنه لا حجاب أغلظ من الدعوى، ولا طريق أقرب من العبودية، فإن دوام الفقر إلى الله تعالى مع التخليط خير من الصفا مع العجب.

**الثالث والعشرون**: أنه يكون في القلب أمراض مزمنة لا يشعر بها فيطلب دواءها فيمن عليه اللطيف الخبير ويقضي عليه بذنب ظاهر فيجد ألم مرضه فيحتمي ويشرب الدواء النافع بالتوبة فتزول تلك الأمراض.

**الرابع والعشرون**: أن يذيقه ألم الحجاب والبُعد عنه تعالى بارتكاب الذنب ليكمل له نعمته وسروره إذا أقبل بقلبه إليه وجمعه عليه وأقامه في طاعته، فيكون التذاذه في ذلك بعد أن صدر منه ما صدر بمنزلة التذاذ الظمآن بالماء العذب الزلال، والشديد الخوف بالأمن، والمحب الطويل الهجر بوصل محبوبه، وإن لطف الرب وبره وإحسانه ليبلغ بعبده أكثر من هذا. فيا بؤس من أعرض عن معرفة ربه ومحبته.

**الخامس والعشرون**: امتحان العبد واختياره هل يصح لعبوديته تعالى وولايته أم لا، فإنه إذا وقع الذنب سُلِبَ حلاوة الطاعة ووقع في الوحشة، فإن كان ممن يصلح، اشتاقت نفسه إلى لذة تلك المعاملة فحنّت وتضرّعت واستعانت بربها ليردها إلى ما عوّدها من بره ولطفه، وإن ركنت عنها واستمر إعراضها ولم تحس بفاقتها الشديدة إلى مراجعة قربها من ربها عَلِمَ أنها لا تصلح للّه تعالى.

**السادس والعشرون:** أن الحكمة الإلهية اقتضت تركيب الشهوة والغضب في الإنسان، ولو لم يخلق فيه هذه الدواعي لم يكن إنساناً بل ملكاً، فالذنب من موجبات البشرية، كما أن النسيان من موجباتها، كما قال النبي ﷺ: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوّابون**» ولا يتم الابتلاء والاختبار إلا بذلك.

**السابع والعشرون:** أن ينسيه رؤية طاعته، ويشغله برؤية ذنبه، فلا يزال نصب عينيه، فإن الله تعالى إذا أراد بعبدٍ خيراً سلب رؤية أعماله الحسنة من قلبه، والإخبار بها من لسانه، وشغله برؤية ذنبه، فلا يزال نصب عينيه حتى يدخل الجنة، فإن ما تقبل من الأعمال رُفع من القلب رؤيته، ومن اللسان ذكره. وقال بعض السلف: إن العبد ليعمل الخطيئة فيدخل بها الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه إذا ذكرها ندم واستقال وتضرّع إلى الله تعالى وبادر إلى محوها، وانكسر وذلّ لربه وزال عنه عُجْبُه وكِبْرُه، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يراها ويمن بها ويعتد بها ويتكبّر بها حتى يدخل النار.

**الثامن والعشرون:** أن شهود ذنبه وخطيئته يوجب له أن لا يرى له على أحد فضلاً، ولا له على أحد حقاً، فإنه إذا شهد عيب نفسه بفاحشة وخطئها وذنوبها لا يظن أنه خير من مسلم وإذا شهد ذلك لم ير لها على الناس حقوقاً من الإكرام يتقاضاهم إياها، ويذمهم على ترك القيام بمعافاتها عنده أخس قدراً وأقل قيمة من أن يكون لها على عباد الله حقوق يجب مراعاتها أو لها عليهم فضل يستحق أن يلزموه لأجلها، فيرى أن من سلّم عليه أو لقيه بوجه منبسط قد أحسن إليه وبذل له ما لا يستحقه فاستراح في نفسه واستراح الناس من تعبه وشكايته، فما أطيب عيشه وما أنعم باله وما أقر عينه، وأين هذا ممن لا يزال عاتباً على الخلق شاكياً ترك قيامهم بحقه ساخطاً عليهم وهم عليه أسخط، فسبحان ذي الحكمة الباهرة التي بهرت عقول العالمين.

**التاسع والعشرون:** أنه يوجب له الإمساك عن عيوب الناس والفكر



فيها، فإنه في شغل بعيبه ونفسه. وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وويل لمن نسي عيبه وتفرغ لعيوب الناس، فالأول: علامة السعادة، والثاني: علامة الشقاوة.

**الثلاثون:** أنه يوجب له الإحسان إلى الناس والاستغفار لإخوانه الخاطئين من المؤمنين فيصير هجيراه: ربِّ اغفر لي ولوالديَّ وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، فإنه يشهد أن إخوانه الخاطئين يصابون بمثل ما أصيب به، محتاجون إلى مثل ما هو محتاج إليه، فكما يُحِبُّ أن يستغفر له أخوه المسلم يحب أن يستغفر هو لأخيه المسلم.

**الحادي والثلاثون:** أنه يوجب له سعة إبطائه وحلمه ومغفرته لمن أساء إليه فإنه إذا شهد نفسه مع ربه سبحانه مسيئاً خاطئاً مذنباً مع فرط إحسانه إليه وبره وشدة حاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، وهذا حاله مع ربه فكيف يطمع أن يستقيم له الخلق ويعاملوه بمحض الإحسان، وهو لم يعامل ربه بتلك المعاملة؟ وكيف يطمع أن يطيعه مملوكه وولده وزوجته في كل ما يريد وهو مع ربه ليس كذلك، وهذا يوجب أن يغفر لهم ويسامحهم ويعفو عنهم ويغض عن الاستقصاء في طلب حقه قبلهم. انتهى كلام ابن القيم وهو كلام نفيس للغاية.

* * *

## ❊ الذنوب وأقسامها

لأهمية هذا الباب وحاجة الناس إليه حاجتهم للطعام والشراب لا بد أن نشير إلى أن الذنوب فيها صغائر وكبائر وأكبر كما جاء في الكتاب والسنّة واتفق عليه العلماء.

فالصغائر كالنظرة، واللمس، والقبلة للمرأة الأجنبية أو الذكر الأمرد المشتهى، والمشي إلى موعد المعصية، وأخذ مثل درهم الغير، وأكل نحو تمرة مثلاً، والخلوة بالأجنبية والكلام معها فيما هو خارج عن المعروف

والآداب الإسلامية، وسماع الملاهي والمزامير، وتعاطي الشبهات، ومخالطة الفسّاق أحياناً، ولبس الديباج، والتختُّم بالذهب، وسب الولد، أو ضربه زيادة على مقدار الأدب، وكذب لا ضرر فيه، واللعب بالقردة، ونطاح الأكباش، ومهارشة الديكة، والعبث في الصلاة، واقتناء الكلب لغير الحاجة، ونحو ذلك، وهي لا تنحصر، وقد ذكر جملة كبيرة منها الشيخ مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء..

وجعل الغزالي وغيره من الصغائر الغيبة أو سماعها، والتجسُّس، وسوء الظن، والكذب في بعض الأقوال، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإكرام السلاطين الظلمة، ومصادقة الفجّار، والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين، وفي بعض ما ذكروه خلاف.

أما الكبائر فكثيرة أيضاً وقد ذكرها مفصّلة ابن حجر الهيتمي في الزواجر فأبلغها إلى أكثر من أربعمائة كبيرة، وفي بعضها نظر ونزاع.

وقد جاء التنصيص في الكتاب والسنة على بعضها كالقتل، والزنا، واللواط، والسرقة، وشرب الخمر، وقذف المحصنات، وأكل الربا، والتعامل به، وأكل مال اليتيم، وأخذ أموال الناس بالباطل، وقطع الرحم، والسحر، والنميمة، وشهادة الزور، والقوادة، والديانة، وشتم الآخرين أو لعنهم، وكذا لعن الوالدين أو شتمهما ولو بسبب، وعموم عقوقهما من باب أوْلى، والفرار من الزحف، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهلّ به لغير الله، واليمين الغموس، ونكث الصفقة، والأمن من مكر الله، ومنع ابن السبيل من فضل الماء، وعدم التنزُّه من البول، والإضرار في الوصية، والغلول من الغنيمة، والإلحاد في بيت الله الحرام، والجمع بين الصلاتين بغير عذر، واتخاذه عادة، ومفارقة جماعة المسلمين وموالاة الظلمة والكفرة، وهي كثيرة لمن تتبعها، وفيها ما هي كبيرة وأكبر كما يتضح من الأحاديث الآتية:

**[١٩٦]** فعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»** ثلاثاً. وفي رواية: **«ألا أخبركم؟»** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **«الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور»**



قال: وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

رواه البخاري في الشهادات، وفي الاستئذان (١٣/٣٠٧)، ومسلم في الإيمان (٢/٨١/٨٢)، والترمذي في الشهادات (٢١٢٣) وفي التفسير (٢٨٢٤)، وأحمد وغيرهم.

**[١٩٧]** وعن أنس بنحوه، وزاد فيه: **«وقتل النفس»**.

رواه الشيخان والترمذي.

**[١٩٨]** وعن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ: **«الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين»**، أو قال: **«اليمين الغموس»**.

رواه أحمد (٢/٢٠١)، والبخاري في الديات وفي الأيمان والنذور، والترمذي في التفسير (٢٨٢٦) وحسّنه وصححه.

**[١٩٩]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من الكبائر أن يشتم الرجل والديه»** قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: **«نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويشتم أمه فيشتم أمه»**.

رواه البخاري في الأدب (١٣/٧)، ومسلم في الإيمان (٢/٨٣)، وأبو داود في الأدب (٥١٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٧٤٨).

**[٢٠٠]** وعن عُمَيْر وكانت له صحبة أن رجلاً سأله فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟ فقال: **«هُنَّ تِسْعٌ»** فذكر معنى الحديث التالي وزاد: **«وعقوق الوالدين المُسْلِمَيْن، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياءً وأمواتاً»**.

رواه أبو داود في الوصايا (٢٨٧٥)، والنسائي في المحاربة من الكبرى (٢/٢٩٠) وهو حديث حسن لغيره.

**[٢٠١]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اجتنبوا السبع الموبقات»**، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: **«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق،**

**وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».**

رواه البخاري في الوصايا وغيرها، ومسلم في الإيمان (٢/٨٢/٨٣)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٧٦)، والنسائي فيه أيضاً (٤/١١٤) من الكبرى.

ففي جملة هذه الأحاديث بيان كبار المعاصي وأكبرها وأنها ليست متساوية بل هي متفاوتة حسب مفاسدها ومضارها وقد ذكر غير واحد من العلماء أن أكبرها: الإشراك والكفر بالله، ثم ترك الصلاة، ثم قتل النفس بغير حق، ثم الزنا، ثم اللواط، ثم العقوق، ثم أكل مال اليتيم، ثم أكل أموال الناس بالباطل، ثم المراباة، ثم قذف المحصنات، ثم السحر، ثم باقي المعاصي حسب مفاسدها اجتماعياً وأُسَريًا وفردياً.

❋ ❋ ❋

## ❋ ما هو حد الكبيرة؟

وتعرف الكبيرة غير المنصوص عليها بما ذكر العلماء في حدها.

فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب. وقال بعضهم: هي ما أوعد الله تعالى عليه بنار أو حد في الدنيا، وقيل غير ذلك من الأقوال.

وعلى أيٍّ، فكل ذنب أوعد الله على صاحبه بالعذاب، أو غضب عليه أو لعنه، أو ذكر أنه فاحشة، أو فسق، أو جاء أنه لا يكلمه ولا ينظر إليه يوم القيامة، أو ذكر أنه بهتان، أو أن صاحبه منافق، ونحو ذلك. فكل ما جاء كذلك فهو كبيرة، وما عدا ذلك فهو صغيرة. أما ما جاء عن بعض السلف وغيرهم أن كل شيء نهى الله تعالى عنه فإنه كبيرة فمقصودهم أن كل مخالفة هي بالنسبة إلى جلال الله وعظمته كبيرة، ولا يخالفون في أن المعاصي فيها كبائر وصغائر لتظافر الدلائل من الكتاب والسنّة على ذلك، واتفاق جمهور العلماء عليها.



قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ الآية.

والسيئات التي تكفر هي الصغائر بلا شك.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾، واللمم: هي الصغائر.

[٢٠٢] وقال ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، يكفرن ما بينهن ـ إنْ اجتنبت الكبائر ـ**» وفي رواية: «**ما لم تغش الكبائر**».

رواه مسلم والترمذي وغيرهما من حديث أبي هريرة.

فالحديث نصّ في أن الله يكفّر السيئات بالصلوات الخمس وما ذكر معها إذا لم تغشَ الكبائر واجتنبت فيكون المغفور هي الصغائر، وهذا مما يجب أن لا يتنازع فيه.

❋ ❋ ❋

## ❋ بماذا تغفر الذنوب كبيرها وصغيرها

يبقى هنا أمر آخر وهو بالغ الأهمية: بماذا تكفر الذنوب وما يغفر منها وما لا يغفر؟ وإجابة عن هذا نقول بإذن الله وعونه: أما الصغائر فتغفر باجتناب الكبائر وبكل قربة وطاعة وعمل صالح بدون استثناء، فتغفر بالطهارة، وبالصلاة مطلقاً، وبالصدقة، وبتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والصلاة على رسول الله ﷺ وبجميع أنواع البر والإحسان. وهذا لا خلاف فيه بين العلماء فإذا لم يكن للإنسان صغائر يكفر له بعض الكبائر وإذا لم توجد له كبائر ترفع له بها الدرجات.

أما بالنسبة للكبائر فتغفر بأمور جاءت بها الشريعة:

منها: التوبة النصوح كما تقدم، ومنها: الحج المبرور، ومنها: بر

الوالدين المسلمين، ومنها الجهاد في سبيل الله، ومنها: صلاة التسبيح، وقد تكفر بأنواع الطاعات، كما جاء ببعض ذلك عموم الأحاديث وفضل الله واسع.

أما الذي لا يغفر مطلقاً فهو الشرك بالله والكفر به ما دام صاحبه لم يسلم، فإذا أشهر إسلامه بصدق وإخلاص غفر الله له كل ما سلف.

❋ ❋ ❋

## ❋ الخوف والرجاء

[٢٠٣] عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو بالموت، فقال له: «كيف تجدك؟» فقال: والله يا رسول الله أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: **«لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو وأمّنه مما يخاف».**

رواه الترمذي في الجنائز (٨٧٥)، وابن ماجه في الزهد (٤١٦١)، وجوّده النووي، وحسّنه المنذري وغيره.

يستفاد من الحديث الشريف أن المؤمن الحازم ينبغي أن يكون جامعاً بين حالتَي الخوف والرجاء في جميع مراحل حياته فيرجو رحمة الله ومغفرته ويخاف سطوته وعذابه. وهذه حالة الربانيين من عباد الله عزّ وجل كما قال تعالى في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ وقال تعالى في صفة أهل التهجد وقيام الليل: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾ الآية.

وقال جلّ علاه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾.

وقال في شأن الملائكة وما عبد من دون الله من الصالحين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.



وهكذا جمع الله عزّ وجل في القرآن الكريم بين الخوف والرجاء فلا يذكر النار أو أهلها إلا ذكر بجنبها الجنة أو أهلها، ولا يذكر عقابه وغضبه إلا ذكر رحمته ومغفرته وعفوه، كقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ثم ذكر ضد هؤلاء فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾.

وكقوله في الآية الأخرى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾.

ثم قال في الجانب الآخر: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٧٤)﴾.

ثم قال في المؤمنين الصالحين ترغيباً في السير على نهجهم: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥)﴾ الآية.

وقال: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

ثم قال في الربانيين السعداء: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢)﴾.

وهكذا شأن القرآن في كل سورة يجمع بين الترغيب والترهيب ليكون المؤمن دائماً جامعاً بين الخوف والرجاء، وهكذا جاءت التربية النبوية كما يعرف من السنة المطهرة.

ولذلك قال علماؤنا الربانيون: الخوف والرجاء كجناحَيْ الطائر إذا

استويا استوى الطير وتمّ طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

وهكذا الخوف والرجاء إذا استويا استوت حالة المؤمن واستقام، وإذا نقص أحدهما أو كلاهما نقص دينه أو ذهب بالكلية، فإن مَن غلّب جانب الرجاء على الخوف وقع في الأمن من مكر الله وعقابه، وأطلق لنفسه العنان وترك التكاليف الشرعية وارتكب المحرمات اعتماداً منه على فضل الله ورحمته في زعمه، وإذا غلّب جانب الخوف على الرجاء وقع في اليأس والقنوط من رحمة الله فلا يبقى له أمل ولا رجاء في عفو الله ورحمته، وكلا الحالتين ضلال وخروج عن الصراط السوي، أما فقدهما معاً فلا يخاف ولا يرجو. فهذا هالك لأنه لا يكون كذلك إلا كافر ملحد.

❊ ❊ ❊

## ❊ الرجاء وما جاء فيه

[٢٠٤] الرجاء هو ضد اليأس وهو أن يأمل من الله عزّ وجل أن يقبل أعماله الصالحة ويثيبه عليها ويغفر له ويتجاوز عن سيئاته، ولا يكون الرجاء إلا مع العمل وإلا كان أمنية وغروراً وحمقاً.

ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ الآية.

فرتّب تعالى رجاءهم على إتيانهم بالأعمال الصالحة من تلاوة كتاب الله وإقام الصلاة والإنفاق مما رزقهم الله تعالى.

فهؤلاء هم المستحقون للرجاء، أما المتمادي في الذنوب والمنهمك في الفواحش والمخالفات مع عدم التوبة والرجوع إلى الله تعالى ثم يقول: إني أرجو الله أن يغفر لي، فإنه غفور رحيم، فهذا مغرور ومخدوع ورجاؤه رجاء الكذّابين الحمقى.



وقد أخبر تعالى عن أمثال هؤلاء بقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾.

وقال تعالى عن صاحب البستان الكافر المغرور: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾.

قال يحيى بن معاذ الرازي أحد الزهّاد النسّاك: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمنّي على الله عزّ وجل مع الإفراط، وأنشد:

ما بالُ دينك ترْضَ أن تُدَنِّسهُ ... وثوْبُك الدَّهْرَ مغسولٌ مِنَ الدَّنَسِ

تَرْجُو النجاةَ ولم تَسْلُك مسالِكَها ... إنَّ السفينة لا تجري على اليبسِ

وفي حكم ابن عطاء الله رحمه الله تعالى: «الرجاءُ ما قارنَهُ عَمَلٌ، وإلاّ فهو أُمْنِيَّةٌ».

وقال الحافظ في الفتح: والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليُحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجياً عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور.

وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل.

ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو.

وقال جمهور العلماء: الأولى أن يرجح الإنسان جانب الخوف في حياته، فإذا مرض رجح الرجاء، وأما عند الموت فاستحبُّوا الاقتصار على الرجاء دون الخوف وهذه:

❊ ❊ ❊

[٢٠٥] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يموتَنّ أحدُكم إلا وهو يُحسِنُ ظنَّه بالله عزّ وجل**».

رواه أحمد (٣/٣١٥) وفي مواضع، ومسلم (١٧/٢٠٩)، وأبو داود (٣١١٣)، وابن ماجه (٤١٦٧).

[٢٠٦] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله عزّ وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني**».

رواه البخاري في التوحيد (١٨/١٥٥/١٥٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (١٧/٢/٣)، وابن ماجه (٣٨٢٢) وغيرهم في حديث طويل تقدم في أبواب سابقة.

ومعنى تحسين الظن بالله أن يغلب الإنسان ظنه بأن الله عزّ وجل سيقبل أعماله ويثيبه عليها ويتجاوز عن زلاّته وذنوبه ويشمله بعفوه وإحسانه ويعمه برحمته وكرمه ولا يقنط من رحمة الله وخاصة عند الوفاة.

[٢٠٧] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ الله خلق الرحمةَ يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمةً، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار**» وفي رواية: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في الجنة أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد**»، وفي رواية: «**أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها**»، وفي رواية: «**فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**»، «**وأخّر الله تعالى تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة**».

رواه أحمد (٢/٣٣٤/٣٩٧/٤٨٤)، والبخاري في الأدب وفي الرقاق



(١٤/٨٢/٨٣)، ومسلم في التوبة (١٧/٦٨/٦٩/٧٠)، والترمذي في الأدعية (٣٣٠٨/٣٣٠٩) بتهذيبي.

[٢٠٨] وعنه عن رسول الله ﷺ قال: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**»، وفي رواية: «**غلبت غضبي**»، وفي أخرى: «**سبقت غضبي**».

رواه أحمد (٢/٤٣٣/٤٦٦)، والبخاري في التوحيد (١٧/١٨٥)، ومسلم في التوبة (١٧/٦٧/٦٨)، والحميدي (١١٢٦)، والترمذي في الأدعية (٣٣١٠)، والنسائي في الكبرى (٤/٤١٧)، وابن ماجه (١٨٩) وغيرهم.

[٢٠٩] وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قدم رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تَسْعَى، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: «**أترَوْنَ هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا والله، فقال: «**للّهُ أرحمُ بعباده من هذه بولدها**»، وفي رواية: «**لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه**».

رواه البخاري في الأدب (١٣/٣٧)، ومسلم في التوبة (١٧/٦٩/٧٠).

[٢١٠] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مرّ النبي ﷺ في نفر من أصحابه وصبي على الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لِتُلْقِيَ ابنها في النار، فقال ﷺ: «**ولا الله بطارح حبيبه في النار**»، وفي رواية: «**ولا الله يلقي حبيبه في النار**».

رواه أحمد (٣/١٠٤/١٠٥)، والحاكم (١/٥٨)، وأبو يعلى (٣٧٣٥) وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي وعزاه النور في المجمع (١٠/٣٨٣) لأحمد والبزار وأبي يعلى، وقال: رجالهم رجال الصحيح.

في جملة هذه الأحاديث تتجلّى رحمة الله تعالى بعباده وتحمل بشارات عظيمة لأهل الإيمان الطائعين منهم والعاصين. ويتضح ذلك في الآتي:

**أولاً**: كثرة عدد رحمة الله تعالى، وهذه الرحمات من صفات الأفعال،

أما رحمة الذات فلا تتعدد، وإذا كانت رحمة واحدة تسع أهل الدنيا بإنسها وجنّها، وحيواناتها وهوامها... فيتراحمون ويتعاطفون بها، حتى إن السباع والنمار والأفاعي تعطف على أولادها وترحمها.

فكيف بيوم القيامة الذي سيكون فيه مائة رحمة، فلا شك أن الله عزّ وجل سيشمل جميع عباده المؤمنين برحمته.

قال النووي: هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين. قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار. الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء...

**ثانياً**: قوله تعالى: «إن رحمتي تسبق غضبي» معناه كما قال العلماء كثرة الرحمة وشمولها للعباد وأن الله عزّ وجل يرحم أكثر مما ينتقم.

**ثالثاً**: قوله: «غضبي» غضب الله تعالى صفة له ليست كصفة المخلوقات كرضاه أيضاً وسخطه. وقال البعض: غضب الله ورضاه يرجعان إلى معنى الإرادة، فإرادته الإثابة للمطيع، ومنفعة العبد تسمى رضا ورحمة، وإرادته عقاب العاصي وخذلانه تسمى غضباً، وإرادته سبحانه وتعالى صفة له قديمة يريد بها جميع المرادات. قاله النووي.

وهذا على مذهب الخلف المتأولين، والله تعالى أعلم.

**رابعاً**: في حديثَيْ أنس بشارة أي بشارة للمحبين للّه عزّ وجل حيث إنه أخبر على لسان رسوله ﷺ وخبره صدق أنه لا يعذب حبيبه، وهل يوجد في الدنيا مؤمن صادق لا يحب الله عزّ وجل، لا والله، فلتقر أعين المحبين بهذه البشارة، وليطربوا ويرقصوا فرحاً بالله عزّ وجل.

**خامساً**: في قوله ﷺ في حديث عمر: **«للّه أرحم بعباده من هذه بولدها»** بشارة أخرى لأنه إذا كانت المرأة أرحم الناس بولدها فهي تؤثره



على نفسها وتفديه بحياتها وروحها... فكيف بأرحم الراحمين أرحم بعباده من أنفسهم؟...

**سادساً**: في قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: **«فلو يعلم الكافر ولو يعلم المؤمن...»** إلخ»، دليل على أنه ينبغي للمؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء فيرجو رحمة الله تعالى ومغفرته ولا يقنط ويأس لسعة رحمة الله وفضله وشمول مغفرته.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ إلخ.

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية.

وقال: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾.

ثم يخاف الله مع ذلك فلا يأمن مكر الله وعقابه وغضبه على شديد العقاب، وعذابه هو العذاب الأليم، ولا يعذب عذابه أحد.

والأحاديث في فضل الرجاء كثيرة، تقدم كثير منها في كتب سابقة.

* * *

## ❊ حديث القاتل مائة نفس

**[٢١١]** عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه **أن** نبي الله ﷺ قال: **«كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعةً وتسعين نفساً، فسأل عن أهل الأرض، فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل عالِم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال:**

**ومَن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا هو بنصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم** ـ أي: حَكَماً ـ **فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة».**

وفي رواية: **«فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر، فجعل من أهلها».**

وفي أخرى: **«فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي، وإلى هذه أن تقربي، وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له».**

وفي رواية: **«فنأى بصدره نحوها».**

رواه مسلم في التوبة (٨٤/٨٢/١٧) بألفاظه. ورواه البخاري في أحاديث بني إسرائيل (٣٢٥/٣٢٤/٧) بنحوه، وأخرجه ابن ماجه أيضاً في الديات (٢٦٢٢) مطولاً بنحوه.

في هذا الحديث شمول رحمة الله تعالى ومغفرته حتى للقاتل العمد الذي تكرر منه القتل وتاب وندم على ما جنت يداه. وهذا مما لا ينبغي أن يجادل فيه لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، والقاتل داخل في عموم من يشاء.

وجاء في حديث عبادة المتقدم: **«فمَن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذّبه».**

والقصة وإن كانت في رجل من بني إسرائيل فإن شرع من قبلنا شرع لنا إن لم يأتِ ما يخالفه، وهنا ذكره النبي ﷺ في معرض شمول مغفرة الله للقاتل، ولم يعقبه بشيء فكان شرعاً لنا، وإذا كان مثل هذا غفر له، وهو من الأمة التي كانت كتب عليها الآصار والأغلال، فكيف بمن هو من الأمة المرحومة صاحبة الدين اليسر السمح أمّة الإسلام؟!



وفي الحديث وجوب مقاطعة أهل المعاصي وأماكنهم والالتجاء إلى صحبة الصالحين ولزوم ديارهم. وفيه فضل العالِم على العابد، فإن الرجل الجاني ما نجا وغفر له إلا بإرشاد العالِم وفتواه.

* * *

## ❊ من أرجى آيات القرآن والسنة للمؤمنين

من أكثر الآيات رجاء لعامة المؤمنين ثلاث آيات:

**الأولى:** قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

**الثانية:** قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

**الثالثة:** قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾.

فهذه الآيات الثلاث من أعظم ما في القرآن رجاء كما قال العلماء، أما من الأحاديث فكثيرة ومنها الآتي:

**[٢١٢]** عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«يجيء يوم القيامة ناسٌ من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى».**

رواه مسلم في التوبة (٨٦/١٧).

قال عمر بن عبدالعزيز والشافعي رحمهما الله تعالى: هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين. قال النووي: وهو كما قالا لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم وتعميم الفداء، ولله الحمد...

**[٢١٣]** وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قيل له: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: **«يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عزّ وجل حتى يضع عليه كَنَفَه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا؟**

**يقول: أعرف مرتين، فيقول: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤوس الخلائق: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾».**

رواه أحمد (١٠٥/٢)، والبخاري في المظالم وفي التفسير (٤٢٤/٩) وفي الأدب (١٠٠/٩٩/١٣) وفي التوحيد، ومسلم في التوبة (٨٧/١٠٧)، والنسائي في الكبرى (٣٦٤/٦)، وابن ماجه (١٨٣).

«النجوى»: ما يتكلم به المرء يسمع به نفسه، والمراد بها هنا المناجاة التي ستقع بين الرب سبحانه يوم القيامة مع المؤمنين. وقوله: «كنفه» بفتحات، أي: ستره وعفوه.

فهذا من أرجى الأحاديث للمؤمنين حيث سيستر عباده عما جنوه في الدنيا ثم يغفر لهم بعد اعترافهم بما فعلوه...

❊ ❊ ❊

## ❊ حديث البطاقة

**[٢١٤]** عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله عزّ وجل سَيُخَلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشُر عليه تسعةً وتسعين سجلاً، كلُّ سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتُنكر من هذا شيئاً؟ أظلمَك كَتَبتي الحافظون؟ يقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيُخرَجُ بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول: احضُر وزْنَكَ، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تُظلَم، قال: فتوضَعُ السجلاتُ في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقُلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء».**

رواه الترمذي في الإيمان (٢٤٥٥)، وابن ماجه في الزهد (٤٣٠٠)،



وابن حبان بالموارد (٢٥٢٤)، والحاكم (٦/١) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وسنده صحيح عند الترمذي في طريق له.

قوله: «سيخلص» بفتح السين وضم الياء وفتح الخاء وكسر اللام المشددة، ومعناه يميز ويختار. وقوله: «سجلاً» بكسر السين والجيم هو الكتاب الكبير. وقوله: «فطاشت» أي: خفَّتْ.

وفي الحديث فضل كلمة التوحيد وأنها لا يثقل معها شيء وأن لها شأناً عند الله تعالى ولا شك في ذلك فإنها مفتاح الجنة وبدونها لا يصح أي عمل، ولها من الفضائل والمزايا والخصائص ما ليس لغيرها من فروع الدين فهي أفضل الأقوال إطلاقاً وأشرف وأعظم ما يُدَّخر للآخرة، فصاحبها الصادق جدير بأن ترجح كفة حسناته وتخف كفة سيئاته.

نسأل الله تعالى أن يعاملنا بمحض فضله وكرمه، وأن يشملنا برحمته الواسعة، وأن لا يعاملنا بما نستحقه من أعمالنا إنه جواد كريم.

❊ ❊ ❊

## ❊ الخوف وما يتعلق به

الخوف هو تألُّم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، وهو سوط الله تعالى يسوق به عباده إلى المواظبة على طاعته عزّ وجل أمراً ونهياً وهو يختلف باختلاف الخائفين، فمن الناس من يخاف الموت قبل التوبة، ومنهم من يخاف عذاب الله وغضبه، ومنهم من يخاف الوقوف بين يدَي الله، ومنهم من يخاف الاستدراج بكثرة النعم، ومنهم من يخاف حرمان الجنة، ومنهم من يخاف سوء الخاتمة والسابقة، فإن الله عزّ وجل قبض قبضة بيمينه فقال: **«هؤلاء للجنة ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى وقال: هؤلاء للنار ولا أبالي».**

رواه أحمد (٦٨/٥) عن أبي نضرة بسند صحيح.

ولا يدري الإنسان في أي القبضتين وقع، فهو دائم الخوف من ذلك.

والناس متفاوتون في الخوف فكلما كان الإنسان أعرَف بالله وبنفسه كان أخوف منه وأخشى.

**[٢١٥]** ولذا قال النبي ﷺ: **«شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت»**.

قال ذلك لما قال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله شبت.

وفي رواية: **«شيبتني هود وأخواتها»**.

رواه الترمذي في التفسير (٣٠٨٠)، وفي الشمائل (٤٠)، والحاكم (٢/٣٤٣/٤٢٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقد تقدم في التفسير وفي الشمائل.

وللحديث شاهد عن عقبة بن عامر عزاه النور في المجمع (٧/٣٧) للطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح، وآخر عن أبي جحيفة وهو في شمائل الترمذي (٤١).

وقوله «شيبتني هود...» إلخ، أي: ما ذكرته هذه السورة ومثيلاتها من أهوال القيامة، إن انفعالي بها ترك لديَّ هذا الشيب! الذي هو أثر الخوف ودليل الفزع!

وتقدم حديث: **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»**.

وحديث عائشة: **«ذريني أتعبّد إلى ربي...»** مع بكائه الشديد.

وحديث: قيامه حتى تورّمت قدماه.

وتقدم حديث: **«أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية»**.

رواه البخاري وغيره، في أحاديث كثيرة تقدمت في خوفه ﷺ، وقد جاءت آيات كثيرة وأحاديث أخرى نبوية في الخوف والخائفين وما أعدّ الله لهم وأكرمهم به...

قال الله تعالى في الأمر بالخوف: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ أي: خافوني، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾.



وقال في فضل الخوف والخائفين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾، وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾...﴾، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾، وقال: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

والآيات في هذا كثيرة في القرآن الكريم.

**[٢١٦]** وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾.

قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: **«لا يا بنت الصدّيق ولكنهم الذين يصومون، ويصلُّون، ويتصدّقون، وهم يخافون أن لا تُقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون»**.

رواه أحمد (٦/١٥٩/٢٠٥)، والترمذي (٢٩٦٩) بتهذيبي، وابن ماجه (٤١٩٨)، وابن جرير (١٨/٣٤) والحاكم (٢/٣٩٣/٣٩٤) وصححه ووافقه الذهبي وتقدم غير ما مرة.

ومعنى الآية الكريمة مع الحديث: أن المؤمنين الذين هم من جلال الله وعظمته خائفون، ومن خوف عذاب الله حذرون، والذين هم بآيات الله التشريعية والكونية يؤمنون، ولا يشركون مع الله أحداً بل يُخلصون العبادة له وحده، والذين يعطون العطاء من زكاة وصدقة ويتقربون إلى الله بأنواع القربات، وأفعال البر والخير، وهم مع ذلك يخافون أن لا تقبل منهم أعمالهم، فهم دائماً خائفون وجلون.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمناً.

قال بعض الأكابر: إن ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن، فالصفة الأولى: دلّت على حصول الخوف الشديد، والثانية: دلّت على التصديق بوحدانية الله تعالى، والثالثة: دلّت على ترك الرياء في الطاعات، والرابعة: دلّت على أن المستجمع لتلك الصفات الثلاث يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف من التقصير وذلك هو نهاية مقام الصديقين رزقنا الله تعالى التحقق بذلك، آمين.

وتقدم لنا حديث الترمذي: «**مَن خاف أدلج ومَن أدلج بلغ المنزل**».

[٢١٧] وعن أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران الحج قالا: أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلّمني مما علّمه الله فكان فيما حفظت عنه أن قال: «**إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله تبارك وتعالى، إلا آتاك الله خيراً منه**».

رواه أحمد (٧٩/٥) بسند صحيح.

قوله: «اتقاء الله» أي: خوفاً من الله.

ففي الحديث الترغيب في الخوف من الله وترك مخالفته خشية منه.

[٢١٨] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدّث حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عدّ سبع مرات ولكن سمعته أكثر من ذلك، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها، فلما قعد مقعد الرجل من امرأته أُرعِدَتْ وبكت، فقال: ما يُبكيكِ أكرهتكِ؟ قالت: لا، ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلتيه، اذهبي فهي لكِ، وقال: لا والله لا أعصي الله بعدها أبداً، فمات من ليلته، فأصبح مكتوب على بابه: إن الله قد غفر للكفل**».



رواه أحمد رقم (٤٧٤٧)، والترمذي (٢٣١٦) بتهذيبي، وابن حبان بالموارد (٢٤٥٣)، والحاكم (٢٥٤/٤) وحسّنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

«الكفل»: بكسر الكاف، اسم رجل وليس بالنبي المذكور في القرآن.
«أرعدت»: أي اضطربت من خوف الله.

وفي الحديث فضل الخوف من الله وأن مآل الخائف لا يكون إلا خيراً، فالمرأة التي خافت الله عزّ وجل وبكت من ارتكاب ما حرّمه الله تعالى عوّضها تعالى ستين ديناراً بدون أي مقابل، اللهم إلا خوف الله مضافاً إلى ذلك حفظ كرامتها، أما الكفل فغفر الله تعالى له كل ما سبق من ذنوب، ولا يعلم ما فعله إلا الله وأكرمه بالموت عقب توبته النصوح وكتب على بابه تنويهاً به ومدحاً له: إن الله قد غفر للكفل. ويا لها من بشارة.

[٢١٩] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا متُّ فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذرُّوني في الريح، فوالله لئن قدر الله عليّ ليُعذِّبني عذاباً ما عذّبه أحداً، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيكِ منه، ففعلت، فإذا هو قائم فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك**» وفي رواية: «**مخافتك، فغفر له**».

رواه البخاري في ذكر بني إسرائيل (٣٣٣/٣٣٢/٧)، ومسلم (٧٢/٧١/٧٠/١٧) وغيرهما.

والحديث وارد عن أبي سعيد الخدري رواه الشيخان وعن حذيفة رواه البخاري.

ورواية أبي سعيد: «**ما حملك؟ قال: مخافتك، فتلقاه برحمته**».

وفي رواية حذيفة: «**لمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له**».

كان هذا الرجل من بني إسرائيل وكان في أول أمره نبّاشاً للقبور ثم اتسع حاله فأثرى وكان كثير الذنوب لم يعمل خيراً قط، فلما حضرته الوفاة

ندم على ما قدّم في حياته من مجاوزة حدود الله تعالى وتيقّن أنه لا مفر له من عذاب الله، فأوصى بنيه إذا هو مات أن يحرقوه ويذروا رماد عظامه في يوم عاصف وظن أنه إذا فعل ذلك لا يجمعه الله، فلما توفي امتثل بنوه ما أوصاهم به، فيحدثنا نبينا ﷺ بما أوحَى الله إليه أنه إذا كان يوم القيامة جمع رماد عظامه فيكون إنساناً بإذن الله تعالى فيخاطبه الله عزّ وجل: ما حملك على ما صنعت؟ فيجيب الله عزّ وجل: فعلت ذلك مخافة وخشية منك، فيرحمه الله عزّ وجل ويغفر له كل ما سلف من سيئات وهنات بدون سابقة عذاب ولا حساب عسير.

وفي هذا فضل كبير وبشارة عظيمة لمن خاف الله عزّ وجل ولو في آخر لحظة من حياته.

وفي الحديث فوائد كثيرة بسطتها في عجائب الأقدمين.

❊ ❊ ❊

## ❊ فضل البكاء من خشية الله

**[٢٢٠]** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يَلِجُ النارَ رجلٌ بكى من خشيةِ الله حتى يعودَ اللبنُ في الضَّرع، ولا يجتمعُ غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم».**

رواه الحميدي (١٠٩١)، والطيالسي (٢٠٤٠)، وأحمد (٢/٢٥٦/٤٤١/٥٠٥)، والترمذي في الجهاد (١٤٩٥)، وفي الزهد (٢١٣٣)، والنسائي (٦/١١/١٣)، والحاكم (٢/٧٢ و٤/٢٦٠) وحسّنه الترمذي وصححه وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي وذلك لطرقه.

**[٢٢١]** وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله».**

رواه الترمذي في الجهاد (١٥٠٢) وحسّنه وذلك لشواهده.



قوله: «يلج» الولوج هو الدخول. وقوله: «تحرس» أي: تكلأ.

وفي الحديثين فضل البكاء من خوف الله وخشيته سواء كان الخوف من عذابه تعالى وعقابه، أو كان من عظمته وجلاله وكبريائه، فأحرى إذا كان محبة فيه وشوقاً إليه. ولا يخفى ما في قوله: **«لا يلج النار»**، وقوله: **«عينان لا تمسهما النار»** من عظيم الرجاء والبشارة الكبرى.

**[٢٢٢]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سبعةٌ يُظِلُّهم الله في ظِلّه يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه مُعلَّقٌ بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفِق يمينُه».**

رواه أحمد (٢/٤٣٩)، والبخاري ومسلم وغيرهم، وقد تقدم في الأدب.

وفي الحديث فضل هؤلاء السبعة وأنهم سيكونون من المظللين تحت عرش الله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم الباكي خالياً من خوف الله أو عظمته أو محبته، فإن الذاكر قد تحصل له أحوال، فتارة يبكي خوفاً على نفسه مما جنته يداه، ومرة يبكي محبة في الله وشوقاً إليه، وأخرى يبكي لجلال الله وكبريائه، وكل ذلك مما يوجب رضا الله عزّ وجل ويكون سبباً في تظليل العبد تحت ظل الله.

❊ ❊ ❊

## ❊ الصبر

**[٢٢٣]** عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما

عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: «**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغنِ يُغنه الله، ومن يتصبّر يُصبِّره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**».

رواه أحمد (٣/٩٣)، والبخاري في الرقاق (١٤/٨٤/٨٥) وفي الزكاة، ومسلم في الزكاة أيضاً (٧/١٤٤/١٤٥).

في الحديث الحث على التعفُّف والقناعة والصبر على ضيق العيش وغيره من المكاره، والصبر هو الحبس عن الشيء، والتصبُّر تكلُّف الصبر ومعالجة النفس على ترك ما تريده، والصبر يكون على المواظبة على فعل الواجبات، وعلى الكف عن المحرمات، وعلى تحمُّل أنواع البلايا.

وهو من المقامات العظيمة لا يتصف به كاملاً إلا أكابر عباد الله الصالحين، ولذلك أكثر الله عزّ وجل من الأمر به وبيان فضل أهله حتى أنه ذكر في القرآن نحو من مائة مرة، وذكره تعالى على أنواع مختلفة بيّنها مفصلة الشيخ مرتضى الزبيدي رحمه الله تعالى في شرح الإحياء فلينظرها من أراد البسط.

**وهذه بعض آيات الصبر:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾، وقال: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾، وقال: ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في آيات كثيرة.

فأكرم بمن يؤتى أجره بغير حساب، ويكون محفوفاً بمعية الله تعالى وصلاته عليه وهدايته ورحمته، فيا له من مقام، إنه مقام الصبر، ولذا قال نبينا ﷺ في هذا الحديث: «**وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**» ذلك لأنه الأصل في التكاليف الشرعية فبدونه لا يكون شيء أصلاً.



**[٢٢٤]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مرّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «**اتقي الله واصبري**»، فقالت: إليك عني فإنك لم تُصَب بمصيبتي ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوّابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنما الصبرُ عند الصدمَةِ الأولى**».

رواه البخاري ومسلم، وتقدم في الجنائز.

ففي الحديث الأمر بالصبر وأن ذلك يكون عند بداية المصيبة، فذلك هو الصبر المعتبر شرعاً والذي يثاب عليه صاحبه.

**[٢٢٥]** وعنه أيضاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عزّ وجل قال: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبر، عوَّضْتُه منهما الجنة** - يريد عينيه -».

رواه البخاري في الطب والمرضى (١٢/٢٢٠) والترمذي في الزهد (٢٢٢٠).

**[٢٢٦]** وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رفعه إلى النبي ﷺ قال: «**يقول الله عزّ وجل: مَن أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب، لم أرضَ له ثواباً دون الجنة**».

رواه أحمد (٢/٢٦٥)، والترمذي في الزهد (٢٢٢١)، والدارمي (٧٩٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٤٥) وغيرهم بسند صحيح على شرطهما.

ففي الحديثين فضل الصبر على المصيبة وبالأخص إذا كانت في فقدان عضو من أعضاء الإنسان كذهاب البصر مثلاً، فإن للصبر على ذلك احتساباً للأجر من الله تعالى فضلاً عظيماً، وأي فضل أعظم من دخول الجنة لا سيما إذا كان بدون سابقة عذاب.

**[٢٢٧]** وعن عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى قال: قال لي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى،

قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت إني أُصْرَعُ، وإني أتكشّفُ، فادعُ الله تعالى لي، قال: «**إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله تعالى أن يعافيكِ**» فقالت: أصبر، وقالت: إني أتكشفُ فادعُ الله أن لا أتكشف، فدعا لها.

رواه البخاري في المرضى (٢١٨/١٢)، ومسلم في البر والصلة (١٣١/١٦).

الصرع قد يكون من بخار رديء يرتفع إلى الدماغ من بعض الأعضاء، ويكون من مس الجن وهو الأغلب على الناس.

وفي الحديث فضل الصبر على من أصيب بذلك وأن صاحبه من أهل الجنة والله لا يُخلف وعده. والأحاديث في الصبر كثيرة وقد تقدم في الأدب حديث أبي مالك الأشعري الذي فيه: «**والصبر ضياء**» وهو عند مسلم وغيره، وسمي الصبر ضياء لأن الضياء فيه نور مع نوع حرارة وإحراق، ولما كان الصبر شاقاً على النفوس يحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها وكفها عما تهواه، سمي ضياء لمشقته على النفوس.

قال العلماء: والصبر المحمود ثلاثة أنواع: الصبر على طاعة الله تعالى، والصبر عن معاصي الله عزّ وجل، والصبر على أقدار الله تعالى المؤلمة.

وقالوا: إن الصبر على الطاعات وعن المحرمات أفضل من الصبر على البلايا والأقدار، والله تعالى أعلم.

❊ ❊ ❊

## ❊ الشكر

[٢٢٨] عن صهيب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمرِ المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له**».

رواه مسلم في الزهد (١٢٥/١٨).



فيه فضل المؤمن في كل أحواله سواء في سرائه أو ضرائه، فإذا ناله ما يَسُرُّه وشكر الله على ذلك أثابه الله عليه فكان خيراً له، وإن أصابه ما يؤلمه من الآفات فقابله بالصبر وعدم التسخُّط جازاه الله على ذلك أيضاً فكان خيراً له، ولا يعطى هذا الخير إلا للمؤمن فهو المستحق لذلك فضلاً من الله ورحمة به.

أما الصبر فقد تقدم ما فيه. وأما الشكر فهو في اللغة الثناء على من أسدى إلى الإنسان خيراً، وفي الإسلام يكون باللسان والجوارح، فباللسان يكون بالثناء على الله تعالى وحمده على ما أسدى إلينا من خير ومعروف.

[٢٢٩] ففي حديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**التحدُّث بنِعَم الله شُكْرٌ، وتركها كُفْرٌ، ومَن لم يشكر القليل لا يشكر الكثير**»، وفي رواية: «**ومَن لم يشكر الناس لم يشكر الله**».

رواه بطوله البيهقي في شعب الإيمان (١٠٢/٤ و٥١٧/٥١٦/٦) ولأبعاضه شواهد يحسن بها، وانظر المسند (٣٧٥/٢٧٨/٤) ومسند الشهاب (٤٣/١).

[٢٣٠] وعن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَن أبلى بلاءً فذكره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره**».

رواه أبو داود في الأدب (٤٨١٤) بسند صحيح على شرط مسلم.

«أبلى»: أي اجتهد في الأمر وبالغ فيه.

فالتحدث بنِعَم الله تعالى على العبد وإظهار الرضا بذلك يعتبر شكر اللسان، فمَن ترك ذلك وكتمه فقد كفر بنِعَم الله تعالى عليه.

أما الشكر بالجوارح فيكون بصرف جميعها في طاعة الله تعالى والتوقي من الاستعانة بنِعَم الله تعالى على معصيته فمَن تحقق بذلك كان شاكراً لله عزّ وجل.

[٢٣١] ولذا جاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**الطاعمُ الشاكرُ بمنزلة الصائم الصابر**».

رواه أحمد (٢/٢٨٣)، والترمذي في صفة القيامة (٢٣٠٧)، وابن ماجه (١٧٦٤)، والحاكم (١/٤٢٢ و٤/١٣٦) بسند صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وذكره البخاري معلقاً ونحوه عن سنان بن سنة رواه الدارمي وابن ماجه (١٧٦٥) بسند صحيح.

والمراد «بالطاعم الشاكر»، أي الطائع لله تعالى القائم بحقوقه وحقوق عباده، فهذا هو الذي يحرز على منزلة الصائم الصابر وناهيك بالصبر على الصيام وفضل ذلك فإنه جاء:

**[٢٣٢]** عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«عليك بالصوم فإنه لا مِثْلَ له»**.

رواه أحمد والنسائي والحاكم بسند صحيح وقد تقدم.

وقد أمر الله عزّ وجل في كتابه عباده أن يشكروه، فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ فجعل ضد الشكر الكفران.

كما وعد عزّ وجل الشاكرين لنِعَمه بزيادتها عليهم وأوعد على كفرانها بعذابه الشديد فقال عزّ وجل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وقال: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، وقال: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ وهكذا أمر عباده بحمده في كثير من آي القرآن كقوله تعالى: قل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية، و﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ وحمد نفسه بنفسه في خمس سوَر، وفي ضمن ذلك الأمر بحمده، فقال في الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ وقال في سورة الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ . . .﴾ الآية، وقال في سورة الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ الآية، وقال في سورة فاطر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ . . .﴾ الآية، وقال في سورة سبأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ . . .﴾ الآية، وهكذا حمد نفسه في كثير من السُّور كقوله: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾



وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . .﴾ إلخ، وقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ فهو تعالى يحب الحمد والمدح والثناء عليه.

ولذا جاء في الصحيح: **«لا أحد أحب إليه المدح من الله. . .»** إلخ، وقد تقدم.

ورغّب ﷺ أمته في حمد الله والثناء عليه، ووعد فاعل ذلك برضاه والجنة.

**[٢٣٣]** فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكْلَة فيحمدُه عليها، ويشربُ الشَّربة فيحمده عليها»**.

رواه مسلم آخر الذكر والدعاء (١٧/٥٠/٥١).

«الأكلة» و«الشربة»: بفتح الهمزة والشين، أي: المرة من الأكل والشرب.

**[٢٣٤]** وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمُّوه بيت الحمد»**.

رواه الترمذي في الجنائز (٩٠٦)، والطيالسي (٢٠٩٩)، والبيهقي (٤/٦٨) بسند حسن.

قال «لملائكته»: المراد بهم ملك الموت ومساعدوه. قوله: «وثمرة فؤاده» سمى الولد ثمرة الفؤاد لأنه نتيجة الأب فهو كالثمرة بالنسبة للشجرة. وقوله: «واسترجع» أي قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

وفي الحديث فضل فقدان الأولاد والصبر على ذلك مع حمد الله عليه والاسترجاع والرضا بما قدّر الله تعالى، وأن ذلك من أسباب دخول الجنة بفضل الله تعالى ورحمته.

ثم إننا ما أمرنا بالحمد والشكر لله تعالى إلا لما أسدى إلينا من خير ورحمة وأسبغ علينا من آلاء ونِعَم التي لا نستطيع إحصاءها ولا القيام بشكرها على الوجه الأتم اللائق بها.

كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ...﴾ الآية، إننا مغمورون في نعم الله عزّ وجل، وأصولها خمسة وهي:

نعمة الإيجاد، ثم نعمة الإمداد، ثم نعمة بعثة الرسل، ثم نعمة الإيمان، ثم نعمة دخول الجنة. فهذه النِعَم الخمس هي أصول النِعَم ولا يد للإنسان فيها، فهي مجرد تفضل من الله تعالى على عباده، ولو أراد الإنسان تفصيل ما اشتملت عليه هذه الخمس من نِعَم لكتب فيها المجلدات فكيف بالنِعَم الأخرى المهيأة للإنسان والخادمة والمسخرة له: كخلق الله السماوات والأرض وما فيهما من عجائب وغرائب المخلوقات، وتسخير السحاب وإنزال الأمطار، وإنبات الزروع والفواكه والثمار، وتسخير البحار والأنهار، وتعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر وما إلى ذلك من النعم المهيأة للإنسان التي تحار في تفصيلها العقول، بل مجرد إيجاد الإنسان وحده وما ركب فيه من آيات وأحاطه الله تعالى به من نِعَم تتضاءل دونه كل النِعَم، ولذلك أوجب الله تعالى عليه الإيمان به وبما جاءت به الرسل... وأمره بطاعته والعبودية له قياماً بشكره على ذلك.

وشرع لنا نبينا ﷺ مضافاً إلى ذلك التصدُّق بثلاثمائة وستين صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، وجعل صلاة ركعتَي الضحى تقوم مقام تلك الصدقات، كما شرع لنا الحمد في جميع أحوال حياتنا الليلية والنهارية، كما تقدم تفصيل ذلك في أبواب سابقة، كل ذلك شرع لنؤدي شكر تركيب جسدنا وما فيه من عظام وعضلات وعروق ولحم وقطع وأعضاء، وما غيب داخله في ظلمة الأحشاء من قلب وكبد ورئة ومرارة ومعدة وكلية، وغير ذلك مما جعله الله في هذا الجسم الإنساني من عجائب وآيات، وكان أول من أمر بالشكر وحمد الله تعالى أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم لتقتدي بهم أممهم.



فقال تعالى في إمام الحنفاء خليل الرحمٰن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾.

وقال في نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

وقال في كليمه موسى عليه السلام: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وقال في نبيه داود عليه السلام: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾.

وقال في نبيه سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾.

وقال: ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ...﴾ الآية.

وقال لنبينا ﷺ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

وتقدم حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أنه ﷺ قام حتى تورّمت قدماه فقالت له في ذلك فقال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**».

ولِمَا للشكر من الأهمية جاء ذكره في القرآن في نحو من خمسة وسبعين موضعاً، وجاء ذكر الحمد أيضاً في نحو من خمسة وأربعين موضعاً، كل ذلك تحريضاً على القيام بحمد الله تعالى وبشكره على نِعَمِه المتوالية على الإنسان باللسان والقلب والجوارح، جعلنا الله تعالى بفضله وإحسانه ممن يحمده ويشكره آناء الليل وآناء النهار، آمين.

* * *

## ❊ التوكل على الله تعالى

**[٢٣٥]** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يَسْتَرْقون ولا يتطيّرون، وعلى ربهم يتوكّلون**».

رواه البخاري ومسلم وتقدم، ويأتي مطولاً في ذكر الجنة والنار.

التوكل على الله هو الاعتماد عليه دون غيره، وتفويض الأمور إليه في جميع شؤون العبد، فالاعتماد على الله يكون في الرزق، والاعتماد عليه في النصر على الأعداء، والاعتماد عليه في الشفاء من الأمراض، والاعتماد عليه في الحفظ من الآفات والطوارىء، والاعتماد عليه في غفران الذنوب والعفو عن السيئات، والاعتماد عليه في دخول الجنة دون الاعتماد على العمل. وكل ذلك لا بد وأن يكون مع الأسباب فالأسباب لا تنافي التوكل.

**وقد وردت في التوكل آيات كريمات:**

كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: من اعتمد على الله فهو كافيه، فلو لم يأتِ في ذلك إلا هذه الآية لكفت المتوكلين على الله فكيف بغيرها من الآي وهي كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، وقال: ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، وقال: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، وقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، وقال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾، وقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾، وقال: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ والآيات في ذلك كثيرة، وقد ذكر التوكل في القرآن في نحو من ستين مرة.

**[٢٣٦]** وعن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لو أنكم توكلتم على الله حقَّ توكله، لرُزِقتم كما تُرزَق الطيرُ تغدو خِماصاً وتروح بِطاناً»**.

رواه أحمد (٣٠/١)، والترمذي في الزهد (٢١٦٤)، وابن ماجه في الزهد (٤١٦٤)، وابن حبان بالموارد (٥٤٨)، والحاكم (٣١٨/٤) بسند صحيح، وحسّنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

**قوله: «حق توكله»** أي: بأن تعلموا يقيناً أن لا رازق إلا الله، ولا معطي إلا الله، ولا فاعل إلا الله، ولا مانع ولا ضار إلا الله. وقوله:



«خماصاً» بكسر الخاء، جمع خميص، أي: جياعاً. وقوله: «بطاناً» بكسر الباء، جمع بطين، أي: عظيم البطن.

والمعنى تغدو جائعة خميصة البطن ثم تأتي لأوكارها في المساء شباعاً مليئة البطن.

وفي الحديث الحض على التوكل والاعتماد على الله مع تعاطي الأسباب، فإن الطير تتحرك وتنتشر هنا وهناك تطلب رزقها مع الاعتماد على الله تعالى، فليكن المسلم مثلها.

**[٢٣٧]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أعقِلُها وأتوكّلُ أو أطْلِقُها وأتوكل؟ قال: **«اعقِلْها وتوكّل»**.

رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٣٣٥) والحديث حسن صحيح لشاهد له عن عمرو بن أمية الضَّمْرِي رواه ابن حبان (٢٥٤٩) بسند صحيح.

في الحديث مشروعية ربط الأسباب بمسبباتها مع الاعتماد على الله بعد ذلك، فالدابة يجب ربطها بالعقال ثم التوكل على الله في حفظها وهكذا في كل شيء، من جلب نفع، أو دفع ضر لا بد من اتخاذ الأسباب، إلا في أحوال خاصة لا يقاس عليها، كما يذكر عن الخليل عليه السلام قوله: «علمه بحالي يكفيه عن سؤالي»، وما يذكر عن بعض الزهّاد فإن للناس مقامات، ولكل مقام أهل وأحوال.

وقد أفاض الإمام الغزالي رحمه الله تعالى القول في التوكل والمتوكلين وأقسام الناس في ذلك وأحوالهم بما لا يوجد عند غيره كعادته رضي الله تعالى عنه وإيانا.

* * *

## ❊ محبة الله عزّ وجل

**[٢٣٨]** عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما**

**سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»**، وفي رواية: **«وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه»**.

رواه البخاري (٦٨/٦٦/١)، ومسلم (١٣/٢) كلاهما في الإيمان وتقدم في الإيمان.

أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب. ومحبة الله تعالى من أصول الإيمان، ولا يخلو مؤمن من محبة الله تعالى، غير أن الناس فيها متفاوتون، فكلما كان الإنسان أتقى لله وأطوعَ كانت محبته أقوى وكانت منزلته في المحبة الغاية القصوى من مقامات اليقين فليس بعدها مقام كالأنس والرضا إلا ثمرة من ثمارها، ولا قبلها مقام كالتوبة والزهد والصبر والتوكل... إلا مقدمات لها.

وأجمع العلماء على أن أصل الحب لله تعالى ولرسوله ﷺ فرض واجب لا يتم الإيمان إلا به ثم ينمو ويقوى بفعل القربات، وترك السيئات، وقسم بعضهم محبة الله تعالى إلى قسمين: فرض وندب، فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال أوامر الله تعالى والانتهاء عن معاصيه، والرضا بما يقدره عليه. والندب أن يواظب على النوافل ويتجنب الوقوع في الشبهات.

ثم إن موجب محبة الله تعالى بالأصالة هو إنعامه علينا وإحسانه إلينا ورحمته ولطفه بنا وإسداؤه إلينا كل خير وتفضله علينا بجميع ما نحتاجه في حياتنا من جلب نفع، ودفع ضر، وهذا بالإضافة إلى ما هو متصف به من الكماليات وصفات الجمال والجلال ظاهراً وباطناً مع تنزهه عن كل نقص وسمات المحدثات.

وكل ذلك يستلذه العقل السليم ويميل إلى صاحبه بالمحبة بالطبع كما نحب الأنبياء والصحابة والصالحين والعلماء الربانيين.

ولما كان الإحسان وإسداء المعروف مما يوجب المحبة كانت محبة رسول الله ﷺ تابعة لمحبة الله ولذلك:

**[٢٣٩]** قال ﷺ: **«لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده، وولده، والناس أجمعين»**، وفي رواية زيادة: **«وأهله»**.



رواه البخاري (٦٤/١)، ومسلم (١٥/٢) كلاهما في الإيمان، وهو من حديث أنس، فمحبة رسول الله ﷺ من محبة الله تعالى، ولذلك جعل هنا في الحديث محبته مقدمة على محبة الأهل والوالدين والأولاد وسائر الناس، كما جعل ذلك في الله عزّ وجل كما في الحديث السابق: **«أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»**.

وكانت محبة النبي ﷺ من محبة الله تعالى لأن كل خير وصل إلينا من الله بهدايته إيانا إلى الصراط المستقيم ودوام النعم والإبعاد من الجحيم، ودفعه عنا المضار والمكاره، فهو ﷺ الواسطة فيها مضافاً إلى ما كان عليه من حسن الصورة وجمال الظاهر وما كان متصفاً به من خلال الجلال وأنواع الفضائل مما لم يجمع لأحد قبله.

**[٢٤٠]** ولذا جاء في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أحِبُّوا الله لِما يَغْذوكم من نِعَمِه، وأحبوني بحب الله، وأحِبُّوا أهل بيتي بِحُبّي»**.

رواه الترمذي في المناقب (٣٥٦٢) وحسّنه، والحاكم (١٥٠/١٤٩/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

قوله: **«لما يغذوكم»** أي: يرزقكم. وقوله: **«بحب الله»** و**«بحبي»** أي: بسبب ذلك.

ففي الحديث بيان بعض الأسباب التي تحمل على محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ...

فموجب محبة الله إسباغه علينا النِعَم، وموجب محبة رسول الله ﷺ حبه لله وحب الله إياه...

وهكذا محبة أهل البيت موجبها هو حبه ﷺ إياهم، وكل ذلك يرجع إلى محبة الله عزّ وجل كمحبة الصالحين وأهل الفضل أيضاً، ولذلك كان النبي ﷺ يسأل الله حبه وحب كل من يحبه...

**[٢٤١]** كما جاء في حديث معاذ وغيره أن رسول الله ﷺ كان يدعو:

«وأسألك حُبَّك، وحُبَّ من يُحِبُّك، وحُبَّ عملٍ يُقَرِّبُ إلى حُبِّك».

رواه أحمد (٢٤٣/٥) والترمذي في تفسير (سورة ص) وغيرها، في حديث طويل بسند صحيح، فكل من أحبّ من يحب الله، أو أحبَّ أي عمل يقرب إلى حب الله فهو من محبة الله عزّ وجل.

ولأهمية محبة الله ومحبة رسوله ﷺ كان صاحبها مع من يحب كما في الحديث المتواتر: «أنت مع من أحببت»، «المرء مع من أحب» وقد تقدما في الأدب برقم (٦٢/٦١).

ولم يصب من استشكل محبة العبد للّه أو العكس فإن ذلك يرده صريح القرآن ونصوص السنة كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾، وقال عزّ وجل: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ فأثبت تعالى محبته للمؤمنين ومحبتهم له سبحانه. ومحبته تعالى لعباده هي صفة له تليق بجلاله وعظمته، وليست كمحبة المخلوقين..

هذا ولمحبة الله تعالى ورسوله ﷺ علامات ودلائل:

فمنها: طاعتهما فيما يأمران به وينهيان عنه. وأن لا يتلقى شيء من المأمورات والمنهيات والحلال والحرام إلا من القرآن والسنة، وأن يرضى المحب بما شرعه الله ورسوله ﷺ حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما جاء عن الشارع.

ومنها: حب القرآن وتعلُّمه وتعليمه. كحب السنّة المحمدية وتعلُّمها والدعوة إلى العمل بها.

ومن أعظم علامات حب الله: اتباع نبيه المصطفى ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾.

ومنها: تقديم محبة الله ورسوله ﷺ على كل محبوب كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ...﴾ الآية.



فأوعد تعالى بانتظار عذاب الله تعالى من يقدّم محبة الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر والأموال والتجارة والمساكين على محبة الله ورسوله ﷺ، وجعل من فعل ذلك من الظالمين الذين حرموا هداية الله تعالى وهو زجر بالغ.

ومن آياتها أيضاً الشوق إلى لقاء الله تعالى لقوله ﷺ: «مَن أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه» رواه الشيخان. فالمحب الفاني في الله يحب لقاءه دائماً، وهذا بخلاف غيره ممن لا يحب لقاءه إلا عند بشارته برضوان الله ورحمته وجنته عند الغرغرة، ولهذا قالوا: أرجى آية للمحبين قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾.

❊ ❊ ❊

## ❊ من ثمرات محبة اللّه عزّ وجل

[٢٤٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحبّ عبداً دعا جبريل عليه السلام فقال: إني أحب فلاناً فأحِبَّه، قال: فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحِبُّوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض...» الحديث.

رواه البخاري في الأدب (٧١/١٣) وغيره، ومسلم في البر والصلة (١٨٤/١٨٣/١٦) وقد تقدم في الأدب برقم (٦٠) مع الكلام عليه.

والحديث موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾، فالمؤمن الصالح يحبه الله وتحبه الملائكة ويحبه المؤمنون.

[٢٤٣] وعن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول: مَن عادى لي ولياً فقد آذَنْتُهُ بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترَضْتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحِبَّه،

**فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجله التي يمشي بها، وإن سألني لأُعْطِيَنَّهُ، ولئن استعاذني لأُعيذَنَّهُ، وما تردّدتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مُساءتَه».**

رواه البخاري في الرقاق (١٤/١٢٥/١٣١).

هذا حديث عظيم يعرف بحديث الأولياء، وفيه فوائد جليلة وعزيزة.

منها: تحريم معاداة أولياء الله تعالى والمراد بهم العلماء بالله المواظبون على طاعته أمراً ونهياً المخلصون في عبادته، وأن من عاداهم كان كمن حارب الله ومن حارب الله قصمه وأهلكه. وفي قوله: «فقد آذنته بالحرب» تهديد شديد ووعيد بالغ لأعداء أولياء الله تعالى.

ومنها: أن موالاة الولي موالاة للّه تعالى ومعاداته معاداة للّه، فعدوُّ ولي الله عدو لله.

ومنها: أن أشرف القربات وأحبها إلى الله عزّ وجل أداء فرائض الإسلام من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وجهاد، وبرور، وأداء الأمانات، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وما إلى ذلك من التكاليف الشرعية المأمور بها، ويدخل في ذلك ترك الفواحش وكبار الذنوب.

ومنها: أن المثابرة على نوافل الخير بعد أداء الفرائض من موجبات محبة الله عزّ وجل، ذلك أن الآتي بالنوافل لا يأتيها إلا باختيار منه طمعاً في الزيادة والتقرُّب إلى الله ومحبة فيما عنده وهذا بخلاف الفرائض فإن الآتي بها يؤديها خوفاً من عقاب الله في الغالب.

ومنها: أن المؤمن المتقي المثابر على أداء الواجبات والمتوسع في نوافل الخيرات قد يصل بذلك فضلاً من الله إلى مقام المحبوبية فيحبه الله تعالى ويُكرمه بثمرات التقوى في الدنيا قبل الآخرة بشارة له، وذلك بأن يكون سبحانه وتعالى سمع عبده المحبوب وبصره، ويده ورِجله، وهذه هي غاية ثمرة التقوى في الدنيا.



وقد اختلف علماؤنا رحمهم الله في معنى كون الله تعالى سمعَ عبده وبصره ويده ورِجله على أقوال ثمانية ذكرها الحافظ في الفتح، والذي يظهر كما قال كثير من الربانيين: أن الله عزّ وجل يُكرم عبده المحبوب بأن يجعل في سمعه قوة الإسماع فيسمع بها المسموعات البعيدة، ويجعل في بصره قوة الإبصار فيبصر ما لا يراه الناس من المبصرات الحسية والمعنوية، وهكذا يعطيه قوة في يده فيبطش ويأخذ ويعطي بما لا يستطيعه غيره، ويعطيه قوة في رِجله فيطوي له الأرض ويمشي على الماء مثلاً فيكون كل ذلك كرامة له. وقد وجد في الصالحين وكثير من الأولياء من أكرموا بما ذكرنا وليس في ذلك حرج ولا أدنى شبهة، فإن الكل بيد الله لا يملك أحد معه قلامة ظفر من جلب نفع أو دفع ضر.

وفي هذا الحديث حجة لظهور الكرامات على أيدي أولياء الله تعالى ولذلك أدلة كثيرة مشهورة، وقد ذكرت جملة منها في أوائل «المطرب بمشاهير أولياء المغرب».

وهي من جملة عقائد أهل السنّة.

قال السفاريني في «عقيدة أهل الفرقة المرضية»:

وكلُّ خارق أتَى عن صالح ... من تابع لشرْعِنا وناصِحْ
فإنها من الكراماتِ التي ... بها نقولُ فاقْفُ للأدِلَّة
ومَن نفاها من ذوي الضلال ... فقد أتى في ذلك بالمحال
لأنها شهيرةٌ ولم تزلْ ... في كُلِّ عَصْرٍ يا شقا أهلِ الزَّلَلْ

وقال اللقاني في «الجوهرة»:

وأثْبِتْ للأولياء الكرامة ... ومَن نفاها فانبُذَنْ كلامَهْ

وقد ألّف العلماء فيها مؤلّفات عديدة طبع منها الكثير.

ومن فوائد هذا الحديث أن الله عزّ وجل يكره مساءة عبده المحب، فهو يكره الموت وشدائده وأهواله، والله تعالى يكره إصابته بالسوء وهو

الموت الذي لا بد له منه وهو باب لقاء الله عزّ وجل. ولذا روي أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت لما أتاه ليقبض روحه: هل رأيت خليلاً يُميت خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه: قل له: **«هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟»** فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض.

ذكره الغزالي في «الإحياء»، والحافظ في «الفتح» وغيرهما.

ومن فوائد الحديث أيضاً أن من أتى بما وجب عليه وتقرّب بالنوافل لم يرد دعاؤه، وذلك من جملة كراماته. وفي الحديث غير ذلك، والله أعلم.

* * *

## ❊ الرضا بالأقدار والشوق إلى لقاء اللّه

[٢٤٤] عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما أنه صلّى بالقوم صلاة فأوجز فيها فقيل له: لقد خففت أو أوجزت الصلاة، فقال: أما على ذلك فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ.

**«اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمتَ الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا يبيد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء** ـ وفي رواية: **الرضا بالقضاء** ـ **وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضرّاءِ مُضِرّة، ولا فتنةٍ مُضِلّة، اللهم زيّنّا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»**.

رواه أحمد (٤/٢٦٤)، والنسائي في الكبرى (١/٣٨٧/٣٨٨) وفي المجتبى، والحاكم (١/٥٢٤) من طريقين، وسنده صحيح في طريق، وحماد بن سلمة روى عن عطاء بن السائب قبل اختلاطه.

هذا حديث عظيم من جوامع الدعوات النبوية. وقد جاء فيه الدعاء بالرضا بالقضاء، والشوق إلى لقاء الله.



وقد تكلم الناس كثيراً في المراد بالرضى بالقضاء، والشوق إلى لقاء الله.

قال علماؤنا الربّانيون رحمهم الله تعالى: إن الرضا بالأقدار والشوق إلى لقاء الله تعالى ينشآن عن محبة العبد للّه تعالى فهما من ثمراتها. وقالوا: إن الرضا من أعلى مقامات المقربين وإن كان الناس يتفاوتون فيه كتفاوتهم في المحبة.

ومعنى الرضا بالأقدار أن لا يعترض على ما قدّره الله تعالى وحكم به، وأن تسلم كل الأمور للّه تعالى، وأنه الذي قدّرها سواء كانت خيراً أم شراً طاعة أم معصية، نعم إذا كان المَقْضِيُّ معصية لا يجوز الرضى به لأن الله لا يرضى المعصية كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾، وإن كان طاعة وجب الرضا به لقوله عزّ وجل: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ فالله تعالى قدّر الطاعة والمعصية وأرادهما لكنه يرضى بالطاعة ويبغض المعصية فلا بد من الجمع بين ما أراده الله تعالى من رضى وبغض فهذا حكمه، ولا يُسأل عما يفعل فالكل بقضائه وإرادته. قال تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

أما مَن سوّى في الرضا بين الكفر والإيمان والطاعة والفجور، وقال: إن كل ذلك فعل الله يجب الرضا به فهذا ضلال وخلاف لشريعة الإسلام وحكمة الله في خلقه لأنه يلزم منه عدم الإنكار لما نهى الله تعالى عنه وترك أمور الديانة كلها تسليماً للأقدار، وكل ذلك مروق من الدين.

ولذا قال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في «رسالته» المشهورة: واعلم أن الواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذي أمر بالرضا به، إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به كالمعاصي وفنون محن المسلمين...

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ أي: لا يرضى لأحد من عباده الكفر، ولا يحبه، ولا يأمر به، ولا يفعل فعل الراضي بأن يأذن فيه ويقر عليه، ويثيب فاعله ويمدحه، بل يفعل فعل

الساخط بأن ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبه، وإن كان بإرادته إذ لا يخرج شيء عنها وعن قضائه وفعله، وقالوا: إن الله مقدّر الأشياء ومريدها، والعباد مكتسبون لأفعالهم الاختيارية وعلى كسبهم يترتب الثواب والعقاب... وهذا معنى يجب فيه التسليم ولا يجوز فيه التدقيق لحديث: **«إذا ذُكِرَ القدَرُ فأمسِكوا»** لأن ذلك فوق مستوى عقولنا.

**[٢٤٥]** وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ عِظَمَ الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمَن رضي فله الرضا، ومَن سخِطَ فله السُّخط»**.

رواه الترمذي في الزهد (٢٢١٦)، وابن ماجه (٤٠٣١) بسند حسن.

في الحديث أن من ابتلي في نفسه أو أهله أو ماله فقابل ذلك بالرضا والتسليم للأقدار قابله الله بالرضا وعظم الجزاء، ومَن تسخّط ولم يرضَ بذلك كان من الخائبين الخاسرين له السخط من الله تعالى، ويا ويل من سخط الله تعالى عليه.

وفي الحديث الشريف فضل الرضا عن الله تعالى بما قدّره عليه من البلايا والمحن.

**[٢٤٦]** وقد جاء عن العباس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً»**.

رواه الطيالسي وأحمد (٢٠٨/١) ومسلم (٢/٢) والترمذي (٢٤٤٠) كلاهما في الإيمان.

**[٢٤٧]** وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن قال رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، وجبت له الجنة»**.

رواه أبو داود (٥٢٩)، والحاكم (٥١٨/١) بسند صحيح، وأصله في الجهاد من صحيح مسلم (٢٨/١٣)، والنسائي (١٨/١٧/٦) مطولاً، وقد تقدم كسابقه في الإيمان في الحديثين فضل الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبنبينا رسولاً.



فيلزم من الرضا بالله رباً أن يقبل كل ما تأتي به الأقدار من البلايا والمحن، وأن لا يعترض على الله في شيء مما قضاه عليه، إلا أن المقضيات المنهي عنها لا يرضاها كما قدّمنا، مع الإيمان بأنها من جملة ما قضاه الله عزَّ وجلَّ.

ويلزم من الرضا بالإسلام ديناً أن لا يتعبّد الله عزّ وجل إلا بما جاء به دين الإسلام مما فصّله القرآن والسنّة المحمدية.

ويلزم من الرضا بنبينا محمد ﷺ رسولاً أن يتبعه في كل ما شرعه وجاء به من عند الله تعالى، وأن لا يقدم عليه وعلى شريعته أي خلق سواه، سواء كان نبياً أم إماماً أو عالماً من أمته.

فمَن تحقق بما ذكرنا وجد في قلبه حلاوة الإيمان ووجبت له الجنة بفضل الله ورحمته.

هذا ومن ثمرات الرضا عن الله تعالى وبما قدرّ وقضى رضاه تعالى على العبد كما قال تعالى عن عباده الصالحين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ وقال عز وجل عن صحابة رسوله ﷺ الذين بايعوه على القتال والموت في سبيل الله بيعة الرضوان: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ...﴾ الآية.

فرضا العبد لا يكون إلا بعد رضا الله تعالى عنه كالمحبة، فمحبة الله تعالى لعبده سابقة على محبة العبد لله، فلولا أنه تعالى أحبك ورضي عنك لما وُفّقتَ للإيمان به وطاعته والتديّن له تعالى.

ومن ثمرات محبة الله تعالى والرضا عنه الاشتياق إليه وإلى لقائه، فإن مَن أحبّ شيئاً اشتاق إلى لقائه ورؤيته، ولا يتم لقاء الله عزّ وجل ورؤيته إلا بقطع عقبة الموت، فلذلك كان المشتاقون إلى الله تعالى يحنون إلى الموت وينتظرونه بانشراح وفرح، ولذا قال بعض أهل البصائر من الربانيين في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ إنها أعظم آية في القرآن

بشارة للمحبين المشتاقين إلى الله عزّ وجل، فإنها تبشرهم بأن أجل لقائه تعالى آت، ولا بد، فلينتظروه. ولهذا جاء في الحديث السالف الذكر في دعائه ﷺ: **«وأسألك الشوق إلى لقائك»** فلنقتدِ به ﷺ.

فنقول: اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلا أن تجعلنا من المحبوبين المرضيين لديك، كما نسألك الشوق إليك يا سميع يا قريب يا مجيب، برحمتك وفضلك، آمين.

وبهذا انتهى كتاب الزهد والرقائق، والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وزوجه وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين.

في كتاب الزهد والرقائق من الأحاديث الصحيحة الزائدة على «الصحيحين» نحوٌ من مائة وعشرين حديثاً.

**ويليه كتاب الفتن وأشراط الساعة**

# فهرس الجزء الحادي عشر


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| كتاب الأدب والأخلاق | ٥ |
| ما معنى الأدب | ٥ |
| البر والصلة، من فضل البرور بالوالدين | ٧ |
| الوالدان أحق الناس بحسن الصحبة وأن الأم مقدمة على الوالد | ٨ |
| إكرام صديق الوالد | ١٠ |
| فضل بر الخالة | ١٠ |
| هل يجزي ولد والديه | ١١ |
| البرور بالوالدين ولو كانا مشركين غير أنهما لا يطاعان في معصية اللّه | ١٢ |
| تحريم عقوق الوالدين وعظم ذلك وأنه من أكبر كبائر الذنوب | ١٣ |
| استجابة دعاء البار بوالديه | ١٤ |
| استجابة دعوة الوالدين | ١٦ |
| رحمة الأولاد والإحسان إلى البنات | ١٦ |
| صلة الرحم فضل ذلك | ١٨ |
| وجوب صلة الرحم وتحريم قطعها | ١٩ |
| الواصل الحقيقي هو الذي يصل مَن آذاه أو قطعه | ٢٢ |
| صلة ذي الرحم المشرك | ٢٤ |
| الوصية بالجار والإحسان إليه | ٢٤ |
| الإحسان إلى اليتامى والأرملة والمسكين | ٢٦ |
| الأخلاق والآداب العامة، حقوق المسلم على أخيه وما جاء في ذلك | ٢٧ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| التعاون الاجتماعي بين المسلمين | ٢٨ |
| رحمة الناس والبهائم | ٢٩ |
| ذم المنزوع منهم الرحمة | ٣٠ |
| احترام الكبير وتوقيره ورحمة الصغير | ٣٢ |
| أحاديث جامعة للخير والمعروف | ٣٢ |
| التحابب في الله وما يتبع ذلك | ٣٦ |
| إذا أحبّ الله عبداً حَبَّبه إلى الناس | ٣٨ |
| المرء مع من أحب | ٣٩ |
| مَن أحبّ شخصاً في الله فليعلمه | ٤١ |
| الجليس الصالح والأمر بصحبة الصالحين | ٤١ |
| البر وحُسْن الخُلُق | ٤٣ |
| مشروعية معاملة الناس بالرفق واللين وطلاقة الوجه | ٤٦ |
| مداراة من يُتّقى فُحشُه وجواز اغتيابه | ٥٠ |
| الحذر من الناس وقلة الصديق الخالص | ٥١ |
| إنزال الناس منازلهم | ٥٢ |
| التيسير على الناس | ٥٣ |
| الانبساط إلى الناس | ٥٥ |
| التّأنّي والعجلة | ٥٥ |
| الاقتصاد في الحب والبغض | ٥٦ |
| إماطة الأذى عن الطريق | ٥٧ |
| فضل المنيحة | ٥٨ |
| الإحسان إلى الخادم | ٥٨ |
| شكر النعمة والمكافأة على الخير | ٥٩ |
| النصيحة | ٦١ |
| وجوب تناصر المسلمين فيما بينهم | ٦٣ |
| الذب عن المسلم والدفاع عنه | ٦٤ |
| الإصلاح بين الناس | ٦٥ |





| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| فضل كظم الغيظ والعفو عن الناس | ٦٦ |
| الصبر على أذى الناس والإغضاء عن إساءتهم | ٦٨ |
| حق على الله أن لا يرفع شيئاً إلا وضعه | ٦٩ |
| من فضل البلايا والمصائب | ٧٠ |
| الشفاعة بين الناس | ٧٢ |
| ستر الله على عبده | ٧٢ |
| ستر المؤمن على نفسه | ٧٣ |
| العبرة بالقلوب والأعمال | ٧٤ |
| أمانة الحديث | ٧٤ |
| حفظ اللسان وذم كثرة الكلام وخطره على الإنسان | ٧٥ |
| مَن لم يواجه الناس بما يكرهون | ٧٧ |
| المستشار مؤتمن | ٧٧ |
| المتشبّع بما لم يُعْطَ | ٧٨ |
| الضيافة وحق الضيف | ٧٩ |
| تأخُر المضيف عن ضيفه | ٨١ |
| المواساة بفضول الأموال | ٨٢ |
| الاستئذان ثلاثاً | ٨٣ |
| ومن آداب الاستئذان | ٨٤ |
| كيف الاستئذان | ٨٦ |
| الاستئذان في العورات الثلاث | ٨٧ |
| أبواب السلام | ٨٨ |
| إفشاء السلام | ٨٩ |
| فضل الزيادة في ألفاظ التحية وكلماتها | ٩١ |
| فضل البادىء بالسلام | ٩١ |
| السلام قبل الكلام | ٩٢ |
| من حق الجلوس في الطريق رد السلام | ٩٢ |
| مَن أولى بالبداءة بالسلام | ٩٤ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| مشروعية السلام لمن قام من المجلس | ٩٥ |
| مشروعية السلام عند افتراق الرجلين | ٩٥ |
| السلام على أهل حلقة الذكر والعلم | ٩٦ |
| رد الواحد عن الجماعة | ٩٦ |
| لا يقال في التحية بداية: عليك السلام | ٩٧ |
| السلام على من في المنزل من نائم ويقظان | ٩٨ |
| السلام على المصلي وكيف يُرُدّ | ٩٨ |
| السلام على النساء والأطفال | ٩٩ |
| السلام على مجلس يضم المسلمين وغيرهم | ١٠٠ |
| أشخاص لا يسلم عليهم: لا يسلم على قاضي الحاجة | ١٠١ |
| عدم مشروعيته على الكفار | ١٠١ |
| ترك السلام على الفاسق والعاصي | ١٠٣ |
| السلام في الكتابة إلى أهل الكتاب | ١٠٥ |
| أدب التثاؤب | ١٠٥ |
| العطاس وآدابه | ١٠٦ |
| ما يقال في تشميت أهل الكتاب | ١٠٨ |
| القيام للرجل الصالح إجلالاً له | ١٠٩ |
| القيام المنهي عنه | ١١٠ |
| المصافحة والمعانقة والقبلة | ١١١ |
| من أدب المجالس: التفسُّح في المجالس | ١١٧ |
| الرجل أحق بمجلسه إذا قام ورجع إليه | ١١٧ |
| لا يحل للرجل أن يجلس بين اثنين إلا بإذنهما | ١١٨ |
| ملعون من جلس وسط الحلقة | ١١٨ |
| الجلوس بين الظل والشمس | ١١٩ |
| الجلسة المكروهة | ١٢٠ |
| الاستلقاء على القفا في المسجد | ١٢١ |
| ذم المجالس الخالية من ذكر الله تعالى | ١٢٢ |





| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| أبواب الأسماء والكنى وما يتبع ذلك، تحسين الاسم | ١٢٢ |
| التسمّي بأسماء الأنبياء | ١٢٣ |
| التسمّي باسم النبي ﷺ وعدم التكني بكنيته | ١٢٤ |
| الرخصة في ذلك بعده ﷺ | ١٢٥ |
| جواز التكني لمن لا ولد له | ١٢٦ |
| أحَب الأسماء إلى الله | ١٢٦ |
| أسماء يُكره التسمّي بها | ١٢٦ |
| مشروعية تغيير الأسماء، تغيير حَزْن إلى سَهل | ١٢٧ |
| تغيير عاصية إلى جميلة | ١٢٨ |
| تغيير برة إلى جويرية | ١٢٨ |
| تحويل برة إلى زينب | ١٢٩ |
| تحويل أصرم إلى زرعة | ١٢٩ |
| تبديل أبي الحكم بأبي شريح | ١٣٠ |
| إبدال شهاب بهشام | ١٣٠ |
| تحويل عزيز إلى عبدالرحمٰن | ١٣١ |
| إبدال شيطان بعبدالله | ١٣١ |
| تحويل اسم حرام إلى حلال | ١٣٢ |
| إبدال جَثّامة بحَسّانة | ١٣٢ |
| أبغض الأسماء إلى الله تعالى | ١٣٣ |
| ما يباح ويُكره من الألفاظ والكلمات، ما جاء في يا بُنَيَّ | ١٣٤ |
| قول الرجل: مرحباً | ١٣٥ |
| قولهم: فداك أبي وأمي | ١٣٥ |
| قول الرجل لآخر: ويلك أو ويحك | ١٣٦ |
| سب الدهر | ١٣٧ |
| ما قيل في تسمية العنب كَرْماً | ١٣٨ |
| ما جاء في العبد والأمة والمولى والسيد وإطلاقها على الموالي | ١٣٩ |
| كراهة قول الإنسان: تعِس الشيطان | ١٤٠ |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| كراهة قول الإنسان: خَبُثَتْ نفسي | ١٤٠ |
| كراهة الجمع بين اسم الله وغيره بلا فصل | ١٤١ |
| كراهة قولهم: ما شاء الله وشئت | ١٤١ |
| قولهم: زعموا | ١٤٢ |
| لا يقال للمنافق: سيد | ١٤٣ |
| كراهة قول الإنسان: هلك الناس | ١٤٤ |
| ما جاء في الشِّعْر: ما يجوز منه | ١٤٥ |
| الشعر المذموم | ١٤٨ |
| الحُدَاء والغِنَاء | ١٤٩ |
| بسط القول في الغناء وإحقاق الحق فيه | ١٥٢ |
| ذكر الأحاديث الدالة على إباحة الغناء | ١٥٣ |
| الأحاديث الدالة على الغناء المحرّم | ١٥٨ |
| السماع والغناء الصوفي | ١٦٣ |
| **مساوىء الأخلاق** | ١٦٨ |
| تكفير المسلم بلا تأويل | ١٦٨ |
| لعن المسلم أو دابّة أو غيرها | ١٦٩ |
| تحريم السباب والشتائم بغير حق | ١٧٣ |
| الغِيبة وخطرها | ١٧٥ |
| الغيبة قد تباح لأسباب | ١٧٨ |
| تحريم النميمة وأنها من الكبائر | ١٧٩ |
| شر الناس ذو الوجهين | ١٨٢ |
| التشديد في الكذب | ١٨٣ |
| جواز الكذب لأجل المصلحة | ١٨٤ |
| تحريم قول الزور وعِظَمُه | ١٨٦ |
| إذاية المسلم ومضاررته | ١٨٧ |
| تحريم الظن الكاذب والتباغض والتجسس والتحاسد والتدابر والتقاطع | ١٨٩ |
| تحريم التحاسد | ١٩٠ |





| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| حالقة الدين | ١٩١ |
| تحريم ظلم المسلم | ١٩٢ |
| نصر المظلوم | ١٩٣ |
| الإملاء للظالم حتى يأخذه | ١٩٤ |
| خذلان المؤمن | ١٩٤ |
| احتقار المؤمن | ١٩٥ |
| تحريم هجران المسلم بلا موجب شرعي | ١٩٧ |
| خيبة المتقاطعين | ١٩٨ |
| الهجر المشروع | ١٩٨ |
| الخيانة وخلف الوعد والغدر والفجور | ٢٠٠ |
| تحريم الكبر وأنه يكون في كل شؤون العبد | ٢٠١ |
| عظم جرم تعذيب الناس والحيوان | ٢٠٥ |
| النهي عن الغضب وما قيل فيه | ٢٠٦ |
| مجاهدة النفس على العمل بمقتضى الغضب | ٢٠٧ |
| دواء الغضب | ٢٠٨ |
| نَتْنُ دعوى الجاهلية | ٢٠٩ |
| ذم الافتخار بالآباء والأنساب | ٢١١ |
| الطعن في الأنساب | ٢١٢ |
| النهي عن إدخال الحزن على المسلم | ٢١٣ |
| المتشدق في الكلام مبغوض لله تعالى | ٢١٣ |
| ذم الوقاحة وذهاب الحياء | ٢١٥ |
| ذم المدح في الوجه | ٢١٦ |
| ذم الجدال والمراء بالباطل | ٢١٨ |
| **الملحقات** | ٢١٩ |
| رفع درجة الوالدين باستغفار ولدهما | ٢١٩ |
| التنابز بالألقاب | ٢١٩ |
| اللعب بالحمام | ٢٢٠ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| عِظَمُ جُرْم الشيخ الزاني والملك الكذاب والعائل المستكبر | ٢٢١ |
| من الجوامع | ٢٢١ |
| كراهة نوم الرجل فوق سطح ليس بمحجور | ٢٢٣ |
| لا تكونوا إمّعة | ٢٢٣ |
| ما جاء في لعن النبي ﷺ غيره وأن ذلك زكاة وأجر وقربة للملعون | ٢٢٤ |
| الأرواح جنود مجنّدة | ٢٢٦ |
| الولد قرّة العين | ٢٢٧ |
| من حقوق الجار | ٢٢٨ |
| وعيد مؤذي جاره | ٢٢٨ |
| تحريم ضرب الوجه | ٢٢٩ |
| كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته | ٢٣٠ |
| ما لا يجوز من المزاح | ٢٣١ |
| طيب النفس | ٢٣٢ |
| من صفات المؤمن والفاجر | ٢٣٣ |
| من سعادة الإنسان | ٢٣٣ |
| من الكبر والتعاظم | ٢٣٤ |
| مَن برىء من الكِبْر | ٢٣٦ |
| ثلاث لا تُرَد | ٢٣٧ |
| من خصال الخير | ٢٣٧ |
| **كتاب الزهد والرقائق** | ٢٣٩ |
| ما هو الزهد | ٢٤٠ |
| ما هي الرقائق | ٢٤١ |
| لا عيش في الحقيقة إلا عيش الآخرة | ٢٤١ |
| المحافظة على الوقت واغتنام العمر | ٢٤٣ |
| نعمة طول العمر | ٢٤٧ |
| الإنسان والأمل وحب الحياة | ٢٤٩ |
| لا عذر لأبناء الستين فما فوق | ٢٥٤ |





| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| أعمار هذه الأمة ما بين الستين والسبعين | ٢٥٤ |
| الدنيا سجن المؤمن | ٢٥٥ |
| طرق الجنة والنار | ٢٥٦ |
| هوان الدنيا على الله تعالى | ٢٥٨ |
| الدنيا ملعونة إلا ما كان منها لله تعالى | ٢٥٩ |
| مثل الدنيا كما صورها النبي ﷺ | ٢٦٠ |
| التزهيد في الدنيا | ٢٦٣ |
| فضل الكفاف والقناعة | ٢٦٥ |
| الغنى غنى النفس | ٢٦٨ |
| هلاك المنهمكين في الدنيا وذلتهم | ٢٧١ |
| ذم الإكثار من الدنيا ممن لا يجود بها | ٢٧٣ |
| التحذير من فتنة المال والدنيا | ٢٧٤ |
| ذم كثرة الأكل والمبالغة في الترف والتنعُّم | ٢٧٩ |
| ذم البناء فوق الحاجة | ٢٨٢ |
| من فضائل الفقر والفقراء | ٢٨٤ |
| نبذة من عيش النبي ﷺ وعيش أصحابه | ٢٩٢ |
| حال من كان همه الدنيا | ٣٠٠ |
| لا تنظر إلى من هو فوقك في الدنيا | ٣٠٣ |
| فائدة | ٣٠٤ |
| ذكر الموت والقبور | ٣٠٥ |
| حفظ الجوارح | ٣١١ |
| زنا الجوارح | ٣١٢ |
| شهوات البطون والفروج | ٣١٥ |
| ترك ما لا يعني | ٣١٥ |
| البِر والإثم | ٣١٦ |
| الحذر من الذنوب وإن دقّت | ٣١٦ |
| أكثر ما يدخل الناس الجنة والنار | ٣٢٠ |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| استحيوا من الله حق الحياء | ٣٢٢ |
| اضمنوا لي ستًا أضمن لكم الجنة | ٣٢٣ |
| مَن يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن أو يُعَلِّم من يعمل بهن | ٣٢٣ |
| ثلاث منجيات وثلاث مهلكات | ٣٢٥ |
| لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً | ٣٢٦ |
| الانقطاع إلى الله عزّ وجل | ٣٢٧ |
| من نزلت به فاقة فأنزلها بالله | ٣٢٨ |
| ثلاث أقسم عليهن | ٣٢٩ |
| العزلة راحة للمؤمن من خُلاَّط السوء | ٣٣٠ |
| إذا أراد الله بعبد خيراً عسَّلَهُ | ٣٣٢ |
| الأعمال بالخواتيم | ٣٣٣ |
| جهاد النفس | ٣٣٤ |
| اتقِ الله حيثما كنت | ٣٣٦ |
| قل ربي الله ثم استقم | ٣٣٩ |
| إن الحسنات يُذهبن السيئات | ٣٤٠ |
| مراقبة الله والحضور معه وذكره | ٣٤٢ |
| تفكروا في آيات الله | ٣٤٤ |
| الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف | ٣٤٨ |
| قرب الجنة والنار من العباد | ٣٥١ |
| النوم عن الجنة والنار | ٣٥٢ |
| من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل | ٣٥٢ |
| خير الناس النَّقِيُّ النَّقِيُّ | ٣٥٣ |
| نقض عرى الإسلام | ٣٥٤ |
| الجزاء على الحسنات في الدنيا والآخرة | ٣٥٥ |
| عجباً لأمر المؤمن | ٣٥٦ |
| ما يغفر وما لا يغفر من الظلم والذنوب | ٣٥٧ |
| المفلس يوم القيامة | ٣٥٩ |





| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| الإنسان والشيطان | ٣٥٩ |
| المؤمن البائس والكافر المُنَعَّم | ٣٦٣ |
| يا عبادي، يا عبادي، يا عبادي | ٣٦٤ |
| الإخلاص وفضله والنية الصالحة | ٣٦٥ |
| الرياء والسمعة | ٣٦٨ |
| من وعيد المرائين | ٣٧٠ |
| ما يظن أنه رياء وليس منه | ٣٧٢ |
| ماذا يفعل من خاف الرياء | ٣٧٣ |
| التوبة | ٣٧٤ |
| خير الخطائين التوّابون | ٣٧٧ |
| حكمة وقوع الذنوب من عباد الله المؤمنين | ٣٨٠ |
| من فوائد ابن القيم | ٣٨٣ |
| الذنوب وأقسامها | ٣٨٧ |
| ما هو حد الكبيرة؟ | ٣٩٠ |
| بماذا تغفر الذنوب كبيرها وصغيرها | ٣٩١ |
| الخوف والرجاء | ٣٩٢ |
| الرجاء وما جاء فيه | ٣٩٤ |
| بعض أحاديث الرجاء | ٣٩٦ |
| حديث القاتل مائة نفس | ٣٩٩ |
| من أرجى آيات القرآن والسنة للمؤمنين | ٤٠١ |
| حديث البطاقة | ٤٠٢ |
| الخوف وما يتعلق به | ٤٠٣ |
| فضل البكاء من خشية الله | ٤٠٨ |
| الصبر | ٤٠٩ |
| الشكر | ٤١٢ |
| التوكل على الله تعالى | ٤١٧ |
| محبة الله عزّ وجل | ٤١٩ |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| من ثمرات محبة الله عزّ وجل ..... | ٤٢٣ |
| الرضا بالأقدار والشوق إلى لقاء الله ..... | ٤٢٦ |